

# صراع القوى السياسية في المشرق العربي

« من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني »

الدكتور عماد الجواهري

١٩٩٠



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة القادسية

# صراع القوى السياسية في المشرق العربي من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني

تأليف

الدكتور عماد الجواهري

استاذ مساعد قسم التاريخ

كلية التربية



## « بسم الله الرحمن الرحيم »

### المقدمة ...

على مدى بضع سنوات اتيح لي أن اعالج مواضيع تناولت بالدراسة والتحليل التطورات السياسية لبعض دول الشرق الاسلامي في مطلع العصر الحديث وقد اثرت تلك الدراسات في تكوين صورة تتسم بالشمولية اعتمادا على توظيف الجزئيات المنظورة وغير المنظورة للحوادث التاريخية .

ان دراسة عوامل تطور الكيانات السياسية في الشرق الاسلامي في فترة هذا البحث أظهرت الأهمية الجيوبولتيكية لبعض الوحدات الاقليمية وهذه النتيجة تساعد على فهم الصيرورة الكيانية السياسية المعاصرة لها وبخاصة الاعتبارات التي صاغت رسم الحدود الحالية .

ومن المعروف ان الدراسات العلمية الرصينة التي تناولت هذه الحقبة التاريخية قليلة نسبيا دون أن يعني ذلك أغفال ما كتب في الآونة الاخيرة من مقالات وأبحاث ومحاضرات الهدف منها تكوين وعي تاريخي ذو طبيعة عامة ومن هنا فأن احدى المشاكل الرئيسة للكتابة في هذه الحقبة هي ان التوفيق بين المادة التاريخية التي تقدمها المصادر الاصلية ممثلة بوجهات النظر المختلفة من جهة والرؤية العصرية لباحث علمي يفترض به الابتعاد عن الصيغ الانشائية ووضع الحقيقة التاريخية في اطارها الصحيح والشامل من جهة اخرى يتطلب كما أرى جهادا فكريا مضنيا . وعسى أن اكون قد حققت بعضا من هذا الطموح حين وفيت هذا البحث المصادر الرئيسة التي تعبر عن وجهات النظر العربية والعثمانية والصفوية . وأجتهدت في تفسير وربط أحداث ما تزال مثارا للجدل والاختلاف .

لقد قام هذا البحث على فكرة سعت الى تفسير الاحداث البارزة التي تشكل محتوى العلاقات الدولية في الشرق الاسلامي في العصر الحديث تفسيرا يأخذ مسألة الظروف المحيطة بتوازن القوى بنظر الاعتبار . ومن المفيد ان نشير الى ان اعتبارات التوازن الدولي ، التي حددت اتجاهات ووقائع الاحداث التاريخية والتطورات - الدولية ، من المسائل كثيرة التعقيد ، وقد نظر اليها على انها مسألة رئيسة في تحليل وتقويم التطورات الدولية في أوروبا في حقبتى التاريخ الحديث

والمعاصر . وفضلا عن ذلك فإن الباحثين الذين تناولوا بالدراسة والتقويم التطورات الدولية في الشرق الاسلامي الحديث قد اعطوا للأعتبارات الأخرى مكان الاولوية في تفسير الصراعات الاقليمية في حين ظلت مسألة تقرير التطور لوضع القوى على ضوء دلائل التطلعات الاقليمية المتقابلة ظاهرة ثانوية .

ان اهمية بعض الوحدات الاقليمية في تحقيق ارجحية نسبية بدء ومطلقة تاريخياً وهو ما تؤثره الاحداث التاريخية العاصفة التي مر بها العراق في تأريخه الحديث مسألة جديرة بأن ينظر اليها من جديد في إطار دراسة تاريخية جيوبوليتيكية شاملة . ومع ذلك فإنه بالوسع ان نشير في هذه المقدمة الى حقيقة مهمة وهي بروز الاثر الجيوبوليتيكي للعراق بشكل واضح في سياق حالتين . الاولى : استقطاب مراكز القوى المختلفة في قوتين رئيسيتين وهو ما يطرحه نموذج التنافس الصفوي العثماني الذي شخصته اربعة من فصول هذه الدراسة . أما الثانية : فهي تعدد مراكز القوى الامر الذي قدمت له هذه الدراسة لمحة سريعة في الفصلين الاول والثاني .

وأستعرض الفصل الاول من هذا البحث الابعاد التاريخية السياسية للمشرق العربي الحديث بهدف تقويم الاسس والمتغيرات التي شهدتها المشرق الاسلامي منذ العهد العباسي وحتى انهيار الخلافة العباسية في بغداد وما رافق وأستتبع ذلك من ظروف الانحلال والفوضى في ظل الكيانات السياسية القبلية التي تسلطت على أجزاء من المشرق العربي .

وتناول الفصل الثاني من البحث العلاقات السياسية في الشرق الاسلامي وأواخر القرن الخامس عشر . لقد عني هذا الفصل بتهيئة الخارطة السياسية للكيانات السياسية في الشرق الاسلامي في مطلع العصر الحديث والعلاقات بين هذه الكيانات وأهمها دولة أق قوينلو في جنوب وشرق الاناضول والعراق وايران ودولة المماليك في مصر والشام والدولة العثمانية في آسيا الصغرى . ان هذا الفصل يهتم اهتماماً ملحوظاً بتطور دور الأق قوينلو السياسي والاقتصادي كما يهتم بتتبع تباين موقف القوى المحلية الكبرى أزاء مسألة العلاقات السياسية الايجابية مع هذه الدولة تبعاً لمؤثرات الاوضاع السياسية في دولة الأق قوينلو من جهة واستقرار الحدود السياسية لدولة الأق قوينلو عند الاقاليم التي ضمتها هذه الدولة في مرحلتها التأسيسية من جهة أخرى .

أما الفصل الثالث المعنون بـ « قيام الدولة الصفوية واضطراب ميزان القوى في مطلع القرن السادس عشر » فإنه عالج الاسس التي قامت عليها الدولة الصفوية في ايران على انقاض مملكة شروان ودولتي القرا قوينلو والاق قوينلو ودلالات التوسع الصفوي في العراق وأبعاد التحالفات التي عقدتها هذه الدولة مع القوى المحلية والدولية الكبرى الامر الذي احدث اختلالاً في ميزان القوى لصالح الصفويين . وكانت الدولة العثمانية القوة المحلية الكبرى الرئيسة التي شعرت بالمخاطر الناجمة عن هذا الاختلال في ميزان القوى في منطقة الشرق الاسلامي . فالدولة العثمانية كانت ترى حدودها الجنوبية والشرقية محمية بالعديد من الإمارات التي تعزلها عن التماس المباشر بدولتي المماليك والاق قوينلو غير ان اتباع الدولة الصفوية لممتلكات الاق قوينلو وبروز مظاهر انهيار الامارات المتاخمة لحدودها الواحدة تلو الأخرى جعل حدودها الجنوبية والشرقية مكشوفة وهياً فرصاً لتحالفات تكتيكية بين الدولة الصفوية ودول اخرى اتسمت علاقات بعضها مع العثمانيين بالعداء كالمجر والبرتغال وبعضها الآخر بالتعامل الحذر كالمماليك .

لقد كانت سيطرة الصفويين على العراق عاملاً حاسماً في نقل الدولة الصفوية من قوة ذات تأثير أقليمي محدود إلى قوة ذات تأثير دولي فعال . لقد مكنتها هذه السيطرة من التعامل والتنسيق المباشر مع المماليك في الشام ومع البرتغاليين في الخليج العربي والبنادقة والجنوبيين في البحر المتوسط الذين كانوا على صلة وثيقة بالمماليك .

ان الفصل الرابع المعنون بـ « ردود الفعل العثمانية في مواجهة الصفويين ١٥١٤ - ١٥٣٤ م » عكس قلق الدولة العثمانية أزاء الخلل الذي أحدثه التوسع الصفوي في ميزان القوى في الشرق الاسلامي . أن القلق العثماني يعبر في الواقع عن ادراك لمعطيات التوسع الصفوي لكونه لا يشكل حالة طارئة قابلة للتغيير على يد القوى المحلية بل يشكل الاساس الايديولوجي للتوسع الصفوي الذي له القدرة على احتواء القوى المحلية وسكانها وتوظيف هذا الاحتواء في تحقيق المزيد من الأرجحية في ميزان القوى على نحو دائم . أما ردود الفعل العثمانية السريعة والعنيفة فأنها تفسر ادراك العثمانيين بأن الزمن في مسألة التوسع الصفوي واختلال ميزان القوى يعمل لصالح الصفويين فكلما نجح التوسع الصفوي في إحدى جهات الشرق الاسلامي وطال أمده كان أدعى للاستمرار والبقاء للأعتبارات الايديولوجية المذكورة وهذا يبقى ميزان القوى في صالحهم بصفة دائمية أيضاً ؛

وأعتقد العثمانيون انهم بالاعتماد على قواهم العسكرية يمكن أن يتوجهوا بضربة قوية الى الصفويين على ان يمهّدوا لهذا العمل بتطهير المناطق التي وقعت تحت تأثير الدعاية الصفوية . وقد نجح العثمانيون في أجزائهم الثاني في حين كانت نتائج الضربة العثمانية العسكرية للصفويين محدودة نسبياً . ان الفشل العثماني العسكري جعل العثمانيين يفكرون في إستراتيجية جديدة طويلة الأمد تجعل لهم أرجحية في ميزان القوى في المنطقة . وقد تضمن هذه الاستراتيجية :

اولا : تقويض دولة المماليك وضم ممتلكاتها في الشام ومصر بغية التأثير على المصالح الاقتصادية لجنوة والبندقية وأجبارهم على إعادة النظر في علاقاتهم مع العثمانيين .

ثانيا : انتزاع العراق من الدولة الصفوية من أجل ( تحجيم ) الكيان الصفوي وراء جبال زاكروس مما ينجم عنه تضائل قيمته الدولية ضمن البعدين السياسي والاقتصادي . فالبعد السياسي ينطوي على جعل الدولة الصفوية قوة أسيوية قليلة التأثير في المحيط الدولي والبعد الاقتصادي ينطوي على تجريد الدولة الصفوية من أي نفوذ على طرق التجارة الشرقية وهكذا أصبح الدفاع عن العراق بعد أنتزاعه من الصفويين سنة ( ١٥٣٤ م ) حجر الزاوية في السياسة العثمانية في منطقة الشرق .

وتناول الفصل الخامس المعنون « موقع العراق والخليج العربي من المواجهة العثمانية للتحالف الصفوي البرتغالي ( ١٥٤٦ - ١٥٨١ م ) دراسة وتحليل احد المظاهر المهمة للأرجحية العثمانية في ميزان القوى بعد انتزاع الدولة العثمانية للعراق من ايدي الصفويين . فالسيطرة العثمانية على العراق سحبت الدولة العثمانية الى رأس الخليج العربي وأصبح باستطاعتها اتخاذ التدابير الضرورية لضرب التنسيق والتحالف الصفوي البرتغالي الذي أنطوى على ضغوط سياسة واقتصادية ضد الدولة العثمانية . والحملات العثمانية التي اتخذت العراق قاعدتها لها أجبرت الصفويين على قبول شروط صلح عثمانية ( امامية ١٥٥٥ ) والحملات العثمانية التي اتخذت البصرة قاعدتها لها أجبرت البرتغاليين على قبول شروط صلح عثمانية ( ١٥٨١ ) .

وأخيراً فإن الفصل السادس المعنون بـ « تفوق القوى كما تعكسه نتائج المجابهة الصفوية للعثمانيين في العراق » ١٦٢٣ - ١٦٣٨ م » درس محاولة الدولة الصفوية وجهودها من أجل قلب ميزان القوى لصالحها عن طريق ترقبها الدائم لظروف الدولة العثمانية عامة وأوضاع العراق خاصة من أجل انتزاع العراق بصفته عاملاً حاسماً في إعادة التوازن الدولي في الحد الأدنى وتحقيق ارجحية لمصلحة الصفويين في أبعاده النهائية . أن نتائج المجابهة الصفوية العثمانية في هذه الفترة قررت نهائياً الارجحية العثمانية في ميزان القوى في المنطقة حتى زوال العثمانيين في اوائل القرن العشرين .

وأتاماً للفائدة المتوخاة من هذه المقدمة لا بد من وقفة قصيرة عند مصادر هذا البحث الذي حاول مؤلفه حشد ما تيسر له من المصادر الاصلية والمراجع المهمة باللغات العربية والفارسية والتركية والانكليزية تأكيداً للمنهج العلمي والنظرة المتوازنة التي تتجاوز في جوهرها المفاهيم والاعتبارات المطلوبة من الابحاث غير المنهجية . كما ان المؤلف حاول استخدام هذه المصادر والمراجع بطريقة تتجاوب مع رغبة المؤلف في انجاز مشروع أوسع في المستقبل . وغني عن القول ان الوصول الى تقويم صحيح لأهمية المصادر المستخدمة في هذا البحث مسألة جديرة بالانتباه بسبب وضع المؤسسات الثقافية الذي عانى من التدهور في ظل الفترة المضطربة التي شكلت ميدان هذا البحث . وهكذا لا بد من القول ان المسار العام في هذه الدراسة يعبر عن أجتهد تاريخي يعزز الطموح المشروع من أجل الحقيقة التاريخية التي لا يمكن الجزم بها في احيان كثيرة .

وختاماً اود إن اسجل شكري الجزيل للدكتور ابراهيم خليل احمد والدكتور علي زوين لمراجعتهما الكتاب وملاحظتهما القيمة عليه . كما أشكر الدكتور سطاتم الجبوري لدعمه مسيرة البحث العلمي في كلية التربية بجامعة القادسية الفنية . والمؤلف مدين أيضاً الى جامعة القادسية لأخراجها هذا الكتاب الى النور . اسأل الله التوفيق للجميع انه نعم المولى ونعم النصير .

المؤلف



## الفصل الأول ...

تمهيد :  
عصر الاضطراب السياسي  
المشرق العربي بعد الغزو المغولي  
١٢٥٨ - ١٤٧٠ م



شهد المشرق العربي في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي تطورات سياسية مهمة . لقد أتت هذه التطورات على المؤسسة السياسية الرئيسية في الوطن العربي وذلك بعد قرون طويلة ظلت فيها تلك المؤسسة قائمة في صورتها الشكلية حسب . وتقويم الصورة الشكلية المشار إليها أعلاه من خلال الوقوف عند المؤسسة السياسية للدول العباسية مسألة ضرورية تحقيقا لاهداف هذه الدراسة . وفي ضوء الاعتبارين المهمين المعروفين وهما :

١ - ان المؤسسة السياسية للدولة العباسية هي المؤسسة الأكثر نفوذا والاطول عمرا بين المؤسسات السياسية التي شهدها الوطن العربي خلال الحقبة اللاحقة لانتشار الاسلام .

٢ - ان الكيان السياسي للدولة العباسية ضم معظم انحاء الوطن العربي فضلا عن أقاليم المشرق الاسلامي حيث تأسست فيها بعدئذ كيانات محلية تستمد وجودها وبقاءها بصورة او بأخرى من خلال الولاء للخلافة العباسية (١) .

والملاحظ ان الدولة العباسية مارست نفوذا وسلطة مركزية على معظم اقاليم الدولة طيلة العصر العباسي الاول ( ١٣٢ - ٢٤٧ هـ ) - ( ٧٤٩ - ٨٦١ م ) . على انه في المرحلة التالية شهدت الدولة العباسية سيطرة قوى اجنبية ( البويهيين والسلاجقة ) (٢) على مقاليد الأمور . وعلى الرغم من تلك مالت هذه القوى الى الابقاء على المؤسسة الرئيسية ( الخلافة ) على انها آلت الى وضعية سيئة بسبب سلبها حقوقها وواجباتها السياسية (٣) . ويميل المؤرخون في تفسيرهم لهذه الظاهرة - أبقاء القوى السياسية الاجنبية لمؤسسة الخلافة العباسية - الى الحديث عن اعتبارات مختلفة منها ماهو سياسي او ماهو ديني (٤) . ترى هل يعبر ذلك عن تصور سياسي قائم

---

( ١ ) انظر ، ملاحظات ، محمد جمال الدين سرور عن الدول المستقلة في الشرق ، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق من عهد نفوذ الاتراك الى منتصف القرن الخامس الهجري ، ( القاهرة ١٩٦٥ ) ، ص ٧٥ .

( ٢ ) اختلف البويهيون عن القوى السياسية الاجنبية الأخرى في انهم افترقوا عن العباسيين مذهبا ومع ذلك يرى البعض من المؤرخين ان وضع المؤسسة السياسية العباسية خلال العصر السلجوقي لم يختلف جوهريا عما كانت عليه ايام البويهيين . انظر ، حسن ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ، ( القاهرة د ر ت ) ص ٩٢ .

( ٣ ) انظر مايلى ذلك .

( ٤ ) انظر مايعرضه فاروق عمر من فرضيات حول ابقاء البويهيين للخلافة العباسية . « الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ٢٤٧ - ٣٣٤ هـ / ٨٦١ - ٩٤٦ م » ط ١ ( بغداد ١٩٧٤ ) . ص ٧٨ - ٨٥ . وقارن بعين أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ( بغداد ١٩٦٥ ) ص ١٣٣ - ١٣٧ .

أنذاك بقدرة هذه المؤسسة على اداء دور لا يمكن لغيرها ان تضطلع به ؟ الجواب ربما . على ان الامر الذي لالبس فيه ولا غموض هو ان مؤسسة الخلافة رسخت خلال التاريخ العربي في ظل الكيان العربي (٥). ان تصور هذه الظاهرة بوصفها محصلة يشهد بها التاريخ العربي يعطى القدرة على فهم ديمومة هذه المؤسسة السياسية اعتمادا على نقل الأثر المعنوي للعاملين الديني والتاريخي تضاءلت أمامه ارادة القوى السياسية الاجنبية .

وينبغي ان لا يفهم في هذا السياق بأن القوى السياسية الاجنبية التي أضحت لها الكفة الراجحة في ميزان القوى السياسية ضمن الكيان السياسي العباسي قد تطورت بناء على عوامل ذاتية منحتها قدرة التفوق على المؤسسة السياسية العربية نفسها . فالدلائل التاريخية تشير الى : -

١ - ان المؤسسة السياسية العربية قامت لأعتبارات سياسية باصطناع اداة عسكرية لأغراض امنية هي تلك القوى الاجنبية . والامر الذي يؤسف عليه حقاً هو ان تجربة الخلفاء العباسيين الأوائل مريرة في هذه القضية التي استطاعوا تجاوزها بنجاح كما يبدو واضحاً في اقصائهم لمراكز القوى الفارسية . ويبدو ان هذه التجربة فهمت فهماً خاطئاً من لدن الخلفاء اللاحقين فأعتمدوا على ادارة عسكرية اجنبية جديدة تختلف في الشكل عن الاداة التي اعتمدها الخلفاء العباسيون الأوائل ولكنها لا تختلف من حيث المضمون (٦) .

ان المتابع للأحداث بأستطاعته مراقبة نمو تلك القوى من خلال استئثارها المباشر بالجهاز العسكري ثم المؤسسة الاقتصادية للدولة . وقد تطور هذا الوضع وبصورة فعالة على حساب المؤسسة السياسية العربية مما ادى في المقابل الى توقف المؤسسة السياسية العربية عن النمو ومن ثم ضعفها . كما اوقعها في النهاية في هاوية الجمود والتخلف .

٢ - ان التطورات السياسية التي استتبع قيام الدولة العباسية يمكن تقويمها ضمن السياق الذي نحن فيه . فمنذ البدء لم تجد الدولة العباسية بعد سقوط الدولة

---

(٥) انظر ملاحظات بيري محمد فهد عن الدور السياسي الذي لعبته مؤسسة الخلافة حتى سقوط بغداد - عام ١٢٥٨ م . « تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير ٥٥٢ - ٦٥٦ هـ / ١١٥٧ - ١٢٥٨ م . ( بغداد ١٩٧٣ ) ص ٩٩ .

(٦) انظر ، حسن ابراهيم حسن . تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي . ط ٧ - ( القاهرة ١٩٦٤ ) ص ٨٨ وما يليها . ١٩٢٠ وما يليها .

الاموية ( ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م ) ضرورة للقيام بعمليات عسكرية على نطاق واسع في انحاء الوطن العربي بعد ان انتهت معركة الزاب بانتصار حاسم للعباسيين (٧) .

ولا يقف الامر عند هذه الحقيقة حسب . بل ان العباسيين كانوا واثقين تماما من قدرتهم على ائتمان قوى سياسية عربية وضمن وحدات سياسية مستقلة فعليا وهم في عنفوان قوتهم ومجدهم السياسي (٨) .

٣ - كان الخلفاء العباسيون قد وضعوا - بناء على ضرورات آنية ثقلهم السياسي بكامله من جهة الشرق (٩) . واعطيت انحاء الوطن العربي اهتماما ادنى . وكانت النتيجة ان اصبحت المؤسسة السياسية العربية أسيرة ذلك التوجه ووقعت اخيرا في قبضة القوى السياسية الاجنبية لبلاد المشرق . وعلى الرغم من وقوع رقبة المؤسسة السياسية للدولة العربية بين قبضتي القوى السياسية الاجنبية فإن الارث المعنوي للعاملين الديني والتاريخي ظل يمثل قوة حقيقية قادرة على منع تينك القبضتين من ان توديا بالمؤسسة السياسية العربية الى الهلاك (١٠) .

(٧) يمكن ملاحظة هذا التقويم في بعض المصادر الحديثة حيث تؤكد بأن خطة العباسيين كانت تهدف الى استئصال شأفة البيت الأموي من الولايات العربية وليس هناك ما يشير الى قيام معارك كبرى بل فتك بهم في أحيان كثيرة بعد أعطائهم الامان . وفي احيان اخرى استعان العباسيون بأهالي الاقاليم لتحقيق الغاية أعلاه . انظر ، حسن ، المصدر السابق ، ص ١٩ وما يلي ذلك . عبد المنعم ماجد ، العصر العباسي الاول والقرن الذهبي في تاريخ العباسيين ، التاريخ السياسي ، ( القاهرة ١٩٧٣ ) ج ١ ص ٥١ ، ٥٢ - ٥٥ .

(٨) انظر موافقة الرشيد على طلب ابراهيم بن الاغلب ولاية افريقية . ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ( بيروت ١٩٦٥ ) ج ٦ ص ١٥٥ - ١٥٦ .  
(٩) يلاحظ ان ابا العباس السفاح انشغل بشييت حكم العباسيين في خراسان وفرغانة والهند اكثر من الوطن العربي . انظر ، ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ( بيروت - ) مجلد ٣ ص ٣٧٩ - ٣٨٣ وقارن مع ابن الاثير ، المصدر السابق ، مجلد ٥ ص ٤١٧ - ٤٤٢ . على ان المتتبع للأحداث يستطيع ان يرى تطور التوجه الشرقي في الفترة اللاحقة لحكم ابي العباس السفاح حتى استحداث منصب امير الامراء . تتبع لأجل ذلك علاقة الخلافة بمؤسسة الوزارة وأمانة الامراء في ، فاضل الغالدي ، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري ، ( بغداد ١٩٦٩ ) . وانظر ايضا الاستنتاج والتقويم في خاتمة رسالة ، تقي الدين عارف الدوري ، عصر امراء الامراء في العراق ، ٣٢٤ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٦ - ٩٤٦ م دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية ( بغداد ١٩٧٥ ) .

(١٠) انظر على سبيل المثال ، بدري محمد فهد ، العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري ، بحث تاريخي في الحياة الاجتماعية لجماهير بغداد ، ( بغداد ١٩٦٧ ) ص ٣١٣ - ٣١٤ .

وعلى أية حال فإن تأثير تلك القوى السياسية الأجنبية لم يقف عند حدود منع المؤسسة السياسية العربية من التطور ثم تخلفها التدريجي عن المهام التي تتطلبها تطورات الأحداث حسب . بل انها - القوى السياسية الأجنبية - بنقلها صراعاتها فيما بينها ادت الى اضعاف نفسها ايضا . ومن هنا فإنه حين ادرك الجميع الخطر المغولي - الوثني - لم يكن بوسع اي من المؤسسات السياسية القائمة ان تواجهه . وهكذا فإن هولاكو بأجتياحه حدود المشرق الاسلامي لم يسقط المؤسسة السياسية للدولة العباسية وحدها وانما اسقط عدداً آخر من المؤسسات السياسية الاخرى التي كانت الى حين في صراع عنيف فيما بينها . وفي الوقت نفسه دفع الى ساحة الأحداث بقوى سياسية جديدة من شعوب اواسط اسيا الرعوية كتب لها ان تلعب دوراً ضارب الفوضى لقرون عدة (١١) .

■ عرف المغول باسم هضبة منغوليا الواقعة الى الشمال من صحراء غربي . لقد تمخضت الاقوام المغولية القاطنة في اواسط اسيا فدفعت الى العالم موجة عظيمة بدأت اولى هجماتها العسكرية وحملاتها البربرية أوائل القرن الثالث عشر الميلادي . وقد أشتهر من قوادها ( تيموجين ) المولود سنة ( ١١٥٥ م ) والذي أظهر من الشجاعة والقوة ماحدى بالقبائل المغولية ان تنتخبه امبراطورا عليها سنة ( ١٢٠٦ م ) فلقب منذ ذلك الحين بـ ( جنكيز خان ) اي اعظم الحكام . لقد تمكن جنكيز خان من التوسع في الصين حيث فتح عاصمتها بكين وكذلك اقليم ماوراء النهر . كما انجز فتح بخارى وسمرقند وخراسان وأفغانستان لكن المنية ادركته سنة ( ١٢٢٧ م ) فأسطاع خلفاؤه من التوجه نحو اسيا الصغرى وجورجيا وارمنيا وروسيا وبولندة وما يذكر بهذا الصدد إنهم وصلوا الى ضواحي برلين . وغزا المغول اربيل في العراق ووصلوا الى سامراء ( ١٢٣٥ - ١٢٣٧ م ) غير انهم ردوا على عقابهم في حين اضطر سلاجقة الروم في الاناضول الى الخضوع للمغول وتعهدها بدفع جزية سنوية لهم . وفي سنة ( ١٢٥٣ م ) خرجت حملة مغولية بقيادة هولاكو قاصدة اقليم ماوراء النهر ثم اتجهت نحو ايران فدمرت قلاع الاسماعيلية ثم انساحت نحو العراق لتحتل بغداد سنة ( ١٢٥٨ م ) . وقد اعتبر المؤرخون احتلال المغول لبغداد من افضع الاعمال التدميرية التي اصابته البلاد الإسلامية وصحب خروج الموجة المغولية المذكورة نزوح الكثير من القبائل الساكنة في وسط اسيا طالبة أماكن بعيدة تتوفر فيها اسباب الهدوء ونعمة الرعي . وقد اسهمت هذه القوى القبلية التي نزحت الى جهات قريبة من حدود المشرق العربي في الأحداث والتطورات السياسية اللاحقة . - لألقاء نظرة سريعة انظر ، فؤاد عبد المعطي الصياد ، المغول في التاريخ ، ( القاهرة ١٩٦٠ ) .

( ١١ ) للحصول على صورة واضحة انظر ، حافظ احمد حمدي ، الشرق الاسلامي قبل الغزو المغولي ( القاهرة ١٩٥٠ ) ، رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، جامع التواريخ ، تاريخ المغول الايلخانيين ، نقله الى العربية محمد صادق نشأت وآخرون ( القاهرة ١٩٦٠ ) .

وعلى الرغم من ان حركات المغول وغزوهم للشرق الاسلامي قد بدأ منذ فترة تسبق سقوط عاصمة الخلافة سنة ١٢٥٨ م بما يزيد على نصف قرن الا ان الخلفاء العباسيين كانوا واثقين من قدرتهم على مواجهة الخطر المغولي . والصمود أمامه . وهذه الثقة مستمدة بلا ريب من الارث السياسي لدولة امتد وجودها لأكثر من خمسة قرون . (١٢)

ولكن المغول احتلوا بغداد وخربوها واستبيحت الخلافة وشعائرها بفضاضة وثنية . (١٣) في حين قابل المسلمون وبخاصة في المشرق العربي فاجعة بغداد . الخلافة بمشاعر الالم والعزاء الوجدانية :  
لسائل الدمع عن بغداد أخبار

فما وقوفك والاحباب قد ساروا  
يا زائرين الى الزوراء لا تفدوا  
فما بذاك الحمى والدار ديار  
تاج الخلافة والرّبع الذي شرفت  
به المعالم قد عسفاه أقفار  
اضحى لعطف البلى في ربه أثر  
وللدموع على الآثار آثار

اقول بينما قابل المسلمون الفاجعة بمشاعر الالم والعزاء . (١٤) عملت قوى مسلمة أخرى في الوطن العربي ما بوسعها لأحتواء الابعاد السياسية والمعاني الرمزية السلبية لسقوط عاصمة الخلافة . كان لابد من قرار سريع يعيد الى المسلمين ثقتهم بكيانيتهم ويوحدهم على مواجهة التحدي المغولي رغم عتوه وجبروته وهكذا بعثت

( ١٢ ) انظر رد الخليفة المستعصم بالله العباسي على انذار هولاكو ، فهد ، تاريخ العراق ، ص ١٠٠ ، وانظر نص الانذار الذي وجهه هولاكو للخليفة المستعصم وتذكيره باكتساح المغول للدول والامارات الغوارزمية والسجوقية والديالمة والأتابكة وغيرهم في ، الهذلي ، المصدر السابق ، مجلد ٢ ج ١ ص ٢٦٧ .

( ١٣ ) يقول الشيخ قطب اليونيني البعلبكي العنيلي المتوفى سنة ٧٢٦ هـ ،  
ومادهي الاسلام بداهية اعظم من هذه الداهية ولا افضع . . . « ذيل مرآة الزمان » ط ١ ( حيدر آباد ،  
١٩٥٤ ) المجلد ١ - ٢ ص ٨٥ ، وانظر ايضا ، ص ٨٩ ، وانظر ايضا ، ابن العماد العنيلي ، شذرات الذهب في  
أخبار من ذهب ، ( القاهرة ١٣٥١ هـ ) ج ٥ ص ٢٧٠ - ٢٧٣ .

( ١٤ ) الابيات الشعرية من مراثية تقي الدين بن ابي اليسر . انظر ، العنيلي ، المصدر السابق ص ص

الخلافة من جديد قوة معنوية للمؤسسة السياسية المملوكية في مصر. « تعبيراً عن الحاجة للمحافظة على تراث روحاني للمسلمين. (١٥)

والملاحظ ان حكام مصر والشام الذين اضعفهم التناحر. (١٦) كانوا عاجزين عن تقديم المساعدة الفعالة لبغداد. على ان تطور الاحداث فيما بعد فرض على المماليك ان يستجيبوا لنداء الجهاد. وهكذا خرجوا للقاء المغول في الشام قرب عين جالوت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م وتم تحقيق النصر الكبير. (١٧) ومن ناحية أخرى اتخذوا تدابير عديدة للبدء بنشاط يهدف الى استرداد الانحاء العربية التي وقعت في قبضة المغول

■ كان المماليك ( وهم من الرقيق الاتراك او الشراكا ) قد نجحوا بالتعاون مع شجرة الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين بن أيوب في الاستحواذ على الحكم بعد مقتل توران شاه ابن الملك الصالح . فقد اعتلى الامير ايبك التركماني أحد ممالك الملك الصالح المقربين كرسي نائب السلطنة بوصفه اتابكا في حين كانت شجرة الدر تحكم بوصفها وريثة العرش الايوبي عن زوجها الملك الصالح استاذ المماليك . ولما رفض الخليفة العباسي في بغداد والامراء الايوبيون في الشام الاعتراف بتولي شجرة الدر عرش مصر لكونها امرأة . عمد الامير ايبك الى الزواج منها وأعتلاء العرش باسم « الملك المعز » وذلك في سنة ( ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م ) وهو تاريخ تأسيس دولة المماليك البحرية - نسبة الى معسكر المماليك في جزيرة الروضة على النيل .

وفي وقت لاحق اضطر الملك المعز الى تنصيب احد احفاد الملك الكامل على العرش وكان في السادسة من عمره ليمارس « المعز » نفوذه على السلطة بوصفه اتابكا . وفي سنة ( ١٢٥٢ م ) تظاهرت امور ( المعز ايبك ) بعد ان ألحق الهزيمة بالملك الناصر سلطان حلب ودمشق الايوبي فتم ابعاد الملك الاشرف حفيد الملك الكامل واضمح « المعز ايبك » سيد مصر الاول .

ان حرص المماليك على دعم شرعية الحكم عبر قناة الخلافة العباسية الذي تبدو بعض مظاهره في تدخل الخلافة العباسية المشار اليه اعلاه عززته جهود المماليك للتصدي للصليبيين من قبل والتصدي للمغول من بعد ثم توج باحياء الخلافة العباسية في مصر سنة ( ١٢٦١ م ) و ( ١٢٦٢ م ) في عهد السلطان الظاهر بيبرس ( ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م ) .

أنظر : ستاهلي لين بول . الدول الاسلامية . ترجمة عن التركية محمد صبحي فرزات . مكتب الدراسات الاسلامية بدمشق . ( دمشق ١٩٧٣ ) . القسم الاول . ص ص ١٦٨ - ١٧٦ . وأنظر ايضا : انطوان خليل ضومط . الدولة المملوكية . التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري . ( بيروت ١٩٨٠ ) ص ص ٧ - ١٠

( ١٥ ) عبدالقادر احمد اليوسف . علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ( بيروت ١٩٦٩ ) ص ٢٠٣ . وأنظر ما يلي في هذه الدراسة .

( ١٦ ) اليونيني . المصدر السابق . ص ص ٨٩ وما يلي في حوادث سنة ٦٥٦ هـ .

( ١٧ ) ينظر : ابن خلدون . المصدر السابق . مجلد ٥ ص ١١٥٢ .

وذلك من خلال أحتضان عناصر عربية قالت بنسبها العباسي فأخذت لها البيعة ( حزيران ١٢٦١ م ) اقرارا وتأكيدا على دور مؤسسة الخلافة كما ساندوها في الكفاح من اجل تحرير العراق من سيطرة الغزاة المغول . ( ٨ )

وكان انتصار عين جالوت قد احدث ردود فعل مهمة في انحاء متفرقة من الوطن العربي . ففي الشام حيث كانت سيطرة المغول قائمة انتفض الشعب العربي على الحكام المغول وأعوانهم فقتل من قتل وهرب من هرب وأستعاد العرب وأمراء الترك والمماليك سلطتهم في الشام ثانية . ( ٩ ) وفي القاهرة استقبل هذا الانتصار بمظاهر الزينة والفرح العام ( ١٠ ) وتغنى اخرون بهذا الانتصار . ( ١١ ) هلك الكفر في الشام جميعا

واستجد الاسلام بعدد دحوضه  
بالمليك المظفر الملك الار  
وع سيف الاسلام عند نهوضه  
ملك جاءنا بعزم وحزم  
فأعززنا بسمره وبيضه  
اوجب الله شكر ذاك علينا  
دائما مثل واجبات فروضه

وفتح هذا النصر أمام المماليك ومؤسستهم السياسية التي ظللتها مسوح الخلافة العربية لتلعب الدور الذي كانت تلعبه دولة الخلافة العباسية . ( ١٢ ) وأضحت الدولة المملوكية كيانا سياسيا ضم أقاليم عظيمة من الوطن العربي اشتملت على الشام

---

١٨ ) انظر ، زين الدين عمر بن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ( النجف ١٩٦٩ ) . ص ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ، ٣٠٦ وأنظر ايضا المزيد من التفاصيل في ، تقي الدين احمد بن علي المقرئ ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ( القاهرة ١٩٣٦ ) ج ١ قسم ٢ ص ص ٤٦٠ - ٤٦٣ . وأنظر الوصف للاستقبال الذي أعده المماليك لمن قيل انه الامير ابو القاسم احمد بن الخليفة الظاهر العباسي الذي ذكر انه اقلت من ايدي المغول . لقد كان ذلك اليوم من اعظم ايام القاهرة واجملها بهاء . المقرئ المصدر السابق ، ص ٤٤٩ .

١٩ ) البعلبكي ، ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ص ٣٦٢ .

٢٠ ) المقرئ ، كتاب السلوك ، ص ٤٣٧ .

٢١ ) البعلبكي ، المصدر السابق ، ص ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

٢٢ ) حول اهمية اقامة خلافة عباسية في مصر انظر ، محمد رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي ، ط ٢ ( القاهرة ١٩٦٢ ) المجلد الاول ص ٢٨ .

والجزيرة واليمن فضلا عن مصر . كما اصبحت المؤسسة السياسية لهذا الكيان حامية للحرمين الشريفين في مكة والمدينة . (٢٣) وخلال أكثر من قرنين بعد الاحتلال المغولي لبغداد كان الكيان السياسي للمماليك في وضع أفضل من العراق اذ ازدهرت بشكل نسبي وملحوظ الاوضاع الاقتصادية عموما . (٢٤) وفي الميدان السياسي أصبح للكيان السياسي المملوكي ولمؤسته السياسية على الرغم من تعاقب اسر المماليك . (٢٥) ثقل كبير ودور مهم على ساحة واسعة من الوطن العربي والعالم الاسلامي . وتم بنجاح صد غزوات المغول اللاحقة . (٢٦) وحصر نشاط الصليبيين في الشام الى ادنى حد ممكن مما عجل بتصفية وجودهم فيما بعد . (٢٧) في حين تعززت العلاقات الدولية للمماليك على نطاق واسع لأضطلاعهم من الدور الاكبر في التجارة العالمية بين الشرق والغرب . (٢٨)

### ( ٣ )

وفي حدود المشرق العربي خضع العراق للأمبراطورية التي اسسها هولاكو وتعاقب عليها خلفاؤه لقرن من الزمان ( ١٢٥٩ - ١٣٣٦ م ) . وهكذا تبعت بغداد

( ٢٣ ) سعيد عبدالفتاح عاشور ، مصر المماليكي في مصر والشام ، ط ٢ ( القاهرة ١٩٧٦ ) ص ص ٢٣٧ - ٢٤٢ .

( ٢٤ ) المصدر نفسه ، ص ص ٢٨٤ - ٣١٥ .

( ٢٥ ) منذ مقتل الملك المعز سنة ( ١٢٥٧ م ) الى سنة ( ١٣٩٠ م ) توارث الحكم ثلاث وعشرون سلطانا من المماليك البحرية الاتراك . وقد اعتلى بعضهم الحكم بطريقة الانتخاب . اما سلاطين المماليك الشراكسة او ( البرجية ) - نسبه الى معسكرهم القائم في قلعة القاهرة - فأولهم الملك الظاهر سيف الدين برقوق الذي تولى الحكم في السنوات ( ١٣٨٢ - ١٣٨٩ م ) ثم تعاقب خلفاؤه وأكثرهم من المماليك الشراكسة بطريقة الانتخاب خلال الفترة ( ١٣٩٩ - ١٥١٧ م ) حين تحقق على يد العثمانيين تقويض سلطانهم في مصر والشام وبقي انهاء المشرق العربي .

انظر ، لين بول ، المصدر السابق ، القسم الاول ص ص ١٧٢ - ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ - ١٧٦ .

( ٢٦ ) انظر ، فايد حماد عاشور ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الاولى ( القاهرة ١٩٧٧ ) ص ص ١٢١ - ١٢٢ ، ١٦٦ - ١٦٧ ، ١٧٠ - ١٧٢ ، ١٨٢ - ١٨٣ .

( ٢٧ ) انظر ، عاشور ، مصر المماليكي ، ص ص ١٨٠ وما يليها . وانظر ايضا ، اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، ص ص ٢٠٣ ، ٢٢٦ - ٢٢٨ .

( ٢٨ ) انظر تفاصيل مهمة في ، نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب اواخر المصور الوسطى ، ( القاهرة ١٩٧٣ ) . ملاحق الكتاب ص ص ٣٧٣ - ٤٨١ التي تتضمن مجموعة من الاتفاقيات والرسائل بين بعض سلاطين المماليك والامراء والحكام الاجانب . وانظر ايضا ، حياة ناصر الحجي ، العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الاسبانية ، ( الكويت ١٩٨٠ ) .

ص ص ٣٤٧ - ٣٦١ .

عاصمة الخلافة العتيدة لحكومة « المغول في ايران » التي لم يكن لها مقرا ثابتا بالنظر لدوام تنقل الايلخان وتجوابه . ففي عهد هولاكو ( ١٢٥٦ - ١٢٦٥ م ) كانت اطراف بحيرة ( رومية ) في شمال غربي اذربيجان منجعا لاقامته . كما كانت مراغة وخوى من اهم مراكز هذه الدولة . وقد اشتهرت مراغة بمرصدها الشهير في حين عرفت الثانية بمعابدها . اما قصور الايلخان فانها انتشرت في مدينة الاداغ (٢٩) وخلال العهد المغولي (٣٠) عهدت ادارة العراق الى حكام من طغام الفاتحين عاثوا في البلاد فسادا وساموها ظلما . وبينما اظهر بعض الحكام المغول الرغبة في التعرف بأحوال عاصمة الخلفاء وسبل اصلاح شؤونها . كان تبدل هؤلاء السلاطين سببا لتعطل رغبة الاصلاح مهما كانت صغيرة . وهكذا لم تجد توصيات نصير الدين الطوسي عن حالة العراق وأسباب اصلاحها فرصة للنظر فيها في حين كان متولو شؤون العراق يتبارون في ابتزاز الاهالي وأرضاء سادتهم المغول . وقد اشتهر من هؤلاء سعد الدولة اليهودي « صاحب ديوان الممالك العراقية » (٣١) . في عهد ارغون خان ( ١٢٨٤ - ١٢٩١ م ) . الذي كانت سيرته السيئة مضربا للأمثال . فكانت معازاة الاهالي من سيرته وتصرفات العديد من افراد أسرته ممن اسند اليهم مهمة الاشراف على الدواوين المحلية في بغداد والموصل . وكان مما قيل في جورهم وتسلطهم الايات الآتية :

يهود . هذا الزمان قد بلغوا مرتبة لا يذالها فلك  
الملك فيهم والمال عندهم ومنهم المستشار والملك  
يامعشر الناس قد نصحت لكم تهودوا قد تهود الفلك  
فانتظروا صيحة العذاب لهم فمن قليل ترونهم هلكوا

■ ويسمون ايضا ( هولاكوي ) نسبة الى هولاكو مؤسس هذه الاسرة الغولية الحاكمة في ايران والتي أمتد نفوذها على الاقاليم الاخرى المجاورة .

( ٢٩ ) البلديات الثلاث من اعمال اذربيجان . تقع الاولى على مسافة ( ٧٠ ) ميلا جنوب تبريز . وتعد الثانية حصنا كثير الخيرات والثالثة مصيفا مشهورا . انظر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ( بيروت ١٩٥٦ ) ج ٥ ص ٩٣ ، صفى الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي ، مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ( ١٩٥٤ ) ج ١ ص ٤٦٠ ، كمي . لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، ( بغداد ١٩٥٤ ) ، ص ص ١٩٨ ، ٢١٣ .

( ٣٠ ) انظر جدولاً بأسماء خانات الحكم المغولي في ايران في لين بول ، المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٥١٨ .

( ٣١ ) صاحب الديوان « وظيفة ادارية مهمة جرت العادة على اناطتها باحد خاصة السلطان نظرا لأهميتها وسعة الصلاحيات التي يتمتع بها ومنها تعيين كبار الموظفين وجباية الاموال . انظر ، طارق نافع الحمداني ، ( دراسة وتحقيق ) ، التاريخ الفياثي ، الفصل الخامس ٦٥٦ - ٨٩١ هـ / ١٢٥٨ - ١٤٨٦ م ( بغداد ١٩٧٥ ) ص ٤٤ هامش رقم ( ٤ ) .

وتحققت صيحة العذاب كما توقع الشاعر حين انتفض السكان وفتكوا بسعد الدولة واخوانه واعوانه ونهبوا أموالهم (٢٢).

وخلافا لعهد ارغون ذكر المؤرخون عهد السلطان محمود . غازان ( ١٢٩٥ - ١٣٠٤ م ) بالرضى وأشادوا بحسن سيرته وأصلاحاته (٢٣) وكانت وفاة ابي سعيد بهادر سنة ( ١٣٣٥ م ) ايذانا بنهاية اسرة هولاكو والعهد الايلخاني . فقد اطلقت الاعنة لمراكز القوى المتنافسة منذ امد غير قصير لكي تصفي بعضها بعضا . وهكذا قسمت الدولة بين اسرتي جويان وحسن جلائر . وكان مصير العراق قد تقرر في هذا الصراع فأصبح مركزا للدولة الجلائرية (٢٤).

وبعد انتقال العراق الى دائرة النفوذ الجلائري ( ١٣٤٠ م ) تعبيرا عن الارجحية السياسية للجلائريين (٢٥) بزعامة حسن جلائر بوصفه احد ابرز مراكز القوى المتنافسة في نهاية عهد الاسرة المغولية الايلخانية كما ان اتخاذ بغداد عاصمة للجلائريين يدل دلالة واضحة على اهمية العراق في تحقيق الارجحية المذكورة فقد تحقق في غضون اقل من خمسة عشر عاما بعد التاريخ المذكور السيطرة على اذربيجان وتبريز سنة ( ١٣٥٨ م ) وضم الموصل وديار بكر سنة ( ١٣٦٤ م ) .

وكان السلطان معز الدين اويس ( ١٣٥٦ - ١٣٧٤ م ) قد استقر في تبريز منذ سنة ( ١٣٥٩ م ) بعد ان اتخذها حاضرة لملكه تاركا بغداد بيد أقدر رجاله (٢٦) لقد

---

( ٢٢ ) عباس العزاوي . تاريخ العراق بين احتلالين . ( بغداد ١٩٣٥ ) ج ١ ص ٢٤٥ - ٢٥١ .  
( ٢٣ ) ذكر صاحب التاريخ الفيائي من اثار هذا السلطان « نهرا أخرجه من الفرات ما بين دجلة وبغداد » وعمل كثيرا من العمارة وسمى بالنهر الغازاني . وشق من الفرات النهر الى مشهد الشيخ ابي الوفا ..  
ومنها انه قرر في كل مدينة كبيرة من بغداد والعلنة وتبريز وأصفهان وشيراز والموصل مكانا اسماء ( دار السيادة ) وجعل وقفه يصل الى الفقراء والمساكين من العلويين ويتصرف كلها في وظائفهم .. انظر ، الحمداني ، المصدر السابق ، ص ٥١ - ٥٢ ، ٥٣ .

( ٢٤ ) لين بول . المصدر السابق . القسم الثاني . ص ٥١٦ ، ٥٤٠ .  
( ٢٥ ) عد الجلائريون من الاقوام التركية التي سمت بالمغولية في وقت متأخر ونسب الى بعض المصادر القول ان الكثير من الترك الذين ليسوا من المغول « كقوم جلاير » الذين يفتخرون ان يقال لهم انهم من المغول كانوا يأنفون منه في عهد سابق « قديم » . انظر ، نوري عبدالحميد العاني ، العراق في العهد الجلائري ، ٧٣٨ - ٨١٤ هـ ، ١٣٣٧ - ١٤١١ م ( دراسة في اوضاعه الادارية والاقتصادية ) . ( بغداد ١٩٨٦ ) . ص ٢٠ .

( ٢٦ ) يقول شيرين بياني . تاريخ آل جلاير . ( تهران ١٣٤٥ ) ( بالفارسية ) ص ٣٠٥ ان بغداد كانت تتمتع بمكانة مرموقة لدى الحكام الجلائريين وانها كانت العاصمة الشتوية للدولة الجلائرية .

كان هذا الاجراء السبب الظاهر لمحاولة الاستقلال التي قادها الخواجة امين الدين مرجان سنة ( ١٣٦٥ م ) والتي اعلن خلالها البيعة للملك الاشرف ( ١٣٦٣ - ١٣٧٧ م ) السلطان المملوكي في مصر . ( ٣٧ ) وقد تعرضت بغداد لخطر كارثة كبيرة نظرا لقيام الخواجة مرجان بكسر سداد نهر دجلة واغراق ضواحي المدينة املا في عرقلة تقدم جيش السلطان واجباره على الانسحاب . غير ان السلطان نجح في القضاء على التمرد ( ٣٨ ) وبينما كانت المياه تعود إلى مجاريها بعد ان عفا السلطان عن المتمردين اصيبت المدينة بعد عشر سنوات بكارثة الفرق سنة ( ١٣٧٤ م ) . وقيل ان السلطان اويس حزن كثيرا على غرق بغداد فبعين الامير اسماعيل بن زكريا واليا عليها وأمره بأعفاء ارباب الخراج مدة خمس سنوات لمساعدة الوالي القدير على استعادة عمرانها . ( ٣٩ )

وعلى مدى اكثر من ثلاثين عاماً تلت السنة ( ١٣٧٤ م ) واجه الحكام الجلائريون مشاكل عديدة اهمها الصراع مع المظفرين في شرق ايران والصراع مع التركمان القراقوينلو في جهات بحيرة ( وان ) والموصل . غير ان اخطر الاحداث على الاطلاق

---

( ٣٧ ) وذكر ايضا انه ضرب الكه باسمه . ومن جانبه ارسل الملك الاشرف للخواجة مرجان مرسوماً بنبابة بغداد كما ارسل له ولرجال الدولة الآخرين الهدايا . انظر ، تقى الدين احمد بن على المقرئزي ، السلوك في معرفة دول الملوك . ( القاهرة ١٩٧٠ ) ج ٣ ص ١١٢ .

( ٣٨ ) عن احداث التمرد انظر ، الحمداني ، المصدر السابق ص ٩١ - ٩٢ . ابى الفداء عماد الدين ابن كثير ، البداية والنهاية . ( مصر - د ر ت ) ج ١٤ ص ٣١٩ .

( ٣٩ ) الحمداني ، المصدر السابق ، ص ٨٩ .

■ المظفريون أو آل المظفر إحدى الاسر الحاكمة في ايران ( ١٣١٣ - ١٣٩٣ م ) قيل ان نسبهم يعود إلى امير خراسان اسمه حاجي غياث الدين . وكان حفيده المظفر قد دخل في خدمة بعض الخانات المغول فأناطوا به اعمالاً عديدة منها محافظة الطرق . وعندما توفي ابو سعيد بهادر استقل مبارز الدين محمد بن المظفر ( ١٣١٣ - ١٣٥٩ م ) بحكومة يزد ثم خاض صراعاً مريراً ضد مراكز القوى في ايران خلال الاربعينات والخمسينات من القرن الرابع عشر انتهى بتوسع دائرة نفوذه في فارس ويزد وكرمان وبعض مناطق العراق . وكان من الطبيعي ان يؤدي اتساع نفوذه الى التصادم مع الجلائريين الذين تظاهروا نفوذهم في الفترة نفسها . وقد ظهرت بوادر التوتر في العلاقات المظفرية - الجلائرية خلال عهد الشاه شجاع جلال الدين بن الفوارس الذي عاصر كلاً من السلطان معز الدين اويس والسلطان جلال الدين حسين الجلائريين . انظر ، لين بول ، المصدر السابق ، القسم الثاني ص ٥٤٥ - ٥٤٧ ، الحمداني ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ - ١٦٥ .

كانت مواجهة كارثة الغزو التيموري<sup>١١</sup> في عهد السلطان أحمد الجلائري ( ١٣٨٢ - ١٤١٠ م ) والتي تمكن خلالها تيمور لنك من احتلال بغداد مرتين كانت الاولى سنة ( ١٣٩٣ م ) وكانت سنة ( ١٤٠٠ م ) وفي كلتا الحادتين لم يحاول السلطان أحمد مواجهة قوى الغزو التيموري مواجهة حاسمة بل التجأ الى المماليك في عهد السلطان برقوق ( ١٣٨٢ - ١٣٨٩ م ) إبان المحنة الاولى في حين التجأ إبان المحنة الثانية الى العثمانيين<sup>١٢</sup> في عهد السلطان بايزيد الاول ( ١٣٨٩ - ١٤٠٢ م ) الذي دعاه مع خليفة

تشير الروايات المديدة الى صلة تيمور لنك بأسرة جنكيز خان فتجعل إحدى الروايات جد تيمور وجد جنكيز أخوين . في حين ذكرت رواية أخرى ان تيمور لنك ينتسب الى قبيلة برلاس الاوزبكية وأن امه المدعوة تكيه خاتون هي من أعقاب جنكيز خان .

وكان جنكيز خان قد أسند حكم اقليم ما وراء النهر الى ولده جفتاي وتحت وصاية قراجا نوبان وهو أحد أسلاف تيمور . وعبر هذا الوسيط الحاكم شق تيمور بن ترغاي طريقة بصفته صهراً لاحد الخانات المتأخرين في الاقليم فحاکما على إحدى المدن ثم الرجل الاول في الاقليم أثر حرب خاطفة حمها تيمور لصالحه سنة ( ١٣٧٠ م ) مؤسساً الاسرة التيمورية الحاكمة في اقليم ما وراء النهر ( ١٣٧٠ - ١٥٠١ م ) . ومثيراً لموجة جديدة من الموجات القبلية الايوية الفازية في العصر الحديث .

أنظر ، العمداني ، المصدر السابق ، ص ص ١٦٧ وما يليها ، لين بول ، المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ص ٥٨٨ - ٥٩٣ .

تشير المصادر الى آراء مختلفة في أصل منشأ العثمانيين . والطريف ان المؤرخين الاتراك القدامى جعلوا أصل شجرة آل عثمان تمتد حتى تتصل بيافت بن نوح . ويذكر ان جد العثمانيين وهو سليمان شاه بن قبا الب من اولاد قباي خان كان قد ظهر في اواسط آسيا بصحراء ماهان بجهات مرو سنة ( ١٢٢٦ م ) وبصحبه خمسين ألف من افراد قبيلته . وذلك بعد أن أغار جنكيز خان على بلاد (آسيا الغربية قادمًا من الشمال . واستقر سليمان بعد فترة تجوال في جهات اذربيجان غير انه تعرض لهجوم السلاجقة مما حمله على العودة الى وطنه في اواسط آسيا . وتذهب الرواية عن أصل العثمانيين الى القول ان ارطغرل وهو أحد اولاد سليمان اختلف مع أخوته الآخرين فقصد آسيا الصغرى مع ( ٤٠٠ ) بيت من قومه . وقد أستمطف ارطغرل من علاء الدين سلطان سلاجقة الروم اقطاعه بعض الاراضي فلبى علاء الدين طلبه . وفي وقت لاحق تظاهرت امور ارطغرل حين انضم الى فريق ضعيف في معركة محلية وأدى انضمامه الى قلب نتيجة المعركة لمصلحة الفريق الضعيف وكان جيشاً من جيوش علاء الدين . وهكذا منحت له ولقومه اراض منطقة سلطانية من ولاية قونية التي أضحت مهد الدولة العثمانية . وقد تميزت مكانة العثمانيين في عهد عثمان بن ارطغرل فقد كافأ علاء الدين على ماثبته في الغزو والجهاد ضد البيزنطيين بأن سمح له ان يضرب السكة باسمه وبأن يذكر اسمه بعد اسم السلطان من على المنابر . وفي نهاية القرن الثالث عشر ( ١٢٩٩ م ) تحقق للأماره العثمانية الاستقلال عندما ازال السلطان محمود غازان دولة سلاجقة الروم من قاعدتها الرئيسية في قونية . وقد فتح هذا التطور في الاحداث الطريق لعثمان وخلفائه من بعده تأسيس إحدى أقوى الامبرطوريات الاسلامية في التاريخ الحديث .

أنظر ، محمد فؤاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ترجمة أحمد السعيد سليمان . - ( القاهرة ١٩٦٥ ) .  
أحمد عبدالرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ( بيروت ١٩٨٢ ) .

قرا يوسف التركمانسي في محاولة قصد منها على ما يبدو توحيد الجهود ضد تيمور وربما التنسيق لسحب تيمور لخوض معركة في قلب الاناضول تكون هزيمته فيها أمراً ليس من الصعوبة بمكان تحقيقه. (١٠) وهكذا فأن الملاحظة حول « احتلال بلاد امير ارزنجان المستظل بعطف تيمور » بوصفها من الاسباب التي اثارت الحرب بين تيمور وبايزيد تأتي موافقة لهذا التقويم. (١١) وقد أضعف أحداث الغزو التيموري الحكم الجلائري (١٢) وتهيأت الفرصة للقراقوينلو في عهد اميرهم قرا يوسف (١٣٩٠ - ١٤٢٠ م ) حفيد بيرم خواجه للحصول على وضع الحليف المستقل للسلطان احمد الجلائري. (١٣)

وبوفاة تيمور لنك سنة ( ١٤٠٥ م ) انفرط عقد التحالف بينهما ووثب حليفا الامس بعضهما على الاخر . وقد انتهى الصراع بأسر السلطان احمد ثم قتله وضم معظم ممتلكات دولته واهمها تبريز ( ١٤١٠ م ) وبغداد ( ١٤١١ م ) . (١٤)

---

( ٤٠ ) أنظر تطورات الاحداث بين الجلائريين والكيانات السياسية المجاورة في ، الحمداني المصدر السابق ، ص ص ١١٥ - ١١٦ ، ١٢٣ - ١٢٤ ، ١٨٥ - ٢٠٦ .

( ٤١ ) أنظر هذه الملاحظة في ، لين بول ، المصدر السابق ، ٥٤١ . وقارن بما يذكره نظمي زاده مرتضى أفندي « أن تيمور أرسل الرسل الى سلطان الروم بايزيد خان يتهدد ويتوعد ويطلب اليه أعادة كل من السلطان أحمد وقرا يوسف ، ولما رفض هذا عزم تيمور على الذهاب الى الروم وأعلن الحرب احدهما على الآخر » كلشن خلفا ، نقله الى العربية موسى كاظم نورس ، ( بغداد ١٩٧١ ) ص ١٦٩ .

( ٤٢ ) لمزيد من التفاصيل عن أوضاع العراق اثناء الغزو التيموري ينظر ، جاسم مهاوي حسين ، الغزو التيموري للعراق والشام وآثاره السياسية ( ١٣٨٥ - ١٤٠٥ م ) رسالة ماجستير في التاريخ جامعة بغداد ( ١٩٧٦ ) ( بالرونيو ) .

( ٤٣ ) الحمداني ، المصدر السابق ، ١٣١ .

( ٤٤ ) المصدر نفسه ، ص ص ١٣١ - ١٣٥ .

وفي عهد البارانيين ( القراقوينلو ) عانت بغداد من ويلات شديدة بسبب التطاحن الاسري بين أمراء القراقوينلو . فقد تعرضت بغداد للحصار على يد الشاه قرا يوسف سنة ( ١٤١٨ م ) في حملة هدفها معاقبة حاكمها الشاه محمد بن قرا الاميران اسبان وجهان شاه ولدا قرا يوسف على رأس حملة هدفها انتزاع بغداد من شقيقهما محمد بعد ان بلغهما نبأ وفاة والدهما الشاه قرا يوسف . ويبدو ان الرجلين كانا قد اتفقا على اقتسام مركزي دولة القراقوينلو الرئيسيين تبريز وبغداد بينهما . وهكذا بينما تحقق لاسبان بعد صراع مرير السيطرة على بغداد سنة ( ١٤٣٢ م ) نجح جهان شاه في انتزاع تبريز من شقيقه اسكندر الذي كان يتولى حكم كركوك في عهد ابيه . (١٦) أما شاه محمد بانه بعد فراره من بغداد إقتنع بحكم الموصل

■ وتترجم أحياناً الشياه السود أو الخروف الأسود ، والقرا قوينلو هو الاسم الذي اشتهرت به العشيرة ثم الأمانة التركمانية . أما باران الذي تنسب اليه هذه العشيرة فهو أحد أحفاد إيغوز البطل الاسطوري عند الأتراك . وقد هاجرت هذه العشيرة من تركستان الى خراسان ثم تفرقت في اذربيجان وايران والعراق واضعة نفسها في خدمة حكام هذه البلدان حيناً من الزمن اذ نيط برؤسائها وظيفة أمراء الكوس ( قادة العشيرة الاف ) ثم تظاهرت قوتهم في عهد بيرام خواجه بن توره ميش الذي استغل وفاة سيده السلطان معز الدين اويس الجلائري لتعزيز سيطرة القرا قوينلو في الموصل وانحائها وتمزز نفوذ القرا قوينلو في عهد قرا محمد بن تورميش ( ١٣٨٠ - ١٣٩٠ م ) حفيد بيرام خواجه بزواج السلطان - أحمد الجلائري من أبنته . في حين كان ظهور تيمور لك عاملاً مهماً في تطوير العلاقة بين القرا قوينلو والجلائريين من التسمية الى التحالف كما أسلفنا . وفي عهد قرا يوسف بن قرا محمد امتد نفوذ القرا قوينلو على مناطق ارجش واوزبك وسلماس وما جاورها في إقليم اذربيجان وعلى الموصل واربيل وسنجار وتوابعها في العراق . كما استقرت تبريز بأيديهم بعد أن تركها تيمور لك . وكان حكامها الجلائريون قد تركوها لتيمور في وقت سابق . وقد أدت محاولة السلطان أحمد الجلائري لاستعادتها بعد وفاة تيمور الى نشوب النزاع الذي انتهى بمقتل السلطان أحمد ودخول القرا قوينلو بغداد .

أنظر ، الحمداني ، المصدر السابق ، ص ٢٣٧ وما يليها ، عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٢ وما يليها ، لين بول ، المصدر السابق ، ص ٥٥٦ - ٥٥٩ ، محمد أسعد طلس ، تاريخ الأمة العربية ، عصر الانحدار ( بيروت ١٩٦٣ ) ص ٣٩ - ٤١ .

( ٤٥ ) علي شاكرك علي ، العراق والغزو القره قوينلو ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ( ٢٧ ) سنة ١٩٨٦

( ٤٦ ) تتضارب الروايات حول طبيعة هذه الصراعات والعوامل المؤثرة فيها . أنظر ، الحمداني ، المصدر السابق ، ص ٢٤٨ - ٢٥٣ ، نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

التي آلت اليه بمساعدة عرب الجزيرة من آل حديثة الطائي . ■

وفي سنة ( ١٤٤٥ م ) تعرضت بغداد للحصار الثالثة على يد جهان شاه حين بلغه نبأ وفاة شقيقه اسبان . وقد استغرق الحصار ستة اشهر خلال سنة ( ١٤٤٧ م ) وانتهى الحصار بدخول الشاه بغداد . فتولى حكمها على التعاقب ولداه محمدي ميرزا ( ١٤٤٧ - ١٤٤٩ م ) وبيربوداق ( ١٤٤٩ - ١٤٦٧ م ) (١٧) . ولم يستقم الامر لبيربوداق حتى النهاية فقد اختلف مع والده جهان شاه بسبب جهود بيربوداق لتوسير دائرة نفوذه في إقليم فارس . وكان موقف الشاه من هذه المحاولات سلبياً الأمر الذي دفع بيربوداق الى الانقطاع عن ارسال الاموال مدة ثلاث سنوات (١٨) . وهكذا سار جهان شاه بعساكره الى بغداد وحاصرها حصاراً شديداً هو الرابع خلال نصف قرن لقي البغداديون من أهواله الشيء الكثير .

وأخيراً استسلم بيربوداق ثم لقي حتفه في حين احتلت عساكر جهان شاه بغداد سنة ( ١٤٦٧ م ) (١٩) . والملاحظ ان ظروف الكيان السياسي القراقوينلي التي اتسمت بعدم الاستقرار لم تتح لهم فرصاً لاقامة علاقات سياسية مع الكيانات السياسية المجاورة وبخاصة الكيانات المهمة منها . ومنذ ظروف الغزو التيموري التي جمعت

■ ينضوي عرب الجزيرة من آل حديثة الطائي تحت لواء « أمارة آل فضل » وهو الاسم الذي اشتهرت به وأوردته المصادر التاريخية . وكان مركز الامارة في الرجة . وهي كما ذكرنا ياقوت الحموي . معجم البلدان ج ٣ ص ٣٤ مدينة على شاطئ الفرات بين عانة والرقبة . وقد لعب آل فضل دوراً مهماً في أحداث المشرق العربي السياسية . فقد ساعد عرب هذه الامارات على تأمين وصول الامير العباسي أبي القاسم احمد بن الخليفة الظاهر - الذي نجا من فتك المغول الى الشام ومن ثم الى مصر . وأشترك آل فضل في الجهود الرامية الى طرد المغول من العراق التي قادها الامير المذكور . وفي العهد الجلائري عملوا على تأمين الحماية للسلطان أحمد الجلائري وأشتركوا في التصدي لتيمور لذك كما كان لهم دوراً مشهوداً في حركة الاسترداد ومقاومة الغزاة التتر .

أنظر ، مهاوي ، الغزو التيموري . ص ص ١٤١ - ١٤٥ ، ٢٤٩ - ٢٥١ ، ٣٣١ - ٣٣٢ ، ٣٥١ ، ٣٧٠ - ٣٧٦ . ولأغراض النص المذكور في متن الكتاب ينظر ، الحمداني ، المصدر السابق ص ٢٥٣ .

( ١٧ ) الحمداني ، المصدر السابق . ص ص ٢٨١ وما يليها .

( ١٨ ) من اجل تقويم محاولات بيربوداق في فارس لا بد من الاشارة الى ان شاه رخ بن تيمور لذك حاكم الدولة التيمورية في هراة كان يدعم بقايا الاسرة الجلائرية التي ظلت تهيمن على أجزاء من وسط وجنوب العراق . فضلاً عن هجماته المتكررة على تبريز . أنظر ، لين بول ، المصدر السابق . ص ٥١٢ ، الحمداني ، المصدر السابق . ص ٢٨٧ .

( ١٩ ) الحمداني ، المصدر السابق . ص ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

بين أمير القراقوينلو والسلطان احمد الجلائري ودفعتهما الى اللجوء الى العثمانيين .  
فأنه ليس بأيدينا اشارة الى تكرار اللقاء بين القراقوينلو والعثمانيين . اما الدولة  
المملوكية فانها على الرغم من مجاورتها للكيان القراقوينلي الا انها كانت حذرة من  
الدخول في احتكاك مباشر مع مراكز القوى القراقوينلوية بسبب من الطبيعة  
البدائية لهذه القوى ومظاهر البربرية في سلوك امرائها . ومن أمثلة ذلك حوادث  
استباحة المدن بوحشية لاتقل عن اعمال تيمورلنك (٥٠) . وقد ظل المماليك في  
منأى من الاحداث على الرغم من قيام بعض أمراء القراقوينلو بالتحركات على  
حدود الدولة المملوكية أو قيام البعض الآخر بإعلان البيعة للسلطان المملوكي هدفه  
كما يبدو فرض وضعية سياسية يمثل تغييرها حرجا لكل من سلطنة القراقوينلو  
وسلطان المماليك .

وقد بقي المماليك على سياستهم هذه حتى بعد تظاهر أمور الكيان التركماني  
الجديد في آسيا الصغرى وهو دولة البايندية (الأق قوينلو) (٥١) . والملاحظ ان  
جهان شاه حاول في أواخر عهده مدفوعاً بمخاوفه الشديدة من احتمالات تطور  
الاحداث لطالح الأق قوينلو ان يقيم تحالفاً مع المماليك . غير ان المماليك لم  
يظهروا اهتماماً بالعرض القراقوينلي فكان ايذاناً بزوال حكم القراقوينلو سنة  
(١٤٧٠ م) (٥٢) .

(٥٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٠ ، ٢٤٧ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣١٥ .

٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٥ ، وأنظر نص مائتله طلس ، المصدر السابق ، ص ٤٣ ، عن  
صاحب كتاب « المنهل الصافي » والذي جاء فيه ، « وأولاد يقرأ يوسف  
بأجمعهم أوحش خلق الله وفي أيامهم خربت ممالك العراق وأطراف المعجم  
ودار السلام ، وهدمت تلك المساجد والمعاهد الجليلة فالله تعالى يلحق بهم  
ومن بقي من آخرتهم وأقاربهم فانهم عار على بني آدم لما أجمع فيهم من  
الساويء والقبائح .. » .

(٥١) وتسمى أيضاً ( الخروف الابيض ) وسيرد تفصيلها في فصل لاحق من هذا  
الكتاب .

(٥٢) على ، المصدر السابق ، ص ٨١ ، وأنظر دلالات ارسال رأس جهان شاه الى  
حلب أيام السلطان المملوكي الملك الظاهر ترميضا ( ١٤٦٧ - ١٤٦٨ م ) .  
العمداني المصدر السابق ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

## الفصل الثاني



حقبة توازن القوى :  
الاق قوينلو والممالك والعثمانيين  
١٤٧٠ - ١٥٠٠ م



## اوزون حسن ومهمة بناء الكيان السياسي للأق قوينلو

كانت الأق قوينلو (البائندرية) (١) من العشائر التركمانية التي استوطنت في جنوب شرق الأناضول وأستطاعت أن تقيم كيانا سياسيا صغيرا على تخوم القوى الكبرى « الدولتين المملوكية والعثمانية » في الشرق الإسلامي في حوالي الثلث الاول من القرن الخامس عشر (٢).

وأخذت هذه الاماره من ديار بكر جهات ارمينية الصغرى مركزاً لها (٣). واستطاع احد أمرائها الاقوياء المدعو حسن الطويل « اوزون حسن » (السلطان حسن فيما بعد ١٤٦٩ - ١٤٧٨) أن يلعب دوراً ملحوظاً في العلاقات السياسية بين مراكز القوى في المنطقة. فقد تحالف حسن الطويل مع البنادقة وحكام مملكة طرابزون الارمنية كما أقام قبل توليه عرش السلطنة علاقات حسنة مع دولة المماليك في مصر والشام. وذلك من اجل الضغط على العثمانيين (١٤٦٣ - ١٤٧٣) (٤) وأستثمر موقع الامارة ومركزها المتوسط على الطرق التجارية البرية التي تربط الشرق بالغرب لزيادة نفوذه ثم أقامة كيان سياسي كبير في المنطقة (٥).

وكنتيجة لذلك دخل حسن الطويل في منافسة شديدة مع حكام أمانة « القراقوينلو » (الخروف الاسود) الذين كانوا يهيمنون على فارس والعراق ونجح في تقويض حكمهم فدانت له فارس (١٤٦٧) والعراق (١٤٦٨) فضلا عن أرمينية

- 
- ١ - (البائندرية) منسوبون الى (بايندر جد التركمان (الأق قوينلو) او (الخروف الابيض) كما درج المؤرخون على تسميتهم. ويقال انهم اتخذوا الخراف البيض شعاراً لهم على راياتهم واعلامهم. انظر العماداني. المصدر. السابق. ص ٣٧٢ هامش رقم (١).
  - ٢ - المصدر نفسه. ص ٣٧٢ - ٣٧٥.
  - ٣ - المصدر نفسه. ص ٣٧٣.
  - ٤ - كارل بروكلمان. تاريخ الشعوب الاسلامية. ترجمة منير البعلبكي ونبيه امين فارس. ط ٦ (بيروت ١٩٧٤) ص ٤٣٧ - ٤٣٩.
  - ٥ - حول ذلك انظر.

Charles Gray, (Ed.), "A Narrative of Italian Travels in Persia in the 15th and 16th Centuries", London 1873.

وشرق الاناضول<sup>(١)</sup> . وأصبحت تبريز مركزا للاق قوينلو وعاصمة ملكهم بدلا من ديار بكر . وقد أمتدح صاحب التاريخ الغياثي وهو من المؤرخين المعاصرين سيرة هذا السلطان فذكر أنه كان عادلاً خيراً . ويقال أيضا انه حاول أبطال الضرائب التي كانت جبي من الناس في أنحاء مملكته ولكن أمراء الأق قوينلو عارضوه . ونسب للسلطان حسن الطويل أيضا « قانون نامه حسن بك » او ( دستور حسن بك ) الذي اصدره للفصل في الشكاوي والخصومات التي تقع بين الحكام والرعية بشأن الضرائب والامور الأخرى<sup>(٢)</sup> .

### الصراع الاسرى بعد وفاة السلطان حسن الطويل ..

توفي السلطان حسن الطويل سنة ( ٨٨٢ هـ / ١٤٧٧ - ١٤٧٨ م )<sup>(٣)</sup> فتولى الحكم بعده أبنه خليل مرزا حاكم شيراز سابقا . ويبدو ان تولي خليل العرش اثار ردود فعل سريعة بين الامراء التركمان - أبناء حسن الطويل<sup>(٤)</sup> واقاربهم - ويقال ان السبب يعود الى ضعف الامير خليل وفساد إدارته وسوء اخلاقه<sup>(٥)</sup> . وكان السلطان خليل قد ابتدأ عهده بقتل اخيه مقصود بك حاكم بغداد في زمن السلطان حسن الطويل كما فتك بعدد آخر من منائيه ومعارضيه سلطنته<sup>(٦)</sup> .

ولم يستمر حكم السلطان طويلا فقد تظاهر ضده الأمراء التركمان واندلعت الاضطرابات ضده . وكان ابرزها ثورة ابن عمه الامير مراد بك بن جهانكير في

٦ - العماداني ، التاريخ الغياثي ، ص ٣٧٩ . بروكلمان ، المصدر السابق ، ص ٤٣٨ .

٧ - العماداني ، التاريخ الغياثي ، ص ٣٩١ - ٣٩٢ .

٨ - انظر ترجمة لشخصية حسن الطويل في ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، ( القاهرة ١٣٥٥ هـ ) ج ٣ ص ١٥٦ - ١٥٧ .

٩ - يقول السخاوي ، الضوء اللامع ، ص ١٥٧ انهم خمسة . ويجعل الرحالة الايطالي ( جيوفان ماريا أنشوليلو ) G.M. Anciolello عدد أبناء حسن الطويل اربعة ويدعي ان احدهم انجبته اميرة طرابزون التي

تزوجها حسن الطويل لتوثيق العلاقات مع هذه الامارة ضد العثمانيين . انظر ،

"Life and Acts of King Usso Cassano," Italian Travels in Persia, P. 74.

ومرفصل من كتاب رحلات الايطاليين في فارس المشار اليه اعلاه .

١٠ - احمد بن لطف الله المولوى ، صحائف الاخبار ، مطبعة عامر ١٣٨٥ هـ المجلد الثالث ، ص ١٦٥ .

١١ - انظر ، ابو المباس احمد بن يوسف الدمشقي القرمانى ، اخبار الدول واثار الأول . طبعة حجرية ( بغداد ١٣٨٢ هـ ) ص ٣٣٧ .

ساوه (١٣) . وأخيرا اتفق أمراء الآق قوينلو مع يعقوب بك اخي خليل بهدف اقضاء الاخير عن السلطنة وبايعوه سلطانا جديدا على الآق قوينلو (١٣) . وعندما تمت البيعة ليعقوب بك أعلن على رأس الاشهاد جلع السلطان خليل وقام لساعته في جيش من التركمان المؤيدين له طالبا السلطان المخلوع الذي كان حينئذ في حرقان (١٤) . وعندما بلغت السلطان خليل هذه التطورات اضطر للسير نحو اذربيجان لملاقاة الثائرين (١٥) .

والتقى الاخوان المتصارعان على نهر خوى (١٦) ودارت بين الفريقين معركة شديدة عرفت بمعركة مرند (١٧) . وذلك في ١٤ ربيع الثاني ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م (١٨) . وقد اظهرت النتائج الاولى للمعركة تفوق عسكر السلطان خليل حتى كان قاب قوسين او ادنى من النصر . غير ان الموقف انقلب بعد انضمام الامير عثمان بك ميران شاهي الى جانب يعقوب بك اثناء المعركة . وقد احدث هذا التحول تخلخلا في جيش السلطان . قلب النصر المنتظر الى هزيمة منكرة انتهت بسقوط خليل قتيلا في ساحة المعركة (١٩) . وتذكر رواية أخرى ان الاميرين مسيح بك ويوسف بك ولدى حن الطويل وشقيقي الاميرين المتصارعين انضموا الى معسكر الثائرين اثناء القتال (٢٠) .

- ١٢ - القاضي احمد غفاري قزويني . تاريخ جهان اراة طهران ١٣٤٣ هـ . ص ٥٣ . غياث الدين همام الدين خواندمير . تاريخ حبيب السير في اخيار افراد يرش . طهران ١٣٣٣ شمس . ج ٤ . ص ٤٣ . وساوة ساوه . مدينة حسنة بين الري وهمدان على مسافة ( ٣٠ ) فرسخا . وبقرها مدينة يقال لها اوه وبينهما نحو فرسخين . ويقول صاحب معجم البلدان ان المدينتين كاننا معمورتين الى سنة ٦١٧ هـ حين جاءها المغول مغربوها . ويبين اوام مدينة ساوه شهدت بعض العمران في الفترة اللاحقة . انظر . الحموي . معجم البلدان ج ٣ ص ١٧٩ .
- ١٣ - شرف خان البدليسي . الشرفنامه . ترجمة محمد علي عوني . القاهرة ١٩٦٢ ج ٢ ص ١٠٨ .
- ١٤ - ( خرقان ) بالتحريك وقيل بتشديد الراء وهي قرية من قوى بساطم على طريق استراباذ . انظر . البغدادي . مرصد الاطلاع . ج ١ ص ٤٦٠ .
- ١٥ - البدليسي . الشرفنامه . ص ١٠٨ .
- ١٦ - ( خوى ) بلد مشهور من اذربيجان . وهو حصن كثير الخير كما يقول صاحب مرصد الاطلاع . ج ١ ص ٤٩٣ . ويبين هناك نهرا بهذا الاسم كما هو واضح من الرواية الواردة اعلاه .
- ١٧ - ( مرند ) من اشهر مدن اذربيجان يقول صاحب مرصد الاطلاع . ج ٣ ص ١٢٦١ . ان المسافة بينها وبين تبريز يومان .
- ١٨ - البدليسي . الشرفنامه . ص ١٠٨ قزويني تارج جهان ارا ص ٢٥٣ .
- ١٩ - قزويني المصدر السابق ص ٢٥٤ .
- ٢٠ - خواندمير . تاريخ حبيب السير . ص ٤٣١ - ٤٣٢ .

ويبدو ان انضمامها الى جانب الامير يعقوب بك دفع امراء آخرين الى الانحياز ضد خليل بك فكان من نتائج ذلك تقرير نهاية المعركة لمصلحة يعقوب بك . ويروي الرحالة الايطالي انسيوليلو مسألة الصراع على عرش الاق قوينلو بصورة مغايرة . فيقول ان مملكة الاق قوينلو بعد وفاة السلطان حسن الطويل بين ثلاثة من ابنائه وان هؤلاء تآمروا على اخيهم غير الشقيق ( ابن الاميرة الطرابزونية ) فخنقوه وذلك لكي لاينعم او يطالب بحصة من الارث الذي تركه السلطان . وقد أعقب ذلك تآمر الأمير يعقوب بك ضد أخويه فقتل خليل وفر الآخر لايلى على شيء في حين قام يعقوب بضم الاقاليم التي كانت خاضعة لأخويه ونصب نفسه سلطاناً<sup>(٢١)</sup> .

وعلى اية حال فقد توجه السلطان يعقوب بعد أنتصاره في ( مرند ) الى العاصمة تبريز وأستولى على مقاليد الامور فيها . وخضعت للسلطان الجديد انحاء العراق وأذربيجان وأصفهان وفارس ويزيد وكرمان حتى حدود خراسان<sup>(٢٢)</sup> . على انه لم تمض غير فترة قصيرة على توليه امور السلطنة حتى وجد حكمه مهدداً بتمرد بعض الامراء التركمان تباعاً . فقد خرج عليه اولاً الوند بك خليل بك ( السلطان السابق ) في جهات شيراز كما خرج عليه ايضاً كوسة أمير أصفهان . ولكن السلطان يعقوب تمكن من المتمردين بعد ان جرد جملة بقيادة الأمير بايندر بك الذي نجح في إعادة الاستقرار للمناطق المتمردة . وقضى على العصاة<sup>(٢٣)</sup> .

### تحرك القوى العربية المحلية في خضم الاضطراب السياسي ..

بالنظر لهيمنة القوى السياسية الاجنبية من تركمان وعثمانيين ومماليك على معظم انحاء المشرق الاسلامي فان النفوذ السياسي العربي انحسر عموماً ولم يبق منه الا الاسم احياناً . كما هي الحال في القيادة - الاسمية التي تمتعت بها الخلافة العباسية الواقعة تحت سلطنة المماليك في مصر . وعلى الرغم من ذلك يمكن للمتتبع لتاريخ هذه الحقبة ان يلحظ اهمية الدور الذي اضطلعت منه المشيخات العربية باعتبارها مؤسسات سياسية محلية مستقلة الى حد كبير عن نفوذ القوى الاجنبية المحتلة وان جهود هذه المشيخات للتصدي للقوى الاجنبية الغازية ساعد على بقاء

<sup>٢١</sup> - "Life and Acts of King Usso Cassano", p. 74.

<sup>٢٢</sup> - مرزا حسن فسائي . تاريخ فارسنامه . طبعة حجرية ١ ص ٨٠ .

<sup>٢٣</sup> - قزويني . تاريخ جهان ارا . ص ٢٥٤ .

انحاء المشرق العربي في منأى من نفوذها . وهكذا لم تستطع القوى الاجنبية ان تمد سيادتها او هيمنتها بعيدا وراء أسوار المدن الرئيسة .

وخلال القرن الخامس عشر لعبت اماره ال فضل العربية في الرحبة (٢٠) . وأما المشعشين العربية في الحويزه دورا سياسيا مؤثرا في مجريات الاحداث . ففي مطلع القرن المذكور كان لعرب ال فضل في الرحبة دور ملحوظ في مقاومة الغزو التيموري الذي تعرضت له بلاد العراق والشام . وقد ذكرت العديد من المصادر دور شيخ ال فضل المدعو نعيم محمد بن جبار مهنا بن عيسى حديشه الطائي في حركة الاسترداد . ومقاومة الغزاة (٢١) .

اما الامارة الثانية وهي اماره المشعشين فقد لعبت دورا متميزا خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر بشكل خاص اذ اتسعت حدودها ودائرة نفوذها في اقليم الأحواز ووسط وجنوب العراق وشمال الخليج العربي . والمشعشعون منسوبون الى المشعش وهو محمد بن فلاح مؤسس الامارة العربية المشعشية عام ( ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م ) . ويزعم ان جسمه كان يتشعش عندما يقول بأعمال خارقة (٢٢) .

مشعش الخد كم دبب عقاربه  
بوجنتين وكم سابت افاعيه  
وسجر النار في قلبي وحل بها  
ان المشعش نار ليس تؤذيه

- 
- ٢٤ - الرحبة احدى المدن المراقبة الواقعة على شاطئ الفرات بين عانة والرقه وتقع الان في محافظة الانبار . انظر ، الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣٤ .
- ٢٥ - انظر السخاوي ، المصدر السابق ، ١ ص ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، وكذلك ابن تغري بروجي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ج ١٣ تحقيق فهمي شلتوت ( القاهرة ١٩٧٠ ) ص ١٦٥ ، وانظر خاصة مهاوي ، الغزو التيموري ص ص ١٤١ - ١٤٥ ، ٢٤٩ - ٢٥١ ، ٣٣١ - ٣٣٢ ، ٣٧٠ - ٣٧٦ وتابع وضع الاماره وعلاقاتها بالمماليك والتركمان خلال هذه الحقبة في .. عباس الغزاوي تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٢ ( بغداد ١٩٣٩ ) ص ص ٢٦٤ - ٢٦٦ . انظر ايضا الفصل الاول من هذا الكتاب .
- ٢٦ - انظر محمد هليل الجابري ، اماره المشعشين ، رسالة الماجستير غير منشوره ، بغداد ١٩٧٣ ، الباب الاول نشأة بني المشعش وعقيدتهم ، ص ص ١١ - ٣٥ . اما الشمر فهو منسوب الى الشيخ جعفر العلمي انظر ، علي نعمه الحلو ، الاحواز ( عربستان ) في ادولرها التاريخية بغداد ١٩٦٩ ) ، ص ٢ ، ص ١٤٧ .

بدأ مؤسس هذه الامارة محمد بن فلاح ( الذي كان ينتسب للنسب العلوي ) نفوذه السياسي بتعبئة القبائل العربية في الحويزة . ويقال انه امر القبائل المؤيدة له بجمع وحيازة الاسلحة عن طريق بيع مالديهم من ابقار وجواميس . وذكر ايضا ان الامير محمد بن فلاح اعقب اجراءه ذلك بعمليات عسكرية هدفها اجبار حكام القرية قوينلو في شيراز للاعتراف باستقلال المشعشين<sup>(٢٧)</sup> .

وعلى اية حال فقد نجح المشعشع واتباعه في دخول الحويزة في مطلع العقد الخامس من القرن الخامس عشر . وفي نهاية العقد المذكور كانت مدينتا الدورق ودسبول قد سقطتا في يده<sup>(٢٨)</sup> كما سيطر على خطوط المواصلات بين البصرة وواسط وبين الأحواز وفارس . وفي غضون ذلك فشل حاكم بغداد القراقوينلي المعروف بـ « اسبان » وحاكم شيراز القراقوينلي « بير بوداق » في محاولتهما القضاء على نفوذ المشعشين . وفي مقابل ذلك تشجع المشعشعون وتجرأوا على الهجوم على انحاء كثيرة في وسط وجنوب العراق<sup>(٢٩)</sup> .

وعندما توفي محمد بن فلاح المشعشي عام ( ٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م ) . خلفه ولده « السيد » محسن بن محمد بن فلاح . وقد اضحت الامارة العربية المشعشعية راسخة القواعد قوية البنيان وواسعة النفوذ . وعرضت بعض المصادر حدود هذه الامارة في عهد محسن المشعشي فقالت ان ملكه « امتد في بلاد عراق العرب الى سور بغداد . وملك البصرة وشط بني تميم وأمتدت املكه في عبادان والاحساء والقطيف ثم الدورق وسواحل الخليج العربي الى بندر عباس وجميع البنادر الى حدود فارس ثم كوة قيلويه ودهدشت ورامهرمز ثم شوستر وبشتكوه وكرمنشاه وسميرا وبهبهان بالاضافة الى مناطق البخترية واكراد لورستان الفيلية وبيات وغيرها من المناطق المتاخمة لها<sup>(٣٠)</sup> . وقد انعكس هذا النفوذ على شخصية الامير المشعشي ومنزلته السياسية حتى قيل للأمير محسن المشعشي ( الملك المحسن ) . وذكر ايضا ..

« كانت اوضاعه في جلوسه وركوبه وخيله وخدمه وحشمه . اوضاع ملك مستقل . تقاد الخيل المرسجة بالذهب والجواهر امامه ... »<sup>(٣١)</sup>

٢٧ - المزوي المصدر السابق . ص ١١٢ .

٢٨ - قارن مع ما يذكره العلو . المصدر السابق . ص ١٥٧ . ١٦٠ .

٢٩ - الحمداني . التاريخ الفياثي . ص ٢٧٤ - ٢٧٦ .

٣٠ - محسن الامين . اعيان الشيعة . ج ٤٣ ( دمشق ١٩٤٨ ) ص ٢٠٠ . وانظر العلو . الاحواز ص ١٦٧ .

٣١ - العلو . المصدر نفسه . ص ١٦٦ .

ولم يقتصر الامر على ذلك ، بل انه نجح في تهديد حكم القراقوينلو ونفوذهم في وسط العراق وذلك عندما انتزع الحلة لفترة قصيرة من الزمن في اواخر عهد جهان شاه بن قرا يوسف التركماني . وعندما نجح آلاق قوينلو في تفويض ملك اقاربهم القراقوينلو استغل الامير محسن المشعشي الفرصة فأستولى على اطراف الحلة . وجاء في بعض المصادر ان الامير المشعشي وطد نفوذه في انحاء عربستان عن طريق بناء قلاع عديدة اشهرها قلعة الحويزة المعروفة « بالمزية » وكذلك قلعة « المشكوك » وقلعة « الشوش » وقلعة « الداير » كما بنى ايضا مدينة ( المحسنية ) الحصينة . ( ٣٢ ) وجاء في اعيان الشيعة ان الامير محسن المشعشي لما بلغه خبر سيطرة يحيى بن محمد الاعمى شيخ قبيلة آل عزى على مدينة البصرة توجه نحوها بسرعة وكان على رأس فرقة من خيالاته للعمل على انتزاع البصرة من ايدي الشيخ محمد الاعمى . والطريف امان المشعش عرض على الشيخ محمد الاعمى ان يتنازلا في ساحة الوغى ليكفوا المومنين القتال ويتسلم المنتصر في المباراة مدينة البصرة . وفعلا جرت المباراة بين الشيخ الاعمى والامير محسن فاسفرت عن سقوط الشيخ الاعمى صريعا وأعقب ذلك استسلام البصرة للمشعشين . ( ٣٣ )

### حكومة بغداد في عهد الاق قوينلو وغارات المشعشين ..

لما كانت تبريز مقرا لسلطان الاق قوينلو . فان سيطرتهم على بغداد جعل من العراق ولاية تابعة . وكان السلطان يولي الامراء المقربين منه على حكومتها نظرا لاهميتها . وقد تعاقب على حكومة بغداد العديد من الامراء التركمان في فترة قصيرة الامر الذي ادى الى اضطراب احوالها . فخلال حكم السلطان حسن الطويل كان ولده مقصود بك حاكما على بغداد يساعده كل من الامير خليل اقا الملقب بـ « كور خليل » والامير قور قماز بن محمد بك الملقب بـ « الجريء » وهو ابن عم مقصود بك وبعد وفاة خليل اقا سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م عين بدلاً عنه الامير خليل اخو الامير قور قماز وهو الذي اتاح للامير محمد بك بن شيخ حسن اوغرلو واعوانهم السيطرة على مقاليد الامور في بغداد لفترة قصيرة سنة ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م . ولكن السلطان حسن الطويل تمكن من المتمردين بينما فر ابنه الامير محمد بك الى الدولة العثمانية بمساعدة خليل بك ابن محمد بك ( ٣٤ ) .

٣٢ - الحلو ، نفسه . ص ١٦٧ - ١٦٨ ، ١٧٠ - ١٧١ .

٣٣ - الامين ، المصدر السابق ، ٢٠١ .

٣٤ - نسقت هذه المعلومات عن طريق التوفيق بين الروايات المتضاربة التي ذكرتها المصادر التاريخية التي تعرضت لبحث تاريخ هذه العقبة .

وقد أجرى السلطان حسن الطويل تغييرات مهمة على حكومة بغداد شملت جميع الامراء المتواطئين مع الامير احمد اوغرلو او المؤيدين له . وقام بهذه المهمة حاكم بغداد الجديد المدعو « شاه علي » وقضى الأخير على كرسي حكومة بغداد فترة ثلاث سنوات جرى عزله بعدها لمصلحة حاكم اخر يدعى ابراهيم الوزير وكان ذلك في اوائل رجب سنة ٨٨٢ هـ / ١٤٧٧ م (٣٥) . وفي ١٧ / شعبان من السنة المذكورة وصل بغداد حاكم جديد يدعى امير بك شيخ حسن ولكنه عزل بعد ( ١٤٦ ) - يوما ليخلفه حاكم آخر اسمه كلابي بن امير بك الملقب « تقيمق بايندر » الذي وصل بغداد في ٢٣ / ربيع أول سنة ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م (٣٦) . وقد حملت الانباء بعيد وصوله اخبار الصراع بين ابناء السلطان حسن الطويل واضطراب الاحوال في عاصمة الاق قوينلو ( تبريز ) .

وفي غضون ذلك دخل المشعشعون طرفا في الصراعات المحلية والاسرية التي كانت تنشب بين امراء الاق قوينلو حتى انهم قبل لجوء الامير خليل بك بن محمد بك الذي غضب عليه السلطان حسن الطويل لتواطئه مع الامير محمد اوغرلو المتمرد على سلطة ابيه . وقد لبث خليل بك عندهم قرابة سنة وثمانية أشهر حتى عفى عنه السلطان سنة ٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م (٣٧) . وظل المشعشعون يراقبون الاوضاع عن كثب فلما كانت وفاة السلطان حسن الطويل ٢٧ / رمضان / ٨٨٢ هـ / ١٤٧٨ م واضطراب الدولة في عهد السلطان خليل هاجموا المناطق القريبة من بغداد في جمادى الاول من سنة ٨٨٣ هـ / ١٤٧٩ م . وقد وصل المشعشعون اثناء هجومهم هذا الى ناحية قناقية قرب الحلة . وقد تذرع نائب الامير المشعشي في الرماحية (٣٨) بأن عدداً من الاتباع لجأوا الى هذه المنطقة حيث تقع ديار عشيرتي « ال جحيش » و « ال جوذر » ففتك بالاشخاص المطلوبين . وقام بنهب ( الديرة ) المذكورة ثم قفل عائدا الى الرماحية .

- 
- ٣٥ - الحمداي . التاريخ الغياي . ص ص ٣٨٧ - ٣٩٠ .  
 ٣٦ - التاريخ الغياي . ص ص ٣٨٩ - ٣٩٠ . هامش رقم ( ٢ ) ص ٣٩٥ .  
 ٣٧ - المصدر نفسه . ص ٣٩٠ . ويستنتج عباس العزاوي من النقود المضروبة في بغداد سنة ٨٧٥ هـ ان حاكم بغداد الاق قوينلي كان مشايما للمشعشين . وانظر . تاريخ النقود العراقية لما بعد الميود العباسية ( بغداد ١٩٥٨ ) ص ص ٨٤ - ٨٥ .  
 ٣٨ - الرماحية بلدة تقع بالقرب من النجف وانقاضها اليوم تظهر قائمة على جدول كان يصلها في الماضي من الفرات انظر . الحمداي . المصدر نفسه . ص ٣٩٤ هامش رقم ( ٢ )

وفي ١٩ / جمادى الآخرة من السنة نفسها عاود النائب المشعشي مهاجمة اطراف بغداد وتجاوزها شمالاً الى ديالى والخالص وقام بأعمال القتل والنهب كما اسر العديدين ثم عاد إدراجّه بعد ثمانية ايام ( ٢٦ / جمادى الآخرة ) (٣٩) .

اما حاكم بغداد كلابي بن امير بك فانه عندما بلغه هجوم المشعشين خرج من بغداد طلباً للنجاة ولكنه عاد إلى المدينة على جناح السرعة بعد ان علم بأنسحاب المشعشين . وقد اظهر سخطه على بعض الاشخاص فأتهمهم بالتعاون مع المشعشين . وكان من بين هؤلاء الحاج ناصر الدين القتباني وأولاده. فأمر بقتلهم (٤٠) .

على ان اجراءات حاكم بغداد المذكور لم تنقذه من سخط ولاية الامور في تبريز ويبدو ان السلطان يعقوب الذي امتلى عرش السلطنة في ربيع الثاني سنة ٨٨٣ هـ / ١٤٧٩ م قد حمل حاكم بغداد كلابي ابن امير بك مسؤولية الفوضى التي ضربت اطناها في بغداد واطرافها . ومن جهة اخرى فان وصول السلطان الى الحكم أثر معركة طاحنة مع اخيه السلطان خليل كان لابد ان يستتبعه تغيير في ادارة وحكام الاقاليم التابعة لدولة الآق قونيلو تبعاً لموقفهم من الصراع الذي نشب بين الاخوين . وهكذا عزل كلابي عن حكومة بغداد في ١٥ من ذي الحجة / سنة ٨٨٣ هـ / ١٤٧٩ م (٤١) .

ولم تنقطع هجمات المشعشين عن الاراضي والمناطق القريبة من مراكزهم وخاصة وسط وجنوب العراق الذي عانى من ذلك كثيرا . وقد ادت هذه الحال الى قيام السلطان يعقوب بتوجيه ضربة قوية لهم عام ( ٨٨٩ هـ / ١٤٨٤ م ) وذكرت بعض المصادر ان الحملة تمكنت منهم وهزمتهم في عقر دارهم (٤٢) .

### التطلعات المملوكية نحو العراق والنتائج المحزنة لمعركة الرها :

كانت العلاقات بين الآق قونيلو في جنوب الاناضول والمماليك في بلاد الشام متوترة خلال عهد السلطان حسن الطويل . على ان ان حوادث مهمة لم تحصل

---

٣٩ - المصدر نفسه . ص ص ٣٩٤ - ٣٩٥ .

٤٠ - المصدر نفسه . ص ٣٩٥ .

٤١ - الحمداي . تاريخ الفيائي . ص ٣٩٥ .

٤٢ - القرمانلي . اخبار الدول . ص ٣٣٧ .

بينهما بحكم التقاء المصالح السياسية للدولتين والتي كانت تهدف الى مواجهة العثمانيين الذين تطورت قوتهم سريعا خلال القرن الخامس عشر .

على انه بعد وفاة حسن الطويل وما اعقبه من تطاحن عائلي على السلطة وجد المماليك الفرصة مواتية لمد حدود دولتهم شمالا باتجاه ديار بكر وارضى الآق قوينلو التي اخلاها يعقوب بك اثناء صراعه مع السلطان خليل<sup>(١٣)</sup> .

وعلى الرغم من ان يعقوب بك حسم الصراع سريعا لمصلحته واعتلى عرش السلطنة في تبريز . الا ان السلطان المملوكي قايتباي اعتقد بأن الآق قوينلو بحاجة الى وقت طويل قبل ان يكونوا قادرين على تنظيم الاوضاع في مملكتهم . وهكذا فقد اصدر اوامره الى كبير قواده الامير يشبك الدواتردار باشي بك ليكون على استعداد لانتزاع الاقاليم الواقعة في جنوب الاناضول والجزيرة بما فيها ديار بكر نفسها<sup>(١٤)</sup> .

وأزاء هذه التطورات اضطر السلطان يعقوب الى اتخاذ اجراءات سريعة لمواجهة المحاولات التي ينوي المماليك القيام بها ضد الآق قوينلو . ويذكر ان حملة كبيرة ارسلت الى الاقاليم الغربية من دولة الآق قوينلو لتتولى حماية تلك الاقاليم المهددة بالسقوط بيد المماليك<sup>(١٥)</sup> .

وتولى قيادة جيش التركمان ثلاثة من خيرة القادة في جيشهم وهو الامير بايندربك والامير سليمان بيزن اوغلي والامير صوفي خليل مووصلو . وقد شارف هؤلاء مع عساكرهم مدينة الرها حيث التقوا عند ضواحي المدينة المذكورة بجيش المماليك الذي يقوده الدواتردار ودارت عند اسوار المدينة رحى معرك شديدة أسفرت عن هزيمة المماليك وسقط خلالها معظم الجيش المملوكي بين قتيل او جريح او أسير . أما الدواتردار فكان من بين الاسرى وقد أسرع التركمان ففتكوا به مع جمهرة من قادة جيشه ثم حزوا رؤوسهم وحملوها الى تبريز<sup>(١٦)</sup> .

---

١٣ - البديسي ، الشرفنامه ، ص ١٠٩ .

١٤ - المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .

١٥ - قزويني ، تاريخ جهان ١ ، ص ٢٥٤ .

١٦ - البديسي ، الشرفنامه ، ص ١٠٩ - ١١٢ . وانظر ايضا قزويني ، تاريخ جهان آرا ،

٢٥٤ . وقارن ايضا بـ ( أنشيوللو ) . Anciolello, Usson Cassano, pp. 98-99 .

خاصة الإشارة الى سقوط الرها بيد المماليك واصرار التركمان على استعادتها .

ذلك ماتذهب اليه المصادر. الفارسية اما المصادر العربية وعلى رأسها تاريخ ابن اياس وهو شيخ المؤرخين في عصره فيفهم من التفاصيل التي اوردتها ان اسباب المشكلة التي ادت الى الصدام المملوكي مع الآق قوينلو في الرها تعود إلى تذبذب ولاء رؤساء امارة آل فضل في اعالي الفرات والجزيرة بين المماليك والآق قوينلو. يقول ابن اياس :

( ان الدواتردار كان يتابع الامير سيف بن علي الطائي من امراء آل فضل في الجزيرة فأضطر هذا الى اللجوء الى الرها طلباً للحماية من امرائها التركمان الآق قوينلو. اما الدواتردار الذي ركب صهوة العناد والغرور وقرر متابعة خصمه اينما ذهب . فقد وجد نفسه مضطراً لحصار الرها وأجبار التركمان على التسليم بمطالبه ويستطرد ابن اياس في سرد تطورات الاحداث فيقول ان التركمان الذين عانوا كثيرا من الحصار ارسلوا الى الدواتردار يطلبون منه رفع الحصار تمهيداً لتسليم الشخص المطلوب مع فدية مناسبة عوضاً عن الاضرار التي تكبدها جيش المماليك أثناء الحصار . ولكن الدواتردار رفض هذه العروض واصر على استسلام المدينة وبعكس ذلك فانه سيأخذها قهراً (١٧) .

ويذهب ابن اياس الى القول بأن الامير بايندر كان يدافع عن الرها وأنه ازاء اصرار الدواتردار واستمرار الحصار اضطر الى الخروج بمن معيته من قوى التركمان والتحم مع المماليك في معركة قوية عند أسوار المدينة . وقد فاجأ التركمان المماليك بخروجهم وهجومهم غير المتوقع فاضطرب المماليك وتفرقت صفوفهم وحلت بهم الكارثة . اما ابرز القادة المماليك الذين وقعوا في قبضة الامير بايندر بك فهم بالاضافة للدواتردار قانصوه اليحياوي نائب الشام وازدمر نائب حلب وجانم الجداوي نائب حماه . وكانت الموقعة ضربة شديدة للمماليك حتى وصفها ابن اياس بقوله : « وكانت مصيبة عظيمة مهولة قل ان يقع مثلها لعسكر مصر .. » (١٨) . والقي ابن اياس تبعة الهزيمة على الامير الدواتردار بسبب رفضه عروض الامير بايندر بك السلمية وأضاف ان اطماع الامير الدواتردار بالاستيلاء على الرها ومن ثم السيطرة على العراق هي التي القت بجيش المماليك الى النهاية المذكورة (١٩) .

---

١٧ - محمد الحنفي المصري ابن اياس . بدائع الزهور في وقائع الدهور . ط ٢ .

( القاهرة ١٩٦٣ . ٣ ص ١٧١ .

١٨ - المصدر نفسه . ص ١٧٢ .

١٩ - نفسه . ص ١٧١ .

وكان الفصل الثاني من الهزيمة التي تعرض لها المماليك شديد الوطء على المماليك ذلك لأن الأمير بايندر لم يكتف بقتل الاسرى وانما حمل رؤوسهم على الرماح الى تبريز . ويقال ان موكب الرؤوس كان يتوقف في المدن الواقعة على الطريق بين الرها وتبريز ليطاف بها تباهياً . وقد حمل بايندر بك جميع ماغنمه من عساكر المماليك الى تبريز وكانت الغنائم تشمل « الجنود والاموال والسلاح والقماش » (٥٠) .

احدثت موقعة الرها ردود فعل سريعة لدى حكام مصر والشام المماليك . وتقول المصادر ان الامر عظم على السلطان المملوكي قايتباي وصار يستعد لتوجيه ضربة رادعة للتركماني . على ان السلطان يعقوب أظهر مهارة دبلوماسية وحصافة سياسية اقنعت المماليك بضرورة تجاوز الحادثة المذكورة لمصلحة التعاون المشترك ضد العثمانيين . فقد اصدر السلطان يعقوب اوامره بنقل الأمير بايندر بك من الرها الى اصفهان كاجراء يفهم منه ان السلطان ابعد القائد المسؤول عن الحادثة (٥١) ومن ناحية اخرى ارسل سلطان الآق قوينلو وفداً الى السلطان المملوكي قايتباي وهو يحمل رسالة من يعقوب يعتذر فيها عما حصل مؤكداً عدم معرفته وعدم رضاه عما قام به الأمير بايندر بك (٥٢) .

وقد استجاب السلطان قايتباي لمبادرة السلطان يعقوب الدبلوماسية . وأشار ابن اياس الى ان الوفد التركماني لقي الترحيب في القاهرة كما خلع عليه سلطان مصر وأرسل معه الهدايا الثمينة للسلطان يعقوب (٥٣) .

أما الأمير بايندر فقد ساءه كثيرا ان يكافئه سيده بهذه الطريقة ويذكر غفاري قزويني ان ولاية اصفهان لم ترق لبائندر بك وأنه كان يطمع بترقية اعظم (٥٤) وهكذا حصل ما كان متوقعا اذ خرج بايندر بك على طاعة السلطان يعقوب وأظهر التمرد على الدولة علناً . فاضطر السلطان يعقوب الى السير لقمع تمرده . فطارده الى حدود بابه بنفسه ولكنه قرر العودة الى تبريز بعد فرار بايندر بك الى مدينة قم .

---

٥٠ - المصدر نفسه ، ص ١٧٣ .

٥١ - قارن بما يذكره قزويني ، المصدر السابق ، ص ٢٥٤ وهو ان السلطان يعقوب كافأ بايندر بك بنقله الى اماره اصفهان .

٥٢ - ابن اياس ، المصدر السابق ، الصفحة نفسها ص ١٨٩ .

٥٣ - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

٥٤ - قزويني المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

وقد لاحقه بأمر من السلطان الامير صوفي خليل موصلو حتى ظفر به وقتله سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م (١٠٠) .

### مغزى التقارب العثماني الآق قونيلي ..

كانت العلاقات بين الدولة العثمانية ودولة الآق قونيلو قد ساءت كثيراً في عهد السلطان حسن الطويل بسبب محاولات الاخير التوسع على حساب العثمانيين في منطقة قرماتيا في جنوب غرب الاناضول أولاً وبسبب تحالفه مع امارة طرابزون المسيحية ومصاهرته لحكامها ثانياً ، واخيراً بسبب جهوده لتشكيل جبهة ضد العثمانيين بالتعاون مع آل كومنينس الطرابزونيين والبنادقة (١٠١) .

على ان السلطان محمد الثاني ( الفاتح ١٤٥١ - ١٤٨١ ) تمكن من تحطيم هذه الجبهة وذلك عندما دمرت جيوشه مملكة طرابزون المسيحية واسرت آخر اباطرتها داود آل كومنينس مع جمهرة من النبلاء واقتيدوا أسرى الى استانبول عام ( ١٤٦١ م ) . كما الحق محمد الفاتح الهزيمة بقوات حسن الطويل في « تراجان » عام ( ١٤٧٣ م ) واخيراً قام السلطان العثماني بتصفية قواعد البنادقة والجنويين في آسيا الصغرى واليونان خلال السنوات اللاحقة (١٠٢) .

وأزاء هذا الموقف المعادي الذي وقفه السلطان حسن الطويل ضد العثمانيين قام هؤلاء من جانبهم بأحتضان العناصر المتمردة ضد سلطان الآق قونيلو وذكر في هذا المجال ان العثمانيين استقبلوا بحفاوة حاكم بغداد التركماني الامير احمد بن محمد باغرلو الثائر على السلطان حسن الطويل وقام السلطان العثماني بايزيد الثاني ( ١٤٨١ - ١٥١٣ ) باكرامه وزوجه من احدى بناته (١٠٣) .

على انه بعد وفاة السلطان حسن الطويل شهدت العلاقات العثمانية الآق قونيلوية انفراجاً نسبياً . فقد ارسل السلطان بايزيد الثاني يهنيء السلطان يعقوب بمناسبة قضائه على منافسيه واعتلائه عرش السلطنة . وجاء في المصادر ان سفارة عثمانية وصلت الى تبريز تحمل الهدايا للسلطان يعقوب وانها اي السفارة استقبلت

١٠٥ - المزوي . تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٣ ص ٢٦٥ .

١٠٦ - Anciolello, Op. Cit., p. 73.

١٠٧ - بروكلمان ، المصدر السابق ص ٤٣٧ - ٤٤١ .

١٠٨ - السخاوي . الضوء اللامع ، ج ٣ ص ١٥٦ - ١٥٧ وقارن بنظمي زادة مرتضى افندي ، كلش خلقا ترجمة

موسى كاظم نورس النجف الاشرف ١٩٧٠ ، ص ١٧٨ .

بحفاوة بالغة . وذكر أيضاً ان اعضاء الوفد العثماني الذي ترأسه الامير ايلجيان نقلوا الى السلطان العثماني ما شاهدوه من مظاهر الابهة والحفاوة في بلاط السلطان يعقوب (٥٩)

ان المبادرة الدبلوماسية العثمانية التي تعبر عن الرغبة في فتح صفحة جديدة من العلاقات الايجابية بين العثمانيين والآق قوينلو يمكن عدها خطوة منطقية على ضوء التحركات المملوكية في جنوب الاناضول والاقاليم الغربية لدولة الآق لدولة الآق قوينلو والرد الآق قوينلي الحازم في الرها .

### بلاط الآق قوينلو : بعض دلالات القوة والسلطان ..

خلال عهد السلطان يعقوب بن حسن الطويل طغت شهرة بلاطه الذي شغل العمارة المعروفة بأسم « هشت بهشت » اي « الجنان الثماني » على غرار المباني التي اشتهرت بها عواصم الدول الاسلامية الكبرى آنذاك . ويذكر ان هذه العمارة التي بدأ العمل فيها سنة ( ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م ) أطنب في وصفها مؤرخو ذلك العصر . وقدم احد الرحالة الايطاليين وصفاً للعمارة المذكورة ننقل منه ما يأتي :

« خطط موقع العمارة في ناحية جميلة مقابلة لمدينة تبريز . وشيد البناء وسط حدائق غناء وحصن بسور . ويبلغ ارتفاع العمارة ثلاثين ذراعاً ومحيطها يتراوح بين سبعين وثمانين ذراعاً . والبناء ينقسم الى ثمانية اقسام يضم كل قسم منها اربع غرف واربعة دواوين . وفي كل غرفة قاعة بأتجاه مدخل العمارة . وشغل بلاط السلطان البهو الرئيس ( القاعة الرئيسية في العمارة وهو يسيطر على مداخل الغرف والقاعات ويؤدي اليها جميعاً . وترتفع فوق البلاط قبة دائرية يستطيع الناظر ان يرى من اعلى القبة السهول المحيطة بالعمارة . وتتألف الأبنية الملحقة بالعمارة من مسجد ومستشفى واصطبلات . وهندسة البناء من الجمال حتى ان القلم يعجز عن وصفه ( كذا ) . فقاعة العمارة التي تنتصب وسط الجنائن مؤلفة من مصاطب دائرية يبلغ ارتفاع كل مصطبة ياردة . ونصف وقطرها خمس ياردات . وتنتصب على تلك المصاطب مصاطب اخرى صغيرة تبدو للناظر معلقة على المصاطب الكبيرة . كما نحتت في المصاطب الكبيرة قنوات سائبة بعمق اربعة اصابع تظهر ملتفة حول

المصاطب الكبيرة بما يشابه التفاف الافاعي . وتنتشر في العمارة برك ماء صغيرة وجميلة . وباحة العصر او القاعة الكبيرة التي تحتل وسط العمارة مزينة بالذهب والفضة كما زينت جدران القاعات بالرسوم التي تصور بعض المعارك وحملات الصيد واستقبال السفارات . واللون العام للعمارة هو اللون الازرق . (١٠)

هكذا حاول السلطان يعقوب بن حسن الطويل وهو احد اقدر سلاطين الآق قوينلو . ان يظهر عظمة سلطانه وملكه متشبهاً بسلاطين آل عثمان وسلاطين المماليك (١١) . لقد اتمت السنوات الأخيرة من عهده بالاستقرار النسبي والأزدهار الملحوظ للتجارة بين الشرق والغرب والانفراج في العلاقات مع ابرز دولتين في الشرق الاسلامي وهما الدولة العثمانية والدولة المملوكية . ولم يكن من قبيل المصادفة ان يذكر الرحالة الايطاليون عهد هذا السلطان بالخير وان يدعوا المؤرخ الغياثي له بخلود الملك (١٢) . على ان هذا الاستقرار كان فترة هدوء تسبق العاصفة . فقد توفي السلطان يعقوب سنة ( ٨٩٦ هـ / ١٤٩١ م ) (١٣) لتشهد دولة الآق قوينلو مرحلة جديدة من الصراع الاسرى والاضطراب السياسي أدنت بانحلال الدولة وسقوطها (١٤)

---

٦٠ - انظرا القسم الثاني في كتاب ( أنشيوليو ) و Anciolello المعنون ،

"The Travels of Marchant in Persia" الصفحات 174 - 173.

٦١ - انظرا اسمه بين الملوك والسلاطين الشعراء ، - رضاقلبي خان هدايت ، مجمع الفصحاء ، طهران ١٣٣٦ هـ ج ١ ص ٣٣٨ .

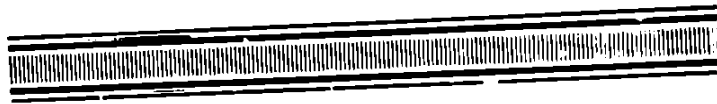
٦٢ - انظر ما سبق وانظر ايضا الحمداني ، التاريخ الغياثي ، ص ٢٩٣ .

٦٣ - قبل انه مات مسموما انظر ، القرماني ، اخبار الدول ، ص ٣٣٨ . وقيل انه مات بسبب أعماله ضد اقربائه آل صفي الدين انظر ، خواندمير ، تاريخ حبيب البير ، ص ٤٣٢ .

٦٤ - انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب .



### الفصل الثالث ...



مرحلة التوسع الصفوي  
اضطراب ميزان القوى في مطلع القرن  
السادس عشر  
١٥٠٠ - ١٥١٠ م



## خلفية تاريخية ...

في عام ( ١٣٣٤ م ) توفي في اردبيل<sup>(١)</sup> الشيخ اسحق صفى الدين بن جبرائيل المنتسب بالنسب العلوي . وكانت شهرته قد ذاعت بأعتباره ولياً من الأولياء . وتعود المنزلة التي اختص بها - على ما يبدو - الى الخطوة الكبيرة التي لقيها عند رشيد الدين وزير الدولة الايلخانية في فارس<sup>(٢)</sup> . وكانت طريقته التي عرفت « بالصفوية » صوفية في نشأتها مثلها في ذلك مثل الطرق الصوفية الاخرى التي نشأت في أنحاء المشرق الاسلامي خلال عهود الاضطراب والقلق السياسي<sup>(٣)</sup> .

وخلال الغزو التيموري لبلاد اذربيجان وضع تيمورلنك ( ١٣٣٦ - ١٤٠٥ ) اردبيل وضواحيها وقفاً على قوجه علي حفيد صفى الدين وعلى ابنائه من بعده . فصارت ارثاً لهم شأنها في ذلك شأن مشيخة الطريقة الصفوية التي توارثوها<sup>(٤)</sup> .

والواقع ليس في الرويات المتوفرة ما يفسر سلوك تيمور هذا تفسيراً دقيقاً غير ما يقال عن مشاعر العطف التي ابداهها تيمور لشيخ الطريقة الصفوية . فعلى الرغم من السمعة السيئة التي ذاعت عن تيمور لنك واعماله التدميرية فان اكثر من مصدر نقل اخباراً عن تقريب تيمور لبعض الشيوخ بغية الاستفادة منهم لأغراض سياسية<sup>(٥)</sup> .

وعلى اية حال فالطريقة الصفوية بدأت تنتشر من مركز الدعوة في اردبيل عن طريق الدعوة والترغيب وأن الارث الذي هبط على آل صفى الدين ساعدهم على نشر دعوتهم لما يمثلها من اساس مادي يدعم الشيخ الصفوي ويساهم في الانفاق على الاتباع خارج اردبيل . ولم تمض غير فترة قصيرة من الزمن حتى لفتت هذه الدعوة انتباه الحكام المجاورين بعد ان ادركوا المخاطر الكامنة فيها .

لقد تولت القوى السياسية الرئيسة في المنطقة محاصرة الصفوية ومكافحتها وفقاً للصورة الآتية : -

- 
- ( ١ ) تقع اردبيل في اذربيجان وتبعد ( ٣٥ ) ميلاً عن الساحل الجنوبي الغربي من بحر قزوين .
  - ( ٢ ) بروكلمان . تاريخ الشعوب الاسلامية . ص ١٩٣ .
  - ( ٣ ) انتشرت في بلاد الاناضول بشكل خاص مثل الآخية والبكتاشية انظر ( بينكر ) F. Babinger مادة صفى الدين دائرة المعارف الاسلامية مجلد ١٤ ص ٢٣٧ وانظر حول عقائد الصفويين ، علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث . ج ١ ( بغداد ١٩٦٩ ) ص ٥٦ - ٦٥ .
  - ( ٤ ) بروكلمان . تاريخ الشعوب الاسلامية . ص ١٩٣ .
  - ( ٥ ) مهاوي . الغزو التيموري للعراق والشام . ص ٦١ .

١- وجدت الدولة العثمانية نفسها ملزمة بمكافحة الصفوية لأسباب سياسية وعقائدية وذلك لأنها كانت تخشى من تسرب الصفوية في صفوف الجيش الانكشاري (١).

٢- ان القوى السياسية الاخرى ( القرا قوينلو ثم الآق قوينلو فيما بعد ) ادركت في وقت مبكر الابعاد السياسية للدعوة الصفوية لذا فهي من قواعدها في بغداد وتبريز وديار بكر- تحاول العمل على محاصرة هذه الدعوة منذ مراحلها الأولى وخلال مراحلها التالية بغية القضاء عليها .

على ان الدعوة الصفوية تجاوزت النطاق المفروض عليها حينما استغلت التناقضات القائمة بين القوى السياسية في المنطقة بخاصة تلك التناقضات بين العثمانيين والآق قوينلو في عهد عاهلهم المشهور السلطان حسن الطويل الذي أسهم الى حد كبير في دعم الحركة الصفوية املاً في استخدامها اداة للضغط على العثمانيين في الاناضول والقرا قوينلو في فارس والعراق . ففي الوقت الذي تم فيه اغلاق المنافذ كافة بوجه زعيم الدعوة المدعو الشيخ جنيد ابن الشيخ علي الصفوي وبات أمر سقوطه محتوماً . وجد اخيراً مكاناً يلوذ به وهذا المكان هو بلاط السلطان الآق قوينلي حسن الطويل (٢) .

ولم يقتصر الأمر على ذلك . فقد ارتبط الشيخ جنيد بالسلطان حسن الطويل بروابط المصاهرة .

وتشير المصادر الى ان جنيداً تزوج من خديجة بيكم شقيقة السلطان حسن الطويل . كما تزوج ولده الشيخ حيدر الصفوي من حليلة بيكم ابنة السلطان حسن الطويل (٣) . وهكذا تطور نفوذ الصفويين وبدأت الدعوة الصفوية بالانتشار وقام

---

(٦) لمزيد من التفاصيل عن الطرق الصفوية التي انتشرت بين افراد الجيش الانكشاري انظر : هملتون جب وهارولد باوون . المجتمع الاسلامي والغرب . ترجمة احمد عبدالرحيم مصطفى دار المعارف . ج ١ ( القاهرة ١٩٧١ ) ص ٩٣ - ٩٦ .

(٧) للتوسع في ذلك انظر : R. M. Savory, The Subject "Hayder",

The Encyclopaedia of Islam, London 1971, Vol. III, p. 315.

(٨) ذكر ذلك منورسكي Minorsky . مادة اوزن حسن . دائرة المعارف الاسلامية مجلد ٣ ص ١٤٨ ويطلق على حليلة بيكم اسم مارتا . اما لونكريك . اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث . ترجمة جعفر خياط . ط ٥ ( بغداد ١٩٧٠ ت ) فيقول ان اوزن حسن زوج ابنته هايديو للشيخ حيدر الصفوي .

الشيخ جنيد بنشاط واسع لنشر الدعوة في جهات شروان قرب بحر قزوين وهناك وقع قتيلاً اثر اشتباك مع الشروانيين سنة ١٤٥٦هـ (٩).

أستمر التحالف بين الصفويين والآق قوينلو بعد مقتل الشيخ جنيد . فقد احاط السلطان حسن الطويل الشيخ حيدر ابن الشيخ جنيد بالرعاية ومكنه من تولي امره اتباعه الصفويين بأعتباره خلفاً لأبيه والخليفة المنتخب للصفويين . وكان من ابرز الأعمال التي قام بها الشيخ حيدر الصفوي تنظيم حلقات الاتباع وتوجيههم كما نسب اليه تشكيل القوات العسكرية الصفوية (١٠) . وكان من اعماله التنظيمية ايضاً ابتكار رداء للرأس خاصاً بأتباعه سمي تاج حيدري « وهو عبارة عن عمامة قرمزية بها اثنا عشرة قنزعة (١١) » .

على ان تحالف الصفويين مع الآق قوينلو الذي اقيم على اساس مصالح سياسية حيناً من الزمن انهار بعد وفاة حسن الطويل وانتهاز الصفويون فرصة اضطراب مملكة الآق قوينلو فعمدوا الى التوسع على حساب ممتلكات حلفائهم (١٢) . وتذكر المصادر التاريخية ان السلطان يعقوب بن حسن الطويل بعد ان نجح في اعادة الاستقرار الى المملكة وجه اهتمامه نحو القضاء على نفوذ الصفويين . ولذلك فقد تحالف مع « فرخ يسار » حاكم شروان ونسقوا العمل سوية للقضاء على الصفويين . وقد تم فعلاً محاصرة الصفويين . وفي عام ( ١٤٨٨ م ) اجبر الصفويون على الانحباب الى اردبيل وبعد مناوشات عديدة سقط الشيخ حيدر الصفوي قتيلاً وتفرق من اقلت من اتباعه (١٣)

---

(٩) هيوار Cl. Huart مادة حيدر ( الشيخ ) . دائرة المعارف الاسلامية . مجلد ٨ ص ١٥٧ .  
(١٠) عرف الجند الصفوي باسم « الفزل باش » . ويستفاد من المصادر التاريخية ان الدولة الصفوية قامت على سواعدهم . غير ان الدكتور حسين مجيب المصري في كتابه ، صلات بين العرب والفرس والترك . ( القاهرة ١٩٧١ ) . ص ٣٩٨ - ٣٩٩ ينسب الى « بلان » Bellan في كتابه « الشاه عباس » "Chah Abas" الجزء الاول ص ١٢ قوله ان الاعتماد على الفزل باش في الحكم كان خطراً داهياً ظهر في نهاية الدولة الصفوية خلال حكم الشاه اسماعيل الثاني والشاه محمد . وفي مقابل ذلك فانه يرى ان الشاه اسماعيل والدولة الصفوية اعتمدوا اول الامر على العنصر التركي الذي تنتسب له الاسرة الصفوية المالكة وشيوخ الطريقة الصفوية الصوفية .

(١١) اشارة الى العقائد الصفوية . انظر ، هيوار . مادة حيدر . المصدر السابق ص ١٥٧ .

(١٢) انظر ، القرمانى . اخبار الدول واثار الاول . ص ٣٣٨ . Savory, Op. Cit., pp. 315-316.

(١٣) احمد غفاري قزوينى كاشانى . تاريخ نكارستان . ( طهران ) ص ٣٦١ . هيوار . مادة حيدر . - المصدر السابق . ص ١٥٧ .

وفي وقت لاحق اجتمع الشيوخ الصفويون في اردبيل بصورة سرية وقرروا اختيار الشيخ علي بن الشيخ حيدر الصفوي خلفا لوالده<sup>(١١)</sup> على ان اخبار الاجتماع وصلت الى السلطان يعقوب فهاجمهم على حين غرة والقى القبض على المجتمعين وبينهم ابناء الشيخ حيدر الثلاثة علي وابراهيم واسماعيل وادعهم سجن قلعة اصطخر بشيراز<sup>(١٢)</sup>.

### قيام الدولة الصفوية واتساعها :

بعد وفاة السلطان يعقوب بن حسن الطويل سنة ( ١٤٩١ م ) تم اطلاق سراح ابناء الشيخ حيدر الصفوي بثفاعة والدتهم لدى ابن اخيها رستم بن مقصود بك ( ١٤٩٣ - ١٤٩٧ ) الذي آلت له مقاليد الأمور في دولة الآق قوينلو<sup>(١٣)</sup> . وقد حلت الاسرة الصفوية في بلاط السلطان رستم فيما يمكن ان نسميه ضيافة اجبارية . غير ان الظروف تطورت سريعا بسبب اندلاع الحرب الاهلية بين امراء الآق قوينلو ( محمد والوند ومراد ) خلال السنوات ( ١٤٩٧ - ١٥٠١ ) . وقد نجح الوند مرزا في انتزاع تبريز والاستقلال بالولايات الشمالية من دولة الآق قوينلو بما فيها جهات شروان<sup>(١٤)</sup> .

لم يدع الصفويون الفرصة تفلت من ايديهم فمكنوا ابناء الشيخ حيدر من الافلات . واجتمع للصفويين بعد فترة قصيرة من الزمن حشد من الاتباع والمريدين . وعلى الرغم من ان اول اشتباك بينهم وبين جيش الآق قوينلو قد اسفرت عن مقتل الشيخ علي الصفوي . الا ان انتقال زعامة الصفويين<sup>(١٥)</sup> الى الشيخ

( ١٤ ) خواندمير . تاريخ حبيب السير . ص ١٣٥ .

( ١٥ ) قزويني . تاريخ نكارستان . ص ٣٦٢ .

( ١٦ ) البديسي . الشرفنامه . ج ٢ . ص ١١٧ .

( ١٧ ) خواندمير . تاريخ حبيب السير . ج ٤ . ص ١٩٢ .

V. Minorsky, The Subject "AK Koyunlu" The Encyclopaedia of Islam, Vol. 1, London, 1960, pp. 311-312.

( ١٨ ) متجاوزا بذلك شقيقه الآخر ابراهيم وتذكر بعض المصادر ان الصفويين اتخذوا من قيام الشيخ الصفوي بوضع التاج على رأس اسماعيل دليلا على ترشيحه لخلافته في قيادة الصفويين . انظر : قزويني . تاريخ جهان آرا . ص ٢٦٣ .

اسماعيل<sup>(١٩)</sup> يعد من لدن المؤرخين نقطة تحول مهمة في تاريخ الحركة الصفوية وذلك لما ابداه ( الشيخ ) الفتي من نشاط في توجيه الحركة وقيادتها<sup>(٢٠)</sup> .

بدأ الشيخ اسماعيل نشاطه العسكري في الولايات الشمالية من دولة الآق قوينلو . وكان لديه اكثر من سبب يدفعه للبدء بهذه الجهات . ان حكامها الذين كانوا دوما ادوات بيد الآق قوينلو ضد الصفويين اضحوا الآن بعيدين عن قواعد الآق قوينلو الرئيسية في بغداد وديار بكر كما ان استقلال الوند مرزا بهذه الجهات من شأنه ان يطلق له العمل دون ان يواجه ضغطا فعالا من قبل الامراء المنافسين الذين سيرهم التخلص من احد منافسيهم . ويجعل الشوكاني من رغبة الشيخ اسماعيل في الثأر لأبيه وجده اللذين قتلوا في شروان على يد حكامها السبب في البدء بهذه الجهات . وعلى اية حال فقد تقدم الشاه اسماعيل سنة ( ١٥٠٠ ) - باتجاه شروان وتمكن من الحاق الهزيمة بحكامها فرخ يسار وقتله<sup>(٢١)</sup> . وقد وضعه هذا الانتصار وجهاً لوجه مع الوند مرزا حاكم الآق قوينلو في اذربيجان . وفعلاً التقى الطرفان في شروان سنة ( ١٥٠١ م ) فأنهزم الوند مخلفاً وراءه خسائر كبيرة<sup>(٢٢)</sup> . وكان من اهم نتائج هذه المعركة سيطرة الشيخ اسماعيل على مدينة تبريز التي دخلها في السنة المذكورة معلنا قيام الدولة الصفوية<sup>(٢٣)</sup> .

لقد اتخذ قيام الدولة الصفوية صيغة خلع « الشيخ » اسماعيل الملابس الخاصة بالتصرف . كما ترك لقب « الخلافة » الذي كان الصفويون يسبغونه على شيخهم . وبدلاً من ذلك وضع « التاج الديباجي » على رأس<sup>(٢٤)</sup> . فهل يعني هذا التطوران الصفوية انهاء الدعوة بعد ان تحقق قيام كيان على رأسه الشاه اسماعيل ؟ ان الصفويين لم يتخلوا عن الدعوة لأفكارهم كما يستدل على ذلك من الوقائع التاريخية

---

( ١٩ ) وكان مختفياً عند الامراء المؤيدين لأبيه . انظر ، محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، دار الجيل ( بيروت ١٩٧٧ ) ص ١٠ هامش رقم ( ١ ) .

( ٢٠ ) انظر مايلي في الصفحات التالية .

( ٢١ ) محمد علي الشوكاني ، البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع ، ( القاهرة ١٣٤٨ ) ج ١ ص ٢٧٠ وفي ص ٢٧١ ان فرخ يسار وقع اسيراً فوضه اسماعيل في قدر كبير وامر اتباعه باكله .

( ٢٢ ) خواندمير ، تاريخ حبيب السير ، ص ٤٩٢ ، نظمي زاده ، كلشن خلفا ، ص ١٨١ .

( ٢٣ ) يشار هنا الى سنة ( ٩٠٧ هـ ) انظر ، خواندمير ، المصدر السابق ، ص ٤٩٢ البديسي الشرفنامه ص

١١٨ .

( ٢٤ ) انظر ، نظمي زاده ، كلشن خلفا ، ص ١٨١ ، وكذلك سترك Streck مادة اردبيل ، دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ( ١ ) ص ٥٨٥ .

وقد حاولوا استثمار انتصاراتهم تلك لبث الدعوة بحد السيف . ومن هذا تكون مسألة طرح التصوف وترك لقب الخلافة دليلاً على الطابع السياسي للدعوة الصفوية .

وادی انتصار اسماعيل على الشروانيين في نخجوان وعلى الآق قوينلو في تبريز الى ارتفاع المد الصفوي وحاول الوند مرزا جاهدا ان يوقف الصفويين عند ذلك التقدم فسمى الى جمع فلول قواته كما حاول التنسيق مع السلطان مراد بن يعقوب سلطان الآق قوينلو ( ١٤٩٧ - ١٥٠٧ م ) (٢٥) . ولكن لقاء اميري الآق قوينلو كان متأخرا فلم تجد جهودهما المشتركة نفعا . واضطر الوند مرزا اخيرا الى الفرار فوصل بغداد ثم غادرها بعد حين الى ديار بكر (٢٦) .

وفي هذه الاثناء ادرك السلطان مراد بن يعقوب انه سيكون الهدف الآخر للشاه اسماعيل الصفوي . لذا استعد للأمر وتحرك نحو همدان التي كان الشاه اسماعيل يتقدم نحوها هو الآخر . وفي سنة ( ١٥٠٣ م ) التقت جيوش الآق قوينلو بجيوش الصفويين ودارت رحى معركة شديدة اسفرت عن اندحار الآق قوينلو وانسحاب السلطان بفلول جيشه الى العراق . وأشارت المصادر الى ان جيش الآق قوينلو تكبد في المعركة المذكورة خسائر كبيرة (٢٧) .

وعلى اثر انسحاب السلطان مراد بن يعقوب الى العراق تقدمت الجيوش الصفوية فأحتلت مراكز الآق قوينلو في ايران وهي اصفهان وسيراز وهمدان (٢٨) . كما اعقب ذلك التوسع في جنوب الاناضول فتمت السيطرة على ديار بكر التي لم يتمكن الآق قوينلو الاحتفاظ بها بسبب انهيار تحالفهم مع علاء الدولة امير دولة ذي القدر (٢٩) .

---

( ٢٥ ) انصر سلطان الآق قوينلو بعد سقوط تبريز فاقترع على العراق وفارس وكرمان والاحواز . انظر ، -

خواندمير ، المصدر السابق . ص ٤٩٢ .

( ٢٦ ) وفي رواية اخرى ان الوند مرزا قتل في حربه مع اسماعيل الصفوي انظر ، نظمى زادة ، المصدر السابق

ص ١٨٣ - ١٨٤ . وانظر ايضا الشوكاني ، البدر الطالع ، ص ٢٧١ .

( ٢٧ ) محمد بن سيد برهان الدين ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا ناصري ، ( رقم ١٣٣٩ ) ج ٨ ص ١٤ ،

خواندمير ، تاريخ حبيب السير ، ج ٤ ، ص ٤٩٢ . وجدير بالذكر ان هذه المصادر بالفت في عدد

القتلى من جيش الآق قوينلو فزعت انهم يزيدون على العشرة آلاف قتيلاً .

( ٢٨ ) ميرخواند ، المصدر نفسه ، ص ١٤ ، خواندمير ، المصدر نفسه ، ص ٤٩٢ .

( ٢٩ ) نظمى زادة ، كلشن خلفا ، ص ١٨٢ . ويذكر ان علاء الدولة تورط في نزاع مفاجيء مع العشائين انتهى

بمهاجمة دولته والقضاء عليها .

## التوسع الصفوي في العراق :

كان من نتائج الهزائم التي مني بها السلطان مراد إمام الشاه اسماعيل الصفوي ان اقتصر جهده ضد الصفويين على العراق . على ان قوة السلطان مراد بقيت محدودة . بسبب فشله في الحصول على مساعدات اضافية خاصة وان حليفه علاء الدولة قد لقي حتفه على يد العثمانيين كما سبقت الاشارة الى ذلك . وهكذا غادر السلطان مراد بغداد سنة ( ١٥٠٧ م ) الى حلب . ومن هذه المدينة العربية صار مراد يحث القوى السياسية العربية والمملوكية لمواجهة الخطر الصفوي القادم من الشرق (٣٠) . وتذكر المصادر العربية ان السلطان مراد بطلب مساعدة سلطان مصر المملوكي قانصوه الغوري . ولكن ظروف الاخير لم تكن مواتية ولم يقيم بعمل عسكري لمساعدته (٣١) .

اما بغداد فان السلطان مراد أنباط امارتها بأحد القادة التركمان يدعى باريك بك برزك . وقد حاول هذا الأمير ان يدفع الصفويين عن العراق عن طريق استخدام اساليب دبلوماسية مع الشاه اسماعيل . ويقال ان باريك بك اظهر التودد لرسل الشاه الذين قدموا بغداد لالتفاهم ومساومة حاكم بغداد واطلاعه على نوايا الشاه . وجاء في بعض المصادر ان باريك بك بعد ان استقبل الرسل استقبالا جيداً ارسل بصحبتهما بالاسحق السيرجي حاملاً الهدايا للشاه (٣٢) . الشاه اعتراه غضب شديد عندما بلغه نبأ وصول وفد حاكم بغداد . وزعمت تلك المصادر ان الشاه غضب لعدم حضور باريك بك بنفسه على الرغم من مشاعر الود المسبقة التي اظهرها الشاه لحاكم (٣٣) .

والواقع ان السبب الذي ذكرته المصادر المذكورة لا يتناسب مع الوصف الذي قدمته لحالة الغضب والهيّاج التي اعترت الشاه وجعلته يصمم على احتلال بغداد بالقوة . وعليه يمكن الاستنتاج بأن السفارة التي ارسلها باريك بك لم تكن تخلو

---

(٣٠) قارن بما حصل من تطورات سياسية مماثلة ابان التوسع التيموري في العراق سنة ( ١٣٩٣ م ) فقد التجأ السلطان احمد الجلاني الى حلب . ونجح في اقامة تحالف مع المماليك وامارة آل فضل العربية ضد تيمورلنك . وخلال الغزو التيموري الثاني للعراق ( ١٤٠٠ - ١٤٠٢ م ) اصبحت حلب قاعدة لحركة الاسترداد . انظر الفصل الاول من الكتاب .

(٣١) ابن اياس . بدائع الزهور ، ج ٤ . ص ١٤٣ .

(٣٢) خواندمير . تاريخ حبيب السير . ص ٤٩٢ قزويني . تاريخ جهان آرا . ص ٢٧١ .

(٣٣) ميرخواند . تاريخ روضة الصفا . ص ٢١ .

من تحذير للشاه من انه لن يحقق مأربه في احتلال بغداد التي ستصلها تعزيزات مرتقبة من الشام .

وعلى اية حالة فقد فشلت سفارة باريك بك الى الشاه وعاد رسوله حاملاً الهدايا التي رفض الشاه قبولها . كما كان الرسول يحمل ايضا تهديدات الشاه بأن الحرب ستكون البديل عن عدم حضور حاكم بغداد بنفسه . ولكن باريك بك لم يعجب بتلك التهديدات وحاول ان يمتحن استعداداته للدفاع عن المدينة ضد الهجوم الصفوي فقام بأجراءات عديدة لأصلاح القلاع وتقوية الاسوار وخزن الحبوب والمؤن الاخرى كما فرض الضرائب لتمويل خزانة الحكومة وبذل الجهود للمحافظة على الامن الداخلي (٣١) .

اما الشاه اسماعيل فانه ارسل حمله بقيادة للاحسين لاحتلال العراق . ويبدو ان الامال المعلقة على وصول مساعدات مملوكية قد فشلت فما كان من حاكم بغداد الاق قوينلي غير اعداد عدة الرحيل واللاحاق بسيد السلطان مراد في حلب (٣٢) . والواقع . ومع الآخذ بنظر الاعتبار طبيعة الموقف . لايسع الباحث الا ان يعتبر انسحاب الاق قوينلي من بغداد نتيجة منطقية لفشل حكام الاق قوينلو - الاجانب - في تقدير حجم القوى الداخلية التي يمكن الاعتماد عليها في تنظيم مقاومة بغداد للغزو الصفوي . وبذلك يتضح ان خروج السلطان مراد من بغداد وبقاء باريك بك فيها كان بمثابة مناورة اقدم عليها حكام الاق قوينلو لدفع الصفويين عن العراق .

وقبل وصول الجيش الصفوي الى اسوار بغداد تشكلت في المدينة حكومة محلية لاتفيد المصادر بمعلومات مهمة عنها غير ان المصادر الفارسية تدعى ان زعامة تلك الحكومة اعلنت الخطبة للشاه وسكت النقود بأسمه (٣٣) . ولكن المصادر العربية الموثوقة نفت ان تكون هناك نقود ضربت في بغداد بأسم الشاه (٣٤) . وتأكيدينا على نفي هذه الروايات ينطبق ايضا على مزاعم اخرى حول خروج « اهالي بغداد »

---

(٣١) خواندمير، تاريخ حبيب السير، ص ٤٩٤، قزويني، تاريخ جهان آرا، ص ٢٧١. ومن الاجرامات الامنية التي تشير لها المصادر القاء القبض على بعض الاشخاص المتهمين بممالة الشاه .

(٣٢) قزويني ، المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣٣) قزويني ، تاريخ جهان آرا ، ص ٢٧١ .

(٣٤) المزوي ، تاريخ النقود العراقية ، ص ٨٨ .

لأستقبال طلائع الجيش الصفوي (٣٨). ونحن نرى ان بعض الاعيان ربما كانوا مضطرين الى الخروج الى ضواحي المدينة لأسباب عديدة اهمها :

١ - لم تكن في بغداد قوة عسكرية يمكن الاعتماد عليها للدفاع عن المدينة خاصة بعد مفارقة باريك بك وقواته المدنية بصورة مفاجئة .

٢ - ان العناصر التي خرجت للقاء تلك القوات كانت لها ارتباطاتها ومصالحها التي تحرص على استمرار تقدمها خلال العهد الجديد . وهذه المسألة قد تحصل في كل زمان ومكان .

٣ - ربما يكون الهدف من خروج هؤلاء منع القوات الغازية من القيام بأعمال انتقامية .

وتبع دخول الجيش الصفوي الى بغداد وصول الشاه اسماعيل . فدخل المدينة عام ( ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م ) واللافت للنظر انه نزل خارج بغداد في مكان يقال له بيربوداق (٣٠) . ولم يستقر به المقام طويلا . فقد قام بجولة في البلاد وبعد ان انجز المهام قفل عائدا الى ايران (٣١) .

ومن ناحية اخرى اقام الصفويون ادارة جديدة في العراق . فقد اسند الحكم في بغداد إلى خادم بك طالش بصفته اميرا على الديوان - مجلس ادارة شؤون الولاية - ولقب بأسم خليفة الخلفاء (٣٢) .

وتم تعيين الامير نجم زركر بوظيفة « الوكالة » وعين الامير بار احمد الخوارزمي مشرفا على شؤون الوزارة كما عهد بشؤون الجباية والضرائب وضبط الحسابات - الامور المالية - الى مولانا شمس الاصفهاني (٣٣) اما محمد كمونه - الذي تولى ادارة بغداد بعد انسحاب باريك بك اضافة لمركزه كنقيب للأعيان فقد اسند له وظيفة المشرف على العتبات المقدسة (٣٤) . ويبدو واضحا من مجمل هذه

١٨ . خواندمير ، تاريخ حبيب السير . ص ٤٩٤ .

١٩ . خواندمير ، تاريخ حبيب السير . ص ٤٩٤ .

( خواندمير ، المصدر نفسه . ص ص ٤٩٤ - ٤٩٥ ، قزويني ، تاريخ جهان آرا ص ٢٧١ ، نظمى زادة كلشن

نظمى زادة كلشن خلفا . ص ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٤١) نظمى زادة ، كلشن خلفا . ص ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٤٢) قزويني ، تاريخ جهان آرا ، ص ٢٧٢ ، البديسي ، الشرفنامه - ص ١٢٩ ، خواندمير ، تاريخ حبيب

السير . ص ٤٩٥ .

(٤٣) البديسي ، الشرفنامه . ص ١٢٨ .

(٤٤) ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا ، ص ٢٣ ، قزويني ، تاريخ جهان آرا ، ص ٢٧٢ .

الاجراءات التي قام بها الشاه انها كانت تعبر عن ادراكه للأهمية الاستثنائية التي يحتلها العراق . وبطبيعة الحال فانه لاجل ان تصبح امور العراق كافة تحت الحكم الجديد فقد كان لابد من ان يستكمل الاحتلال ابعاده . كاملة وذلك من خلال المؤسسات السياسية والاقتصادية والعسكرية . وهكذا اخرجت السلطات الصفوية رجال الدولة السابقين وعينت مكانهم شخصيات فارسية او موالية للحكم الجديد . هذا من جهة و اشارت بعض المصادر الى ان الشاه اسماعيل وخلفه الشاه طهماسب دعموا الوجود الصفوي في العراق عن طريق ابقاء حاميات عسكرية عديدة ومنها حاميات بغداد وكركوك ومندلي والحلة والجزائر ( الحمار ) والرماحية والاحواز من جهة اخرى (١٥) .

ويلاحظ ان سلطة الشاه امتدت جنوب العراق حتى البصرة ولأجل ذلك رفع حاكمها المحلي اتاوة سنوية دليلا على خضوعه . اما الموصل في شمال العراق فقد سيطر عليها الصفويون سنة ( ١٥١٠ م ) ويقال ان الشاه عين عليها « احد الخزانات » ليحكمها حكما مباشرا (١٦) .

### موقف السكان من الاحتلال الصفوي

على الرغم من ان الاخبار الاولى عن دخول الشاه اسماعيل بغداد إفادت ان ثمة « استقبالا » جرى للقوات المحتلة او للشاه اسماعيل فيما بعد . الا ان جملة مصادر عربية واجنبية تحدثت بما ينفي رواية المصادر الفارسية . كما عرضت هذه المصادر وخاصة العربية منها بشكل مفصل صورة اخرى للاحتلال مما يعزز الاعتقاد بأن الاحتلال لم يقف على ارض سهلة ويؤكد ايضا بأن اهالي بغداد نجحوا بعيد فترة قصيرة في تنظيم حملة المواجهة مما دعى الصفويين لارتكاب اعمال انتقامية وتدمير اعمال تخريب مختلفة . فقد نسب عباس العزاوي الى صاحب منتخب التواريخ قوله : ان الجيوش الصفوية قتلت الكثير من مخالفيها بعد دخولها مدينة بغداد (١٧) . كما نسب ايضا صاحب قلائد الجواهر قوله : ان الشاه اسماعيل خرب

---

(١٥) لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ٣٥ ، العلو ، الاحواز ، ٢ القسم الاول ، ص ص ١٧٤ .

١٧٥ .

(١٦) لونكريك ، المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

(١٧) العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٣ ، ص ٣٤٢ .

أحدى الزوايا ( التكايا ) المهمة في مدينة بغداد (١٨) . أما ضامن بن شديم العلوي الحسيني فإنه يقول : إن الشاه بعد احتلال بغداد « فعل بأهلها النواصب ذوي الصغار مالم يسمع بمثله قط في سائر الدهور .. » (١٩) ، وهناك روايات عديدة أخرى منها رواية ياسين خير الله العمري ورواية محمد علي الشوكاني ورواية محمد كاظم وجميعها تتحدث عن اضطراب بغداد يعيد دخول الصفويين (٢٠) . من جهة أخرى لم يستقر المقام للشاه في بغداد إذ أنه اختار مكاناً آخر جوارها (٢١) ثم قام بجولة في مناطق مختلفة من أنحاء البلاد ورافقها بغارة على قبيلة « غزية » في البادية . بعيد زيارته لكربلاء والنجف (٢٢)

أما في جهات العراق الجنوبي الشرقي وفي منطقة الاحواز حيث تقوم فيها سلطة المشعشين (٢٣) فقد زحف الشاه عليها واحتل سائر الجهات الواقعة تحت سيطرتهم وحل الامارة العربية المشعشية وأقام حامية لتأمين الحكم الصفوي هناك (٢٤) . ولكن الأمور لم تستقم للحامية الصفوية المتحصنة بأحدى قلاع المنطقة . إذ لم يمض وقت طويل على انسحاب الشاه اسماعيل من جهات الاحواز حتى ثار المشعشعون ضد الحكم الصفوي . وتشير بعض المصادر إلى أن المشعشين هاجموا القلعة التي تحصن فيها الحامية الصفوية واستولوا عليها (٢٥) . ولم يقم الشاه بعمل عسكري جديد ضد المشعشين فقد اضطر إلى الاعتراف باستقلال امارتهم في منطقة الاحواز (٢٦) .

- 
- ( ١٨ ) المزوي . المصدر نفسه . الصفحة نفسها .  
( ١٩ ) ضامن بن شديم بن علي الحسيني المدني . تحفة الازهار وزلال الانهار في نسب الائمة الاطهار مخطوط محفوظ في المتحف العراقي . الورقة ٢٠٦ .  
( ٢٠ ) انظر ياسين العمري . غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام . تحقيق وطبع في ( بغداد - ١٩٦٨ ) ص ١٦٩ ، الشوكاني . البدر الطالع . ص ٢٧١ . محمد كاظم . نامه عالم اراى نادري - مخطوط مصور ( موسكو ١٩٦٥ ) ج ٣ الاوراق ٨٤ ب ٨٥ أ  
( ٢١ ) انظر ماسبق ذكره حول نزول الشاه في بيربوداق .  
( ٢٢ ) البديسي . الشرفنامه . ص ١٢٨ ، المزوي . تاريخ العراق بين احتلالين . ج ٣ ص ٣١٦  
( ٢٣ ) انظر ماسبق ذكره في الفصل الاول من هذا الكتاب .  
( ٢٤ ) الحلو . الاحواز . ص ص ١٧٤ . ١٧٥ .  
( ٢٥ ) الجابري . اماره المشعشين . ص ٨٦ .  
( ٢٦ ) الحلو . الاحواز . ص ١٧٦ .

وهكذا يبدو من خلال المعلومات التي نقلتها مصادر تلك الحقبة . ان المناطق التي خضعت للنفوذ الصفوي كانت تتململ حتى اذا سحت الفرصة المناسبة استغلتها لتعلن تمردها واستقلالها . ولعل ما حصل من ثورة بغداد سنة ١٥٢٨-١٥٢٩ م

مؤثر اخر برسم صورة واضحة للمقاومة العراقية للأحتلال الاجنبي . ففي خضم ازدياد التوتر بين الصفويين والعثمانيين بسبب اضطراب ميزان القوى الذي احدث التوسع الصفوي نحو الغرب الامر الذي ادى الى جر الدولة العثمانية للتدخل من اجل ايقاف التوسع الصفوي (٥٧) . استغل قائد كردي يدعى ذو الفقار علي بك زيادة النفوذ العثماني في جهات كردستان والوضع القلق لحاكم بغداد الصفوي ابراهيم خان . فأعلن الثورة في شمال العراق . وقد اضطر ابراهيم خان الى الخروج من اجل اخماد تلك الثورة ولكن ذا الفقار انزل بحاكم بغداد الصفوي الهزيمة بعد معركة اسفرت عن مقتل الحاكم المذكور وخلا حكومة بغداد من رئيسها (٥٨) . ولم يدع ذو الفقار الفرصة تفلت من يديه فقرر تصفية الحكم الصفوي في البلاد . وقد سارع الى مطاردة ابناء الحاكم السابق ومناصريهم وتمكن اخيرا من محاصرتهم في قلعة بغداد ثم امر بقتلهم بعد ان استسلموا له (٥٩) .

ومن ناحية اخرى عمد ذو الفقار الى العمل على كل ما من شأنه اظهار انفصال العراق عن الدولة الصفوية اذ الغى الخطبة للشاه الصفوي واعلنها للسلطان العثماني (٦٠) وكذلك فانه ضرب النقود بأسم السلطان العثماني ايضا (٦١) .

ويبدو ان ذا الفقار كان يهدف من مناورته بأعلان الخطبة للسلطان العثماني وضرب النقود بأسمه جر الدولة العثمانية لتأييد حركته الاستقلالية في بغداد . كما ان هذه المناورة تنطوي على تهديد للحكام الصفويين بأن اعادة احتلال العراق يستلزم الاخذ بنظر الاعتبار مواجهة الدولة العثمانية التي قرر ذو الفقار الانضواء تحت لواء حمايتها .

---

(٥٧) انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب .

(٥٨) قزويني ، تاريخ جهان ارا ، ص ٢٨٤ ، البديلي ، الشرفنامه ، ص ١٥٤ .

(٥٩) البديلي ، المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٦٠) نظمي زاده ، كلشن خلفا ، ص ١٨٧ .

(٦١) نظمي زاده ، المصدر نفسه ، الصفحة نفسها ، انظر ايضا ، العزاوي ، تاريخ النقود العراقية ، ص ص

وعلى الرغم من ذلك فقد قرر الشاه طهماسب - وكان قد اعتلى العرش الصفوي بعد وفاة ابيه الشاه اسماعيل الصفوي سنة ( ١٥٢٤ م ) - تنظيم حملة جديدة من اجل اعادة احتلال بغداد . فتوجه اليها بنفسه سنة ( ١٥٢٩ م ) فيما كان ذو الفقار يستعد الى متطلبات المواجهة او الحصار الذي ستفرضه القوات الصفوية على بغداد .

ودافع ذو الفقار عن مدينة بغداد وابى التسليم . وامام اصرار المدافعين قرر الشاه الانسحاب والعودة الى بلاده . غير ان تطورات جديدة طرأت على الموقف بسبب تأمر بعض القادة مع الشاه ضد سيدهم ذي الفقار . وقد نسبت بعض المصادر الى مذكرات للشاه طهماسب - « تذكرة طهماسب » جاء فيها ان الاخوين علي بك تكباش او غلي واحمد بك اوغلي حفيدي صوفي خليل موصولو (١٢) انحازا بجانب الشاه وعمدا الى مقاتلة جند ذي الفقار ثم فتحا الابواب للجيش الصفوي (١٣) . وكان ذو الفقار قد سقط قتلا في هذا التمرد . وفي رواية اخرى انه قتل غيلة بيد شقيقه المدعو احمد بك (١٤) .

واسفرت هذه الحوادث عن استسلام عساكر الاكراد والتركمان وعودة الحكم الصفوي الى العراق وعلى الرغم من ذلك فانه لا يمكن التقليل من اهمية موقف ذي الفقار ودفاعه عن بغداد ضد جيش قوي جرار . ان هذا الموقف يدل على ان ذا الفقار كان يتحرك على ارضية مساندة له وهذه الارضية هي اهالي بغداد (١٥) . ويبدو لنا ان هذا الموقف شجع الدولة العثمانية للأسراع بغزو بغداد وطرده الصفويين منها سنة ١٥٣٤ م اي بعد خمس سنوات على الثورة المذكورة .

---

( ٦٢ ) انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب .

( ٦٣ ) حسين محمد القهواني . العراق ما بين الاحتلالين العثمانيين الاول والثاني . ١٥٣٤ - ١٦٣٨ م دراسة في

الاحوال السياسية والاقتصادية . رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب . جامعة بغداد ١٩٧٥ . ص

٨٢ .

( ٦٤ ) قزويني . تاريخ جهان ارا . ص ٢٨٥ ، البديلي . الشرفنامه . ص ١٥٦ .

( ٦٥ ) قارن بموقف السلطان مراد بن يعقوب وباريك بك اللذين فشلا في ادراك موقف الاهالي وفشلا في

الدفاع عن بغداد ضد الاحتلال الصفوي سنة ١٥٠٨ م



## الفصل الرابع ..

---

---

### حقبة التحدي العثماني

ردود الفعل العثمانية في مواجهة الصفويين

١٥١٤ - ١٥٣٤ م



## العثمانيون يتابعون تطور الاحداث في المشرق الاسلامي :

على الرغم من توجه العثمانيين في اوربا فانهم كانوا يراقبون التطورات السياسية في المنطقة عن كثب . ففي مطلع القرن الخامس عشر واجه العثمانيون الاندياح المغولي الاخير بقيادة تيمور لنك ووقف الجيش العثماني بقيادة السلطان بايزيد يلدرم ( أي الصاعقة ١٣٨٩ - ١٤٠٢ م ) امام جيوش تيمور . ولكن الجيش العثماني هزم امام تيمور وقبض الاخير على السلطان بايزيد واقتاده اسيرا في وضع يحط من مكانته سلطانا للأتراك الامر الذي ادى الى وفاته وهو في الاسر (١) وفي الثلث الاخير من القرن الخامس عشر واجه السلطان محمد الثاني ( محمد الفاتح ١٤٥١ - ١٤٨١ ) المخاطر الناجمة عن المناورات السياسية لسلطان الآق قوينلو حسن الطويل وكذلك تحالفاته ومحاولاته للتوسع على حساب الامارات التركمانية في جنوب الاناضول وجنوبها الغربي كما اقدم على مبادرة دبلوماسية مع الآق قوينلو في عهد السلطان يعقوب بن حسن الطويل حين بلغته اخبار التحركات المملوكية في جنوب الاناضول وغرب العراق والرد لإلق قوينلي الحازم عليها (٢) وعندما تفاقم الخطر الصفوي في مطلع القرن السادس عشر وما اعقبه من خلل في موازين القوى في المشرق الاسلامي نتيجة تفويض الصفويين لكيان الآق قوينلو واحتلالهم للعراق وجنوب شرق الاناضول وتطلعاتهم التوسعية وجهودهم في نشر المبادئ الصفوية . ادرك العثمانيون ضرورة العمل بسرعة من اجل ايقاف الخطر الجديد في اطاره السياسي والعقائدي .

والواقع أن التحرك العثماني نحو الشرق لم يكن قائما في ضوء توقعات ومخاوف كامنة في المستقبل غير المنظور . بل ان هناك العديد من الدلائل التي تتطلب معالجة جدية لمخاطر في الداخل سببها انتشار الصفوية ومشايخها في جنوب وجنوب شرق الاناضول . ومن ناحية اخرى فان التحالفات الصفوية مع القوى الاخرى في اوربا لم تكن تعني بالنسبة للعثمانيين غير ان الصفويين يتحركون من زاوية مصالحهم السياسية دون اعتبار للروابط الدينية والتاريخية التي تشدهم الى العثمانيين وليس للبرتغاليين والبنادقة (٣) وعلى اية حال جاءت الثورة التي قادها المدعو « شاه قولي » في جنوب شرق الاناضول تظاهرا للصفويين لتعطي العثمانيين

(١) فريد . تاريخ الدولة العلية . ص ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب .

(٣) انظر . الفصل الخامس من هذا الكتاب ايضا .

الموع في اتخاذ سلسلة من الاجراءات استهلها السلطان بايزيد الثاني ( ١٤٨١ - ١٥١٢ م ) بأعمال حملة لقمع ثورة « شاه قولبي » بقسوة متناهية (١) ثم - ار عليها السلطان سليم الاول ( ١٥١٢ - ١٥٢٠ ) بتدمير المذبحة المشهورة (٢) ضد مؤيدي الدعوة الصفوية في البلاد العثمانية ومحاربة الدولة الصفوية في عقردارها

ويبدو من مجريات الاحداث ان السلطات العثمانية ارادت من اجراءاتها الخاصة بأجثاث شأفة الاتباع والمريدين للصفوية تطهير الساحة العثمانية الاناضولية تمهيدا لعمل عسكري كبير ضد الدولة الصفوية .

ولاشك في ان عملا عسكريا كبيرا يشق طريقه عبر بيئة جغرافية قاسية ووسط مليء بالقوى المعادية من شأنه ان يعوق الجيش عن مهماته الرئيسة . وهكذا يمكن القول ان اجراءات السلطان سليم كانت ذات ابعاد سياسية واضحة في حين لم تكن الفتاوى التي ذالها السلطان من مشايخ الدولة العثمانية غير اجراءات شكلية لتسويق عمل عسكري كبير وفريد في تاريخ الدولة العثمانية حينذاك (٣) .

ويتبين من العرض السابق ان الدولة العثمانية لم تكن قاصرة عن مواجهة العمل الصفوي على الصعيدين العقائدي والسياسي فكانت المواجهة المرسومة تنطوي على هذين البعدين ايضا . يضاف الى ذلك ان العثمانيين شفعوا مواجعتهم للصفويين بأجراءات عسكرية واسعة النطاق لتكون لهم مكاسب النتائج السريعة للمبادرة العسكرية .

### الحملة العثمانية على الدولة الصفوية .

بعد العمل الذي قام به السلطان سليم ضد الاتباع والمريدين للصفوية بدأ استعداداته الكبيرة للحملة على بلاد فارس . وتشير المصادر التاريخية الى سلسلة من الرسائل التي تبادلها السلطان العثماني والشاه الصفوي اظهرت بوضوح توتر

( ١ ) بروكلمان . المصدر السابق . ص ٤٤٦ .

( ٥ ) يقول محمد فريد بك . تاريخ الدولة العلية . ص ٧٤ . ان المذبحة المذكورة تشبه مذبحة ( سان بارثلميو ) التي نفذها الكاثوليك ضد الهكونات في فرنسا في ( ٢٤ / اب / ١٥٧٢ ) ( كذا ) والعكس هو الصحيح اذا اخذنا الجانب التاريخي بنظر الاعتبار . وجدير بالذكر ان خطة السلطان سليم الاول تلخصت في اناطة عملية ابادء العناصر المؤدية للصفوية الى جهاز خاص قام باحصائهم وتأشير اماكن سكنهم ثم وثب عليهم في الوقت المحدد . انظر . ساطع الحصري . البلاد العربية والدولة العثمانية . ( بيروت ١٩٦٠ ) صص ٤٠ - ٤١ . فريد . المصدر السابق . ص ٧٤ .

( ٦ ) انظر الاسباب الاقتصادية للمواجهة بين الدولتين في الفصل الخامس من هذا الكتاب .

العلاقات بين الدولتين وعبرت عن نزعة التحدي لدى السلطان العثماني وإساليب المهادنة والمراوغة وحضور الإجابة لدى الشاه الصفوي . فبينما وصف السلطان نفسه بـ ( قاتل القتلة المشركين وقامع أعداء الدين ومرغم أنوف الفراعنة معفرتيجان الخواقين .. ) قال الشاه رداً على ذلك : « ان الشخص الذي نسب لنفسه هذه الصفات لابد ان يكون منتشياً من الأفيون » كما أرسل كمية من هذه المادة المخدرة كي يزيد من غضب السلطان ويعمل على إثارته (٧) . ولأن المبادرة العسكرية جاءت من العثمانيين . فقد عرضت خطابات السلطان الأسباب الموجبة للعمل العسكري وهي التعديات الصفوية على الأراضي العثمانية وأحداث الفتنة بين المسلمين (٨) بواسطة العقيدة الصفوية وتحالفاتهم السياسية التي عملت على حث القوى الإسلامية الكبرى للوقوف بوجه الدولة العثمانية . والمصادر العثمانية تؤكد ذلك بإشارتها الى ان الشاه إسماعيل الصفوي أرسل الى سلطان مصر المملوكي يطلب منه التحالف لأيقاف سير الدولة العثمانية ومبينا له انهما اذا لم يقفا ويسندا بعضهما البعض الآخر فإن الدولة العثمانية ستحارب كل واحد منهما على حده فتقهره وتسلم أملاكه (٩) .

وفي محرم ( ٩٣٠ هـ / اذار ١٥١٤ م ) خرج السلطان سليم الأول على رأس الحملة العثمانية قاصداً محاربة الشاه إسماعيل الصفوي . وتذكر المصادر ان الجيش العثماني كان قوامه مائة ألف رجل وكان من بين معداته الرئيسة سلاح المدفعية الذي يفتقر اليه الجيش الصفوي (١٠) . اما الشاه إسماعيل فإنه تقدم لملاقاة العثمانيين في بداية الامر . ولكنه أثر الانحباب بعد ان وصلتته انباء دقيقة عن قوة الحملة العثمانية وتفوقها في العد والعدة . وهكذا بينما كانت الحملة العثمانية تتقدم في مسالك الأناضول الوعرة الموحشة . كانت القوات الصفوية تنحجب بعد ان تقضي على كل ما يمكن ان يكون ذا فائدة للعثمانيين لأحداث حالة من السأم والملل في صفوف الجيش العثماني (١١) .

---

(٧) المصري . صلات بين العرب والفرس والترك . ص ٤٠١ .

(٨) جاء في رسالة السلطان . « ان الشاه جعل الفتنة شعاراً له ودثلاً وتعدي على الإمارات الشرقية .. » المصدر نفسه . صص ٤٠٠ - ٤٠١ .

(٩) فريد . تاريخ الدولة العلية . ص ص ٧٣ - ٧٤ .

(١٠) نظمي زادة . كلشن خلفا . ص ١٨٥ . المصري . صلات بين العرب والفرس والترك . ص ٤٠٢ .

(١١) فريد . تاريخ الدولة العلية . ص ٧٤ .

وازداد جنق السلطان سليم بعد ان شعر بتدمير العديد من قواده فأرسل للشاه يستفزه لقتال المهاجمين العثمانيين . فنعتته بالنعوت والصفات الحقيرة واهداه صرة من ملابس النساء دلالة على جبنه وخوفه . ولكن الشاه لم يكثر بذلك كله وواصل الانحساب الى نواحي تبريز . اما السلطان الذي صمم على متابعة المسير ومطاردة خصمه في عقر داره فقد شارف هو الآخر مدينة تبريز في اوائل رجب في السنة نفسها الموافق ٢٤ / اب / ١٥١٤ الامر الذي اضطر الشاه اسماعيل على الخروج لملاقاة العثمانيين والتقى الطرفان في جالديران بالقرب من تبريز فكانت المعركة المشهورة بأسم الموقع المذكور والتي انتهت بهزيمة الصفويين وفرار الشاه جريحا . وقد وصف مرتضى افندي صاحب تاريخ « كلشن خلفا » ما جرى في المعركة فقال :

« وفي بادية جالديران تقابل الجيشان بعدما احتلت جيوش الروم ( العثمانيون ) ديار بكر وفكتت بوالي كردستان محمد خان ابن استاجلو واولاده واحفاده وقد هلك في هذه الحرب والي المشهد ( النجف ) محمد صدر ( محمد كموه ) ووكيل السلطنة عبد الباقي دقورجي باشي وولاية بغداد وخراسان وهمدان وكنجه وامثالهم من اكابر العجم وهلك من عسكر الروم ايلي ( ايلي حصار ) وموره وباشوات سستر وموره والكثير من امثالهم وقتل ما يقرب من العشرة الاف عربي (١٣) في ميدان هذه الحرب الضروس حتى ان الشاه اسماعيل الذي كان يحرض اتباعه على القتال ويشجعهم على الثبات قد فر امام الهول الذي راه من كثرة التراشق بالرصاص .. » (١٣) ...

اما المصادر المتعاطفة مع الصفويين فانها تقدم وصفا مغائرا لما حصل في المعركة وخاصة عن فعاليات الشاه وبسالته وادعت ان الشاه اسماعيل امتطى صهوة جواده وشد على من يطلقون المدافع من العثمانيين واعمل السيف في ثلاثين منهم . وزعمت ايضا ان الجواد كاد ينفق تحته وهو يخوض به حومة القتال فيضطر على استبداله بجواد اخر ..

وهكذا استبدل الشاه سبعة جياد في المعركة التي انتهت بفراره (١٤) ! ويقول المؤرخ العربي ابن اياس بأن الغلبة كانت للشاه في اول معركة اذ فقد السلطان نصف

(١٢) انظر الاشارة حول القوات المراقبة المعجدة التي ارسلت للقتال في هذه المعركة وبخاصة دلالاتها الجيولوجية لأبعاد الاحتلال الصفوي للمراق .

(١٣) نظمي زادة . كلشن خلفا . ص ١٨٥ .

(١٤) المصري . المصدر السابق . ص ١٠٢ عن ابراهيموف . شاه اسماعيل خطائي . ص ١٦ . ١٧ .

جيشه وسبعة عشر اميرا من امرائه الأمر الذي احزن السلطان كثيرا ولكنه راح يستنهض همم رجاله حتى تحقق له النصر في النهاية .

« وغشية من الهم ما كاد يزهد روحه فقام  
في رجاله وحضهم على القتال فزحفوا على  
عسكر الصفوي ( الشاه ) فقتل ن عسكره  
اضعاف ما قتل من عسكر العثمانيين .. » (١٥)

وعلى اية حال فقد أدت المدفعية العثمانية دوراً فاصلاً في تقرير نتيجة المعركة (١٦) التي يرجع انها لم تستغرق وقتاً طويلاً غير ان الجيش العثماني اصيب بخسائر غير قليلة . ان بقاء الجيش العثماني محافظاً على حيويته وقوته وقيامه بعمليات عسكرية واسعة النطاق على امتداد السنتين التاليتين مسألة تستحق وقفة تأمل في بنية المؤسسة العسكرية العثمانية ونظامها .

وكانت القوات العثمانية قد دخلت مدينة تبريز بعد اثنتي عشر يوماً من تاريخ الموقعة فغنمت عرش الشاه وخزائنه كما وقعت نجلة خانم ( نازلي خانم ) في الاسر فزوجها السلطان من احد رجاله امعانا منه في اذلال الشاه . ويذكر ان السلطان امر بجمع اصحاب المهن المهرة ثم اصطحبهم معه الى الاستانه (١٧) .  
وتنقل المصادر ان السلطان بعد ظفره في جالديران جلس لتلقي التهاني وكان من بين المهنيين الشاعر خواجه اصفهاني الذي القى بين يديه قصيدة تغنى فيها بالنصر العظيم للسلطان والنهاية المخزية للشاه فقال مامعناه :

« .. ان ملك الشرع لمستقيم . وما ذاك الا بفضل  
دولة السلطان سليم . وزلزل الخوف منك  
الفرس والترك حينما القيت التاج عن رأس « قزل  
برك » القيت تاجه عن رأسه ايها المظفر النجد .  
والان فتلق الرأس عن الجسد بما لك من  
ايد .. » (١٨)

(١٥) ابن اياس . بدائع الزهور . ج ٤ ص ٤٠٢ - ٤٠٣ ( ط ١٩٦٠ ) .

(١٦) فريد ، تاريخ الدولة العلية . ص ٧٤ .

(١٧) المصدر نفسه . الصفحة نفسها .

(١٨) المصري . المصدر السابق . ص ٤٠٣ .

ولم يلبث السلطان سليم طويلا في تبريز فقد تركها بعد ثمانية ايام ساعيا وراء  
الشاه اسماعيل . ولكن قادته الذين سئموا من قساوة هذه الحملة طالبوه بالعودة .  
فاضطر الى الانسحاب على مضض .

وهكذا يبدو واضحا ان معركة جالديران لم تكن حاسمة للعثمانيين . كما انها  
لم تؤثر على الصفويين تأثيرا شديدا اذ ان خططهم للانسحاب احبطت معظم النتائج  
المتوقعة من العمل العسكري العثماني بعد ان اقتصر ابعاده على المكاسب القليلة  
التي اسفرت عنها معركة جالديران . وقد بالغ بعض المؤرخين الفرس في التقليل  
من اهمية معركة جالديران والنتائج التي اسفرت عنها فكتب صاحب تاريخ حبيب  
السير يقول :

« .. ولما رأى ( السلطان ) سليم بانه لا طاقة

له على مواجهة سيف الشاه اسماعيل فقد

اضطر الى ان يعود إدراجة .. » (١٩)

ومهما يكن من امر فقد حرص السلطان سليم على الحصول على نصر جديد يعزز  
به انتصاره السابق في جالديران ويتناسب مع الجهود التي بذلت في سبيل الحملة  
على الدولة الصفوية . فكان من اجراءاته المهمة تعزيز وتوطيد نفوذ الدولة العثمانية  
في جنوب وجنوب شرق الاناضول . ففتح قلعة كوماش الشهيرة وثبت الهيمنة  
العثمانية على امارة ذي القدر التركمانية ( ١٥١٥ م ) وابقى وحدات عسكرية مهمة في  
المنطقة بهدف مواصلة الضغط على الدولة الصفوية . (٢٠) كما داعبته فكرة القضاء على  
دولة المماليك التي لم تخف تعاطفها وتعاونها مع الدولة الصفوية (٢١) ولكن السلطان  
سليم قبل ان يشرع بتنفيذ خطته هذه قرر معاقبة عدد من قادة الانكشارية  
لمعارضتهم رأي السلطان في التقدم الى بلاد فارس . فأُنحِب السلطان بقسم من  
جيوشه الى الاساتنة مصطحبا معه القادة المذكورين وأمر بقتلهم بعد وصوله عاصمة  
ملكه مباشرة . يقول محمد فريد بك :

« ولما وصل اليها ( القطنطينية ) امر بقتل عدد .

عظيم من ضباط الانكشارية الذين كانوا سبب

الامتناع عن التقدم في بلاد فارس خشية امتداد

الفساد وعدم الاطاعة في الجيوش وامر بقتل

---

( ١٩ ) خواندمير . تاريخ حبيب السير ، ص ٥٦٩ .

( ٢٠ ) فريد . تاريخ الدولة العلية ، ص ص ٧٤ - ٧٥ .

( ٢١ ) انظر ما سبق في هذا الفصل في الكتاب .

قاضي عسكر هذه الفئة ( الانكشارية ) واسمه -  
جعفر جلبي لأنه كان من اكبر المحركين  
لهذا الامتناع .. « (٢٢)

### حلفاء الشاه ( المماليك ) يواجهون مصيرهم في موج دابق

على الرغم من ان السلطان سليم كان بحاجة الى تعزيز انتصاره في جالديران بنصر جديد كما ذكرنا . الا انه لا يمكن التقليل من اهمية النتائج التي اسفرت عنها الحملة المذكورة . فقد نجح السلطان في تقليل اظاهر الشاه وتركه لسنوات عديدة عاجزا عن القيام بأي عمل عسكري على حدود الدولة العثمانية . اما الخطوة التالية للسلطان فكانت واضحة كوضوح عزمه في جالديران . فالسلطان الذي ابى الانصياع لاراء قادته قبل ان يلحق الشاه الدرس المطلوب لا يمكن ان يترك حلفاء الشاه في بلاد الشام المتاخمة لحدود الدولة العثمانية من غير عقاب . (٢٣)

وفي غضون ذلك كان العثمانيون قد استولوا على ماردين واورفة والرقه والموصل وديار بكر كما قدم الامراء الاكراد في المناطق المحاذية بين الدولتين الولاء والطاعة للعثمانيين . فكان ذلك مؤشرات لم تخف معانيها على المماليك . لقد شعر المماليك بخطورة الوضع على حدودهم الشمالية فاستعدوا لمواجهة المخاطر المحتملة . (٢٤) وعندما بلغهم ان السلطان العثماني خرج على رأس حملة جديدة قاصدا الدولة الصفوية ثانية استنفر المماليك جيوشهم نحو حلب . (٢٥) مما يرجع بأن المماليك ارتابوا في وجهة الحملة الجديدة واهدافها .

وعلى الرغم من ذلك فقد حاول السلطان المملوكي قانصوه الغوري اكتشاف مقاصد السلطان العثماني والتأكد من وجهة الحملة العثمانية فأرسل الى السلطان سليم متودداً وعارضا اصلاح ذات البين بين العثمانيين والصفويين . (٢٦) ولكن السلطان العثماني عنف رسل المماليك وتوعد اسيادهم بالعقاب . (٢٧) وهكذا يظهر

---

( ٢٢ ) فريد . تاريخ الدولة العلية . ص ص ٧٣ -- ٧٤ .

( ٢٣ ) المصدر نفسه . ص ٧٥ .

( ٢٤ ) ابن اياس . بدائع الزهور . ج ٣ ص ٨٦ .

( ٢٥ ) المصدر نفسه . ص ٨٧ .

( ٢٦ ) بروكلمان . تاريخ الشعوب الاسلامية . ص ٤٤٨ .

( ٢٧ ) فريد . تاريخ الدولة العلية . ص ٧٥ .

ان المماليك لم ينجحوا في اقناع السلطان بفكرة ايجابية سياستهم الدبلوماسية مع القوى السياسية في المنطقة . كما فشلوا ايضا في اقناع العثمانيين بأهمية تحفظاتهم العسكرية التي تسوغها عوامل الصراع السياسي في المنطقة . واخيرا فقد اسقط بأيديهم ولم يستطع الشاه المهزوم ان يتحرك لنجدتهم .

وعلى اية حال فقد حسم السلطان مسألة المماليك بسرعة فائقة . اذ توجهت الجيوش العثمانية نحو بلاد الشام فجأة والتقت بجيوش المماليك في « مرج دابق » قرب حلب في ( ٢٥ رجب سنة ٩٢٢ هـ / ٢٤ آب ١٥١٦ م ) . ولم تستمر المعركة طويلا فقد أمطرت المدافع العثمانية جيش المماليك بوابل من القنابل الامر الذي تسبب في تحطيم معظم قواه . وقد كانت معركة مرج دابق نذير شؤم للدولة المملوكية التي قامت منذ عدة قرون اذ بانته هزيمة الجيش المملوكي وقتل الكثير من قادة وامراء المماليك وكان السلطان الغوري في مقدمتهم بينما لاذ الناجون بالفرار . (٢٨)

وتعلل بعض المصادر سبب انهيار جيش المماليك بوقوع الخلافات بين امراء الجيش المملوكي (٢٩) وتلقي مصادر اخرى تبعة الهزيمة على تأخر وحدات مهمة من جيش المماليك عن دخول المعركة وذلك ضمن خطة تهدف الى انتظار النتائج الاولية ومن ثم ترجيح كفة الطرف المنتصر . يقول ابن اياس :  
« ان شيخ الامارة الاقطاعية المعنية وامراء الساحل كانوا برفقة قائدي المماليك خيربك وجان بردي الغزالي . وان ابن معن قال لرجاله وقومه دعونا ننفرد . ولننظر لمن تكون النصرة فنقاتل معه .. » (٣٠)

وقد انحاز هؤلاء جميعا الى جانب المعسكر العثماني فاستحقوا لأجل ذلك مكافأة السلطان سليم ونعمه الوفيرة عليهم . (٣١)

---

( ٢٨ ) ابن اياس . بدائع الزهور . ص ٨٦ - ٨٧ . وانظر ايضا ابن طولون . مفاكهة الغلان في حوادث

الزمان . ( القاهرة ١٩٦٤ ) ج ٢ ص ٢٣ - ٢٤

( ٢٩ ) فريد . تاريخ الدولة العلية . ص ٧٥ .

( ٣٠ ) ابن اياس . بدائع الزهور . ص ٩١ .

( ٣١ ) المصدر نفسه . ص ٩١ - ٩٢ .

ولم ينسحب السلطان من بلاد الشام بعد دحر المماليك في « مرج دابق » بل واصل العمل على تطهير البلاد الشامية من فلولهم وتسلم المدن الواحدة تلو الأخرى ثم سار بعد ذلك إلى مصر فهزم جيشا مملوكيا آخر عند مشارف غزة ووصل أخيرا إلى مشارف القاهرة . ( أواخر ذي الحجة ٩٢٢ هـ / شباط - ١٥١٧ م ) .

والواقع أن مهمة السلطان لم تعد يسيرة بعد وصوله إلى هذه المرحلة من التقدم في أراضي الدولة المملوكية . فالمماليك كانوا على درجة كبيرة من النفوذ في مصر وكانت مهمته تتطلب مطاردة هؤلاء في عقر دارهم . وحاول السلطان سليم حقا للدماء أن يقنع سلطان المماليك الجديد طومان باي بقبول الاعتراف بسيادة العثمانيين ولكن الأخير رفض ذلك . (٣٢) وهكذا انطلقت عساكر العثمانيين نحو معقل المماليك تطاردهم من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت . وقاتل المماليك قتالا حثا ويقال أن طومان باي أظهر شجاعة نادرة في القتال حتى أنه سار على رأس كوكبة من الفرسان المماليك إلى العسكر العثماني وتمكنوا من اقتحام خيمة السلطان سليم وقبضوا على من فيها من القادة والحاشية فأعملوا السيوف في رقابهم وكان من بين المقبوض عليهم سنان باشا وزير السلطان وساعده الأيمن فعمد طومان باي إلى قتله بيده ظنا منه أنه السلطان سليم . (٣٣)

وأخيرا أدرك طومان باي عبث المقاومة فأسرع إلى الفرار من القاهرة بصحبة مجموعة من جنده واتباعه على أمل متابعة المقاومة من مراكز المماليك الأخرى في مصر . ولكنه سلم غدرا بيد السلطان سليم فأمر بشنقه وكان ذلك في ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ / نيسان ١٥١٧ م . (٣٤)

إن السقوط السريع لدولة المماليك يثير التأمل حقا . ولا شك أن أسباب ذلك تكمن في هرم هذه الدولة وأنهيار مؤسساتها الأمر الذي جعلها عاجزة عن مواجهة التحديات التي أفرزتها العصور الحديثة فكانت أعوامها الأخيرة تمثل سلسلة من الهزائم والمصاعب على الصعيدين الخارجي والداخلي . وقد تمثل ذلك بوضوح في فقدانها لمزايا مركزها التاريخي كقوة بحرية وتجارية بسبب ظهور البرتغاليين في المياه العربية وضربهم الحصار على التجارة المملوكية في مطلع القرن السادس

( ٣٢ ) فريد ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٧٥ .

( ٣٣ ) المصدر نفسه ، ص ص ٧٥ - ٧٦ .

( ٣٤ ) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١١٩ .

عشر (٣٥) ومن ناحية أخرى فإن السياسة التعسفية للحكام المماليك القائمة على افقار البلاد وابتزاز السكان أدت الى اندلاع الثورات ضدها وهي الظاهرة الأكثر وضوحاً في أواخر عهد الدولة المملوكية وبخاصة ثورات القبائل العربية وتمرد إبريف الشامي والمصري ضد التسلط المملوكي الجائر. والملاحظ ان المماليك كلما اشتدت الضائقة بهم . كانوا يتمادون في العدوان على الاهالي وابتزازهم واستخدام وسائل التعذيب والقتل والتمثيل ضد اعدائهم او الثائرين ضدهم (٣٦) ويروى على سبيل المثال ان السلطان المملوكي قانصوه الغوري عندما قبض على الشيخ سليمان بن قرطام من مشايخ الشرقية امر بقتله وسلخه ثم حشاه تبناً والبسه ثوباً واركبه فرساً ليطاف به في شوارع القاهرة (٣٧) ولكن قلوب العرب - كما يقول الاستاذ حسين المصري - « لم تنخلع رعباً من تلك الأعمال » (٣٨) .

فقد استمرت الثورات والانتفاضات ضد المماليك حتى أذنت دولتهم بالسقوط على يد العثمانيين فشهدت مصر والشام تمرداً عاماً من لدن السكان كان ابرز مظاهره رفض الفلاحين دفع الخراج للحكام المماليك وفي ذلك يقول ابن اياس :

« وثبت عند الناس ان دولة الجراكسة قد الت  
الى الانقراض وان ابن عثمان ( السلطان سليم )  
هو الذي يملك البلاد وصار جماعة من  
الفلاحين اذا اتاهم قاصد من باب استاذهم  
( الاقطاعي المملوكي ) يقولون ما نقدر نعطي  
خراجاً حتى يتبين لنا البلاد لكم او لأبن  
عثمان .. » (٣٩) .

ويبدو ان مجمل هذه الروايات هي التي دعت بعض المصادر الى القول بان العرب هم الذين استنجدوا بالدولة العثمانية (٤٠) كما قيل ايضاً ان السلطان العثماني كان يهدف الى محاربة المماليك لا العرب ونسب الى بعض المصادر قولها

٣٥ ( انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب .

٣٦ ( انظر ، ابراهيم علي طرفان ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة . ( القاهرة ١٩٦٠ ) .

٣٧ ( المصري . صلات بين العرب والفرس والترك . ص ٣٠ .

٣٨ ( المصدر نفسه . الصفحة نفسها .

٣٩ ( ابن اياس . بدائع الزهور . ج ٣ ( القاهرة ١٩٦٣ ) ص ٨٨

٤٠ ( ليلي المصباح . المجتمع السوري في مطلع العهد العثماني . ( دمشق ١٩٧٣ ) . ص ٩ .

ان السلطان اخبر جنوده . عشية الحرب ضد المماليك « انه ينوي تطهير البلاد العربية من الجراكسة .. » (١١)

واذا صحت هذه الروايات فان السلطان العثماني يكون قد تحقق من عزلة المماليك كفة اجتماعية وكقوة سياسية غريبة عن البلاد العربية التي يتألف منها الكيان السياسي للدولة المملوكية الامر الذي له ابعاده الواضحة على النتائج السريعة التي اسفرت عنها حملته على دولة المماليك . ولكن هل كان بوسع القوى السياسية العربية ممثلة بالوحدات الاقطاعية والقبلية المحلية التي تؤدي دورا اكثر ايجابية في الصراع الناشب بين العثمانيين والمماليك فتحويل دون تحقيق رغبة السلطان العثماني لضم املاك دولة المماليك الى الدولة العثمانية . او بعبارة اخرى تستثمر الصراع المذكور لتأكيد استقلالها السياسي الذي تمتعت به في حقبة عديدة من تاريخها ؟ ان من الصعوبة تقرير رأي ايجابي في هذه المسألة لأنها تفترض بالضرورة وعيا ملحوظا لابعاد العمل العثماني ضد الصفويين والمماليك من جهة وللواقع والمستقبل المنظور للدولة المملوكية من جهة اخرى . والحقيقة ان القوى العربية المحلية في الشام ومصر حاولت الاستفادة من الظروف السياسية الجديدة ولم تتعد مطامحها حدود الاحتفاظ بكيانها المحلي ضمن الاطار السياسي الجديد ممثلا بالدولة العثمانية . وهذا يعني ان التطورات الجديدة التي شهدتها مطلع القرن السادس عشر رسمت خارطة سياسية جديدة للمشرق العربي فقد توزعت فيه اقطار المشرق العربي بين الدولتين الصفوية والعثمانية . كما احتلت اجزاء صغيرة منه من لدن البرتغاليين . وفي الوقت الذي كان فيه الصفويون يحتلون العراق ويستخدمون الكثير من ابنائه للقتال ضد منافسيهم العثمانيين . (١٢) تحدثت الوثائق العثمانية عن استخدام الكثير من اهالي الشام للقتال ضد الصفويين في المعارك وفي الحملات العثمانية على امتداد القرن السادس عشر . (١٣) ولم تشهد البلاد ثورة ذات طابع

(١١) المصري . المصدر السابق . ص ٣١٢ .

(١٢) انظر ما سبق الاشارة الى استخدام الصفويين قوات عراقية مجندة في معركة جالديران .

(١٣) انظر الفرمان المؤرخ في محرم او صفر / ٩٨٧ هـ / آذار او نيسان / ١٥٧٩ م وكذلك الفرمان المؤرخ في

٢٠ / ذي الحجة / ٩٩٠ هـ / ١٥ كانون الثاني / ١٥٨٣ م وينصان على التجهيزات الواجبة على سناجق

فلسطين بالرجال والمعدات للأشتراك في الحملات على فارس .

Uriel Heyd, Ottoman Documents on palestine 1552-1615. A study of the Firman according to the Muhimme Defteri, Oxford 1960, pp. 74-76.

تحرري ملحوظ الا في مطلع القرن السابع عشر. (١١)

### جبهة صفوية - اوربية ضد العثمانيين ..

اصيب الصفويون بخيبة امل شديدة بسبب عجز حلفائهم المماليك وسقوطهم غير المتوقع على يد العثمانيين وتبدو المرارة واضحة في قول خواندمير :  
« وكان ( السلطان سليم ) كثير الطمع جشعا

بخيلا لم يقتنع بما ناله من ملك فيح ..  
فخرج بجيوشه الى حلب .. وكانت له الغلبة  
على مصر والشام والحجاز واليمن .. » (١٢)

ولم يكن متوقعا او حتى ممكنا ان يقوم الشاه اسماعيل الصفوي بعمل حاسم ضد العثمانيين . كما انه بعد الهزائم التي مني بها والتي هدت من قواه كثيرا قضى نخبه سريعا . فقد توفي الشاه اسماعيل عام ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م عن عمر ناهز الثمانية والثلاثين عاما تاركا المملكة لولده الصبي الشاه طهماسب . وازاء ذلك كانت الدولة العثمانية قد بلغت ذروة قوتها في عهد السلطان سليمان القانوني ( ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م ) .

بادر السلطان العثماني سليمان القانوني بالكتابة للشاه طهماسب بمناسبة اعتلائه العرش الصفوي . وكان كتابه زاخرا بعبارات التهديد والوعيد . ولكن الشاه لم يكثرث بذلك واستهل عهده بارسال الوفود والسفارات الى اوربا للتنسيق مع ملوكها بهدف مواجهة العثمانيين (١٣) . اما العثمانيون فانهم راقبوا عن كثب الاتصالات بين الصفويين والبنادقة والمجريين . ولما أخذ الصفويون حركة ذي الفقار في بغداد سنة ١٥٢٨ - ١٥٢٩ واضطربت الأوضاع على الحدود بين الدولتين الصفوية والعثمانية اسرع السلطان العثماني للعمل وفق خطة جديدة تتوخى تفتيت قوى التحالف الصفوي - الاوربي الموجهة ضد العثمانيين من جهة ومواجهة التصعيد العسكري الصفوي على حدود الدولة العثمانية من جهة اخرى . ولا شك في ان

---

(١١) وهي ثورة علي جن بلاط المشهورة التي اعقبها الاحتلال العثماني الثاني لبلاد الشام انظر ، بولياك الاقطاعية في مصر وسورية وفلسطين ولبنان ، ترجمة عاطف كريم ، بيروت ١٩٤٨ ، ص ١٣٤ - ١٣٥ وانظر ايضا موضوع « الحركات الشعبية » في ، لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ص ٣٥ - ٣٦

(١٢) تاريخ حبيب السير ، ج ٤ ، ص ٥٧٠

(١٣) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٣٥

العثمانيين الذين ادركوا سريعا ان العمل العسكري الصفوي يهدف الى تخفيف الضغط العثماني عن اوربا حاولوا ان يظهروا للشاه بأن الدبلوماسية العثمانية لم تكن عاجزة عن تفتيت جبهة التحالف الموجهة ضد الدولة العثمانية والتفرغ بعدها لمحاربة الصفويين من جديد . وفعلا فقد منح السلطان سليمان القانوني البنادقة والفرنسيين امتيازات مهمة في البلاد العثمانية كما عقد مع فرنسا معاهدة السلام والتفاهم الودي في سنة ( ١٥٣٥ ) . ( ١٧ ) ومن ناحية اخرى عمد الصفويون الى التحالف مع البرتغاليين املا في ترجيح الجبهة المناوئة للعثمانيين عن طريق احكام طوق بحري ضد العثمانيين من جهة الجنوب وتجريدهم من الامتيازات الاستراتيجية التي نالوها بعد احتلالهم للشام ومصر وما اعقب ذلك من سقوط طرق التجارة التقليدية بأيديهم . ( ١٨ )

وعلى الرغم من محاولة العثمانيين القيام بمحاولات دبلوماسية لتفتيت الجبهة المناوئة لهم . فانهم وجدوا انفسهم / يقاتلون في / اربع جهات عريضة . وكانت ضراوة المقاتلين الاتراك خليقة بتحقيق الانتصارات الواحد بعد الآخر فتمكنوا من تحطيم التحالف الصليبي الذي دعا اليه البابا ليو العاشر وواجهوا النشاط البحري للجنوبين والاسبان في البحر المتوسط وحملوا على التحالف الصفوي - البرتغالي في البحار العربية ( ١٩ )

## انهيار الحكم الصفوي في العراق ..

اضطر السلطان سليمان القانوني في مطلع الثلاثينات في القرن السادس عشر الى ايقاف زحف الجيوش العثمانية في اوربا بعد عقد معاهدة الصلح العثمانية النمساوية ٢٢ / حزيران / ١٥٣٣ ( ٥٠ ) والتوجه في حملة كبيرة هدفها توجيه ضربة جديدة للصفويين الذين ازداد نشاطهم العسكري بشكل ملحوظ في جهات كردستان وصار وجودهم في المنطقة يشكل تهديدا جديا للدولة العثمانية .

( ٤٧ ) حول تلك الامتيازات انظر ، محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ص ٨٤ - ٨٥ ، الصباغ ، المجتمع العربي السوري ، ص ص ٩٧ - ٩٩ .

( ٤٨ ) هملتون جب وهارولد باوون ، المجتمع الاسلامي والغرب ، ج ١ ص ١٣٥ .

( ٤٩ ) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ص ٤٤٩ و ٤٥٠ - ٤٥٢ ، فريد ، المصدر السابق ، ص ص ٨٩ - ٩٠ .

( ٥٠ ) فريد ، المصدر السابق ، ص ص ٨٩ - ٩٠ .

أزاط السلطان قيادة الحملة بالصدر الأعظم ابراهيم باشا . وكانت الاوامر التي صدرت اليه تقضي باعادة الثقة الى الحكام المحليين في المنطقة الذين تزعزعت ثقتهم بحكومة الاسنانه ولا سيما بعد انقلاب حاكم بتليس المدعو شريف بك على العثمانيين . (٥١) وبدون شك فقد احدث وصول ابراهيم باشا الى المنطقة نتائج سريعة تمثلت بأخفاء مظاهر التمرد واستتباب الامن . (٥٢) اما بتليس نفسها فانها عادت الى طاعة العثمانيين . ولما كان شريف بك قد توفي فقد عين ابراهيم باشا اميرا كرديا جديدا في بتليس . وتنقل ابراهيم باشا في كردستان والاقاليم الواقعة بين حلب وديار بكر ثم سار الى تبريز التي استسلمت له بسهولة . وفي غضون ذلك وصل السلطان سليمان القانوني على رأس جيش اخر فانظم الصدر الأعظم الى جيش السلطان في حين انسحبت الجيوش الصفوية الى قزوین في شمال ايران التي اصبحت عاصمة جديدة للدولة الصفوية . (٥٣)

واذا كانت الحملة العثمانية الاخيرة تمثل لقاء جديدا لاختبار القوى بين الدولتين . فان النتائج التي اسفرت عنها اظهرت عجز الصفويين وتراجعهم الى داخل ايران ووضعت السلطان امام مهمة جديدة وهي السير الى بغداد وتحقيق السيطرة العثمانية على العراق لضمان اقضاء الصفويين من المشرق العربي عموما وكسر الطوق الذي فرضوه بالتعاون مع البرتغاليين على تجارة البلاد العثمانية (٥٤)

سار السلطان العثماني الى بغداد وهو واثق من قلق وضع حكامها الصفويين الذين انقطعت الاتصالات بينهم وبين حكومتهم . كما انقطعت الامدادات عنهم . وهكذا كان الامل وطيدا بأن تنحب العداكر الصفوية من بغداد دون ان يصاب الأهالي باضرار نتيجة المواجهة العثمانية الصفوية في العراق . ولعل من الطريف ان نشير الى ما يذكره مؤلف « كلشن خلفا » حول وضع الحكام الصفويين في بغداد والقلق الذي اصابهم لدى سماعهم تحرك الجيوش العثمانية الى بغداد . يقول مرتضى نظمي زاده صاحب التاريخ المذكور ما نصه :

---

٥١ ( لونكريك . اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث . ص ٣٦ ، فريد . المصدر السابق . ص ٩٠ )  
٥٢ ( ذكر مأمون بك في مذكراته انه عندما علم بوجهة الحملة العثمانية بقيادة ابراهيم باشا كتب تقريرا مفصلا شرح فيه الظروف التي فرضت الوجود ايسفوي في منطقة شهرزور كما اعلن قبوله للتبعية العثمانية . انظر ، محمد جميل الروز بياني وشكور مصطفى ( المترجمان ) . مذكرات مأمون بك بن

بيكه بك . ( بغداد : ١٩٨٠ ) ص ٢١ .

٥٣ ( لونكريك . المصدر السابق . ص ٣٦ ، فريد . المصدر السابق . الصفحة نفسها .

٥٤ ( انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب .

« ولما وصلت اخبار الحرب الى بغداد اصاب  
حاكمها تكلو محمد خان مرض الخفقان وبقي  
في حيرة من امره .. » (٥٥)

ووصف المؤرخ نفسه تطورات الاحداث في بغداد بعدما تحركت الجيوش  
العثمانية فعلا وشارفت من اسوار الموصل فقال :

« ومما زاد اضطرابه ( محمد خان ) اقتراب ابراهيم  
باشا من مدينة الموصل والتحاق اولامه بك ( حاكم  
بتليس الجديد ) به بعد ما جمع حوله رجال قبيلته  
ووجد كتباً الى بغداد يطلب فيها من محمد خان ان

يسلم البلدة وله الامان وصار يتهده تارة ويستميله  
تارة اخرى .. وفي هذه الاثناء اقتربت قوات  
السلطان من خائنين ولما رأى محمد خان الحالة  
قد بلغت الى هذا الحد من الحرجة وانه لا يقوى  
على الدفاع لا سيما وان الاهلين يميلون للسلطان  
استصحب جماعته وخرج من البلد .. » (٥٦)

والجدير بالمناقشة ان القول بميل اهالي بغداد للسلطان العثماني هو رأى يعبر  
عن وجهة نظر مؤيدة للعثمانيين وهو يشابه مزاعم المصادر الفارسية حول ميل  
اهالي بغداد للصفويين . (٥٧) اما واقع الحال فلم يكن للسكان خيار فيه . ولكن  
ربما كان هناك من رسم صورة للعثمانيين جعلهم فيها محررين للبلاد من ايدي  
الصفويين . فالاحتلال العثماني اصبح قاب قوسين او ادنى وهو واقع لا محالة  
والاهالي يرنون الى الاستقرار . والسلطان العثماني وقد اضحى « خليفة » على  
المسلمين وحامي الحرمين الشريفين في مكة والمدينة خليف بالشرف الذي يمكن  
ان تضيفه بغداد الى امبراطوريته وجدير بان يؤتمن على ارواح الناس واموالهم .

وتحقق اخيرا فرار حاكم بغداد الصفوي بعد مناورات عديدة اظهرت انقسام  
اتباعه بين مؤيد للفرار وموافق على تسليم بغداد للسلطان بشروط تحفظ لهم

---

٥٥ ( نظمي زادة . كلشن خلفا . ص ص ١٩٨ - ١٩٩ .

٥٦ ( المصدر نفسه . الصفحات نفسها .

٥٧ ( انظر ما سبق في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

حياتهم (٥٨) وهكذا دخل إبراهيم باشا المدينة أولاً ثم أعقبه وصول السلطان سليمان القانوني فدخلها في اليوم الأخير من سنة ١٥٣٤ م (٥٩) اثنت مصادر عديدة على موقف السلطان العثماني والعسكر العثمانية بعد دخولهم بغداد. فذكرت بأن الصدر الأعظم إبراهيم باشا أمر بغلق ابواب بغداد حال دخول القوات العثمانية فيها منعاً لحوادث النهب. واشادت المصادر أيضاً بالاعمال العمرانية التي قام بها السلطان العثماني سليمان القانوني اثناء مكوثه في البلاد (٦٠) ومن المناسب ان ننقل بضعة اسطر ذكرها لونكريك عن مساعي البغداديين لكسب احترام وود السلطان العثماني :

« ومما لاشك فيه ان مثقفي بغداد لم يدخروا وسعاً في افهام ضيوفهم بما كان لمدينتهم من تاريخ حقيقي مجيد وان الاثار التي كانت اقل اندثاراً من الآن وضاف الفني والابنية العظيمة المتهدمة والخزف المتناثر الدال على مدن عظيمة لا بد من انها قد أثر منظرها في نفس السلطان السلطان وغيره وذكرتهم بانهم كانوا يقفون بين اطلال مدينة عظيمة .. » (٦١).

وباحتلال العثمانيين للشام ومصر والعراق وامتداد نفوذهم في الجزيرة العربية والبحار العربية تكون الخارطة السياسية للشرق الاسلامي قد تغيرت لمصلحة العثمانيين. وكان من ابرز نتائج ذلك استقطاب مراكز القوى المحلية لقرون طويلة حول قطبي الصراع المتنافسين ونعني بهما الدولة العثمانية والدولة الصفوية.

---

(٥٨) نظمي زادة. كلشن خلفا. ص ص ١٩٨ - ١٩٩.

(٥٩) فريد. تاريخ الدولة العلية. ص ٩٠.

(٦٠) نظمي زادة. المصدر السابق. ص ٢٠٠ - ٢٠١. المزوي. تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤. ص ٢٨ - ٣٠.

(٦١) لونكريك. المصدر السابق ج ص ٢٠٠. ينظر أيضاً جوانب من الاستقبال الذي اعد للسلطان سليمان القانوني والشمر الذي قيل بالمناسبة. نظمي زادة. كلشن خلفا. ص ٢٠٠.

## الفصل الخامس

حقبة تنافس القوى البحرية  
موقع العراق والخليج العربي في المواجهة  
العثمانية  
للتحالف الصفوي البرتغالي  
١٥٤٦ - ١٥٨١ م



## اوضاع الخليج العربي حتى مطلع القرن السادس عشر :

ازدهرت تجارة الخليج العربي خلال العصور الوسطى واشتهرت موانئه بكونها مراكز تجارية مهمة على الطريق بين الشرق والغرب . وكانت تلك المراكز التجارية تتصل بالصين والهند برا وبحرا كما تتصل بالشام واسيا الصغرى (١) وكان التجار يحصلون على تجهيزاتهم من البضائع المحملة على المراكب القادمة من الهند الى الخليج . وفي رأس الخليج كانت تلك البضائع تفرغ وتحمل على القوافل التي تسلك طريق الصحراء . او انها تنقل بواسطة قوارب صغيرة تستطيع ان تصل الى نقطة قريبة من البحر المتوسط (٢) .

وكانت البصرة ثغر العراق على الخليج العربي من اهم تلك المراكز التجارية اذ لم تقتصر اهميتها على كونها مركزا لتجارة الهند على رأس الخليج حسب . بل احتفظت ايضا بتجارها المحلية على مر الزمن . وفي تلك العصور كانت لها علاقاتها التجارية مع بلاد الاحواز كما كانت لها صلاتها الوثيقة مع بغداد (٣) .

واستفادت القبائل العربية في المنطقة من مرور التجارة العالمية والمحلية على السواء فقد اشتهر عرب الخليج بسراكبهم الخفيفة السريعة وملاحيتهم الشجعان ففرضوا هيمنتهم على تجارة الخليج حتى نعتت المصادر العربية نشاطهم الملاحى الذي اتم بالحيوية الدائمة « بالقرصنة » .

اما القوافل التي كانت تسلك طريق الصحراء فإنها كانت تضطر الى تقديم عمولة على جمالها المحملة بالبضائع فضلا عن استخدام افراد من هذه القبائل أدلاء ومرشدين وحراسا (٤) على طول الطريق بين البصرة وحلب . ودأب عرب الاحواز والعرب الذين تقع منازلهم على امتداد نهر الفرات . على فرض الاتاوات وجبايتها من القوافل والمراكب المحملة بالبضائع والسائرة في هذه النواحي (٥) . وعلى الرغم من

---

(١) للمزيد انظر ، نعيم زكى فهمى ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب اواخر العصور

الوسطى . ( القاهرة ١٩٧٣ ) . ص ١٢٢ .

(٢) Arnold Wright, Early English Adventurers in the East, London 1914, P. 242.

(٣) حول ذلك انظر ، ابن بطوطة . تحفة النظار في غرائب الابصار وعجائب الاسفار ( بيروت ١٩٦٤ ) ص ٢٢١ . وانظر ايضا ، Marco Polo, The Travels of Marco Polo, London 1955, P. 30.

(٤) Carleton S. Coon, Caravan the Story of Middle East, New York, PP. 338-339.

(٥) لونكرىك . اربعة قرون من تاريخ العراق . ص ١٨ .

الاضطراب السياسي الذي ساد القرنين اللذين اعقبا الاحتلال المغولي للعراق وشهدت احوال الشرق الاسلامي الاجتماعية والاقتصادية تبعا لذلك تدهورا ملحوظا انعكست اثاره على الدور الاقتصادي والتجاري لمنطقة الخليج حيث ظهرت اهمية طرق الاناضول على الرغم من صعوبتها<sup>(٦)</sup> على طريق الخليج والصحراء التي تصدرت منذ حين نقل التجارة العالمية من حلب الى البصرة ومنها الى الهند وبالعكس . اقول على الرغم من كل ذلك فأن تلك التطورات السياسية لم تعدم الطريق التقليدية<sup>(٧)</sup> وانما اعطتها موقعا متدينا ازاء الطريق الجديدة عبر الاناضول<sup>(٨)</sup> .

وعندما ازف القرن الخامس عشر بالانصرام كانت تجارة الخليج المحلية تشهد بعض الانتعاش . كما كانت السفن العربية قادرة على الوصول الى الهند . اما الاسطول المملوكي التجاري فكان هو الاخر ما يزال محتفظا بالحيوية التي تؤكد على اصول عريقة في التجارة والملاحة<sup>(٩)</sup> . على ان اطلالة القرن السادس عشر جاءت تحمل للشرق احوالا واطارا كبيرة . ففي فارس حيث اقام الصفويون الدولة الصفوية التي اظهرت اهدافا توسعية في العراق والخليج العربي نجحوا في تحقيق قسم من خططهم واهدافهم . اذ تمكنوا من السيطرة على العراق وازالوا دولة الاق قوينلو من الخارطة السياسية للشرق الاسلامي الحديث . وكعمل موازن قام العثمانيون بالاندفاع نحو الشرق العربي فاحتلوا الشام ومصر وبسطوا نفوذهم على الحجاز واليمن وازالوا دولة المماليك من الخارطة السياسية للشرق الاسلامي الحديث .

---

"Travels of Venctions in Persia,"

C. R. Grant, The Syrian Desert:

(٦) حول طرق الاناضول انظر .

وانظر ايضا .

Caravens and Travels, London 1937, PP. 82-83.

Grant, Op. Cit., PP. 82-83.

(٧)

(٨) \_ Travels of Venetion in Persia Narative of

Italian Travels in Persia.

PP. 82-83., 142-143.

(٩) اسماعيل سرهنك . حقائق الاخبار عن دول البحار . القاهرة . ( د ب ) . ج ١ . الفصل المتعلق بدولة

المماليك . ص ص

ولم يقتصر الأمر على التطورات المذكورة . اذ شهد مطلع القرن السادس عشر ايضا وصول البرتغاليين الى البحار العربية الجنوبية وسيطرتهم على طريق المواصلات البحرية وغلق منافذ التجارة التقليدية وتقويض دور المنطقة التجاري وهو دور مارسته على امتداد القرون السابقة . وعلى الرغم من ان هذه التطورات اتسمت بابعادها الدولية فانها كانت ضربة للقوى العربية المحلية ايضا أثرت في وضعهم الاجتماعي والاقتصادي مثلما اثرت في وضعهم السياسي . (١٠)

والواقع ان وصول البرتغاليين الى الخليج العربي والبحار العربية يشكل تحديا خطيرا للقوى السياسية في المنطقة وكان الرد المنطقي يفترض تضافرها جميعا من اجل مواجهته بسبب ارتباطه بعوامل سياسية واقتصادية ودينية من شأنها الاضرار بمصلحتها وتهديد مستقبلها . ولكن الذي حصل هو تحالف الدولة الصفوية مع هذه القوة الغازية الطارئة ضمن سياسة استهدفت على ما يبدو التأثير في مجريات الاحداث في ساحة الشرق العربي املا في توجيه ضربة للعثمانيين باعتبارهم القوة السياسية والعسكرية الكبرى في الشرق الاسلامي وازاء هذا الموقف لم يكن امام القوى السياسية العربية الخليجية غير مواجهة التحالف البرتغالي الصفوي او السعي الى موازنته بقوة اخرى فاعلة .

### دور البصرة التجاري والسياسي :

- ١ - يمكن القول ان تجارة الخليج العربي كانت تعني الى حد كبير تجارة البصرة وهي : تعتمد على مصادر عديدة اهمها : -
  - ١ - تجارتها بين الشرق والغرب .
  - ٢ - تجارتها مع جهات الخليج العربي .
  - ٣ - تجارتها المحلية مع انحاء العراق .

ولاشك في ان تعدد مصادر البصرة التجارية اتاح للتجار البصريين درجة عالية من المرونة في اعمالهم التجارية اذا ما تعرضت احدى الجهات المذكورة الى ظروف طارئة .

---

(١٠) هملتون جب وهارولد باوون . المجتمع الاسلامي والغرب . ج ١ . ص ٣٥ . ج ٢ ص ١٥٥ .

وكانت البصرة قد وقعت في قبضة القبائل العربية أثر قيام الشاه اسماعيل الصفوي بمهاجمة اماره المشعشين في وقت لاحق للاحتلال الصفوي للعراق وتشير المصادر الى ان حكومة محلية تأسست في المدينة وان الغموض يكتنف تنظيماتها واوضاعها (١١) .

والمعروف من المصادر التاريخية ان آل عليان وهم من قبائل المنتفك تولوا اماره تلك الحكومة التي ذكر انها تبعت الحكم الصفوي بصورة اسمية (١٢) . على انه عندما تقدم النفوذ العثماني في جنوب الاناضول وشمال العراق واقتضت مصلحة الصفويين محالفة البرتغاليين لمجابهة العثمانيين والتضييق عليهم . قام العثمانيون من جانبهم بملاحقة التجار الذين يتاجرون مع العراق مما ادى الى تعطيل التجارية بين سورية والعراق فسبب ذلك انحطاطا ملحوظا في اوضاع البصرة الاقتصادية (١٣) . ويرى بعض الباحثين ان البصرة لم تشهد طوال تاريخها عهدا انحسرت فيه تجارتها كالعهد الذي شهدته خلال النصف الاول من القرن السادس عشر . فمنذ ان تمكن البرتغاليون من السيطرة على هرمز سنة ( ١٥١٥ ) حتى صاروا يتحكمون تماما بطريقي التجارة العالمية اللذين يربطان الهند بأوروبا عبر البحر الاحمر ومصر ( الطريق الاول ) وكذلك عبر الخليج العربي ثم العراق والشام ( الطريق الثاني ) بعد ان نجحوا في السيطرة على المضائق والقلاع المطلة عليهما (١٤) . وبذلك يبدو امرا طبيعيا ان تتأثر تجارة البصرة بعد ان ضيق البرتغاليون والعثمانيون الخناق على تجارتها . على انه لايمكن قبول الرأي القائل بأن هذا المركز التجاري العظيم قد اقفر تماما بفعل الظروف المذكورة او انه اضحى ( قرية جرداء ) (١٥) .

وفي ضوء هذه المعلومات التاريخية التي تكشف حقيقة الواقع الاقتصادي للبصرة ولمناطق الخليج الاخرى في مطلع القرن السادس عشر . يمكن تفسير بعض التطورات السياسية التي شهدتها المنطقة في وقت لاحق لوصول البرتغاليين

---

( ١١ ) المزوي . تاريخ العراق بين احتلالين . ج ١ ص ٤٦ - ٤٧ .

( ١٢ ) P. M. Holt, Egypt and the Fertile Crecent 1516-1922, London 1966, P. 55

( ١٣ ) جب وهارولد باون . المصدر السابق ج ١ ص ١٣٥ الصباغ . المجتمع العربي السوري . ص ٩١ .

( ١٤ ) فهمي . طرق التجارة الدولية . ص ١٢٢ .

( ١٥ ) جب وهارولد باون . المصدر السابق ج ١ ص ١٣٥ .

( ١٦ ) فهمي . المصدر السابق . ص ١٢٢ .

بالتحديد . فمنطقة البصرة التي تقودها حكومة محلية بزعامة الشيخ راشد بن مغمي ال عليان وتسيير الامور فيها . قد يصح القول بانها اضحت اكثر مناطق العراق والخليج العربي تأثراً بنتائج التحالف الصفوي - البرتغالي ولذلك فقد اضطر الشيخ راشد الواقع تحت تأثير مصالح الاولغاركية البصرية ( التجارية ) الى الاذعان لسيطرة الشاه الصفوي الاسمية وصار منذ ذلك الوقت يدفع اتاوة سنوية للشاه (١٧) ان هذا الاجراء كان على ما يبدو اجراء لا بد منه للحفاظ على بعض القنوات التجارية الضرورية لاستمرار الحياة الاقتصادية في المدينة . وبالفعل فقد اشارت بعض المصادر الى ان حكومة البصرة ضمنت بهذا الاجراء استمرار تدفق الاموال من التجارة المحلية وان ايرادات الشيخ المذكور اعتمدت عليها اعتمادا كبيرا . (١٨)

والملاحظ ان تبعية الشيخ العربي الاسمية للدولة الصفوية فرضت عليه ان يكون ايجابيا في سلوكه مع البرتغاليين . (١٩) على ان الشيخ راشداً لم يلبث طويلا على سياسته هذه بعد ان احتل العثمانيون بغداد سنة ١٥٣٤ واعلنت سائر البلاد العراقية التبعية لهم . فما كان من الشيخ العربي الحاكم في البصرة الا ان اتجه نحو العثمانيين . (٢٠) ويبدو ان الشيخ راشداً أراد من اعلان ولاءه للسلطان العثماني سليمان القانوني جر الدولة العثمانية باعتبارها اعظم قوة برية يومذاك الى رأس الخليج لتقوم بدور اقضاء النفوذ البرتغالي وكسر الطوق البرتغالي - الصفوي المفروض على تجارة المشرق العربي . ومن ناحية اخرى يمكن ان نستنتج من سياسة حكومة البصرة وسلوك الشيخ راشد ان الوضع القائم في المنطقة لم يكن مقبولا . وبخاصة في البصرة التي لم تسلم من العدوان البرتغالي المباشر اذ قامت بعض القطعات البحرية البرتغالية في عام ١٥٢٩ بقصف وحرق العديد من قرى البصرة بعد ان فرض الشيخ راشد تسليم البرتغاليين ست سفن حربية من نوع ( فستا ) تعود الى اسطول المدينة . (٢١) . ولذلك يبدو امرا طبيعيا ان يبادر الشيخ العربي الى وضع نفسه وامارته تحت حماية العثمانيين تأكيدا لاستقلاله الذي

---

( ١٧ ) لونكريك . اربعة قرون من تاريخ العراق . ص ٣٢ . صالح اوزبران . الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ - ١٥٨١ . ترجمة عبدالجبار ناجي . بغداد ١٩٧٩ . ص ٢٤ .

( ١٨ ) لونكريك . المصدر السابق . ص ٦٦ .

( ١٩ ) اوزبران . الاتراك العثمانيون والبرتغاليون . ص ٢٤ .

( ٢٠ ) المزوي تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٤٦ - ٤٧ .

( ٢١ ) اوزبران . المصدر السابق . ص ص ٢٤ - ٢٥ .

سيكون له ما يسوغه في ظل الحكم العثماني وكذلك تعبيراً عن رفضه للظروف السياسية والاقتصادية الناجمة عن التحالف الصفوي - البرتغالي .

وتكمن أهمية اعلان ولاء شيخ البصرة للسلطان العثماني في ان ذلك ينهض دليلاً مهماً على استياء القوى المحلية من الظروف القائمة عموماً فالعدوان البرتغالي الذي تعرضت له القوى المحلية العربية في الخليج العربي كان قائماً باستمرار الوجود البرتغالي وباستمرار التحالف بينهم وبين الصفويين وهو ما كان يعاني منه اهالي البصرة والاحياء والبحرين ومناطق الخليج العربي الاخرى . (٢٢) وهكذا وعلى الرغم من قوة الوجود البرتغالي وتحالفاته فقد حذا شيوخ البحرين والقطيف والحويزة حذو شيخ البصرة وارسلو الرسل يطلبون حماية السلطان العثماني . (٢٣)

### سياسة العثمانيين في الخليج العربي :

كانت السنوات العشر التي تلت احتلال العثمانيين لبغداد زاهرة باحداث الساحة الاوربية فشغلت العثمانيين عن الاهتمام بالساحة الشرقية الامر الذي ادى الى تعقيد الاوضاع في منطقة الخليج العربي بسبب خيبة امل القوى العربية المحلية في مبادرة عثمانية سريعة لتعزيز موقفهم لمواجهة ظروف التحالف البرتغالي - الصفوي . وكان من تحصيل الحاصل حدوث تطورات سياسية في منطقة البصرة التي اعلنت في وقت سابق ولائها للعثمانيين . فالشيخ مانع بن راشد آل مغمس الذي عينه السلطان العثماني سليمان القانوني حاكماً على البصرة باسم العثمانيين اضطر الى التنازل او انه تخلى عن منصبه في ظروف غير واضحة . ويقال ان اعيان البصرة او الاولغاركية التجارية فيها تولوا زمام الامور في المدينة وان اتصالات عديدة جرت بينهم وبين البرتغاليين . (٢٤) ومن ناحية اخرى اضطربت العشائر المحيطة بالبصرة بعد ان استخف شيوخها بحكومة بغداد . العثمانية وقطعوا الاتصالات معها حين تعرفوا على حقيقة امرها . كما عمدوا الى

---

( ٢٢ ) المصدر نفسه . ص ٢٠ - ٢١ .

( ٢٣ ) لوتكريك . اربعة قرون من تاريخ العراق . ص ٥٦ . ٥٩ . ويقول اوزبران . المصدر السابق . ص ٥٢ - ٥٣ ان شيخ البحرين والشيوخ المحليين الاخرين الذين اعلنوا خضوعهم للسلطان العثماني حصلوا على لقب سنجق بك وهي عسكرية لها دلالاتها السياسية ضمن اطار التبعية العثمانية .

( ٢٤ ) اوزبران . المصدر السابق . ص ٣٠ .

اتباع وسائلهم القبلية الخاصة لمعالجة تدهور الاوضاع المادية لقبائلهم بعد ان اشتدت ظروف الحصار التجاري على البصرة والمناطق المجاورة لها . لقد اطلق هؤلاء الشيوخ العنان لاتباعهم للسيطرة على اخر مصادر الثروة في البصرة ففرضوا الضرائب الفادحة على الاهالي بحجة حمايتهم من اللصوص والعصاة الخارجين على القانون . وبلغ الامر باحدهم ويدعى الشيخ يحيى شيخ بني امان بأن ادعى ( ملك البصرة ) (٢٥) في حين نعتته بعض المصادر بأنه حامي العصاة والهاربين والخارجين على الدولة . (٢٦)

بلغت الدولة العثمانية الانباء المقلقة عن اضطراب الامن في البصرة واطرافها فقررت بشكل مفاجيء تجديد حملة كبيرة عام ١٥٤٦ وكان هدف الحملة الظاهر انها ترمي الى ايقاف شيخ البصرة المتمرد عند حده ! وقد سارت الحملة التي اناضت الدولة قيادتها بوالي بغداد اياس باشا برا يعززها اسطول نهري مؤلف من ( ٣٠٠ ) سفينة ذكر انها كانت تنقل الذخائر والمؤم . وتروى بعض المصادر العثمانية ان الحملة انزلت بالشيخ المتمرد (٢٧) واتباعه خسائر كبيرة في منطقة الجزائر ( هور الحمار ) . واعقب ذلك دخول اياس باشا البصرة وقام بالغاء الضرائب التي درج الشيخ المذكور على جبايتها والاكتفاء بجباية الضرائب الشرعية . (٢٨)

لم تكن اوضاع البصرة والمناطق المحيطة بها طارئة في عام ١٥٤٦ بل كانت سمة عامة تميزت بها البلاد العراقية طوال قرون عديدة انتشرت خلالها اعمال قطع الطرق وشن الغارات على المدن والاخلال بلامن ولم يتأت للعثمانيين السيطرة على الموقف سيطرة تامة مطلقا . (٢٩) اذن ماهي قيمة الاجراء الذي قيل ان العثمانيين قاموا به ضد القبائل ؟ لايمكن القول قطعا ان الهدف الشامل من حملة اياس باشا هو تفويض حكم القبائل في البصرة . انه كان ايضا بداية لعمل كبير من شأنه ابعاد

( ٢٥ ) اوزبران المصدر السابق ص ٤٠ هامش رقم ( ٦٣ ) .

( ٢٦ ) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

( ٢٧ ) يسميه المؤرخ التركي نظمى زاده . كلش خلفا ، ص ٢٠١ الشيخ راشد شيخ قبيلة قشم اما في الوثائق البرتغالية فقد ورد ذكره باسم علي آل عليان . انظر اوزبران ، المصدر السابق ، ص ٤٠ هامش رقم ( ٦٣ ) .

( ٢٨ ) نظمى زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، لونكريك ، المصدر السابق ص ٤٧ .

( ٢٩ ) اندلعت الثورة مجددا في منطقة البصرة بعد مضي سنة واحدة على حملة اياس باشا المذكورة . وفي عام ١٥٦٦ وذكر ان الثورة كانت منتشرة في اطراف البصرة وقامت خلالها القبائل بقطع الطرق وشن الغارات على المدن . انظر مرتضى نظمى زاده ، المصدر السابق ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، ٢٠٧ .

البرتغاليين عن المياه العربية (٣٠) بعد ان آلت اليهم السيادة على المشرق العربي . وكذلك تأمين الاتصال بالهند من جهتي مصر والبصرة (٣١) بما فيها نهايات طرق التجارة والقوافل التي كان من الضروري تأمينها - الكفة من جديد بعد ان تعرضت الى ضربة قوية بسبب حروب العثمانيين مع الصفويين والمماليك خلال الربع الاول من القرن السادس عشر . وفي ذلك نسب الى ( لايبير ) قوله في مقالة بالانكليزية بعنوان ( الاتراك العثمانيون وطرق الشرق التجارية )

ان هناك عددا من الاعتبارات التي قادت العثمانيين الى ان يشنوا حربا ضد الصفويين منها الرغبة في الحصول على السيادة الفعلية على طرق التجارة المهمة امثال طريق الحرير الذي كان يسير من تبريز الى ارضروم وطوقا وبورصة وطريق التوابل الذي كان يمتد من البصرة الى بغداد وحلب . (٣٢)

ولاريب ان السلطات العثمانية كانت تفكر جدياً بدخول المعصنة ضد البرتغاليين وحلفائهم الصفويين في الخليج العربي ولاسيما ان الحصار الذي ضربه البرتغاليون على البصرة وطرق التجارة في الخليج ( ادى الى تعطيل المنافع والتجارة العثمانية ) (٣٣) وقد تشجع العثمانيون بعد مبادرة القوى العربية المحلية طلب الحماية منهم واطهار هذه القوى استيائها من ( تدخل البرتغاليين وخشونتهم ) (٣٤) .

وعلى الرغم من الظروف الايجابية المشجعة للعمل العثماني لمواجهة الطوق البرتغالي - الصفوي في منطقة الخليج العربي ( فأن الظروف السلبية كانت هي الاخرى قوية ويمكن تلخيصها بقوة الوجود البرتغالي في الخليج العربي والبحار العربية المجاورة وعدم وجود قوة عثمانية قوية في السواحل المطلة على البحرين العربي والاحمر . ووجود الصفويين كقوة مناهضة للعثمانيين في المنطقة

---

( ٣٠ ) عبدالعزيز نوار ، داؤد ياشا والي بغداد ، القاهرة ١٩٦٧ . هامش رقم ( ١ ) ص ٢٢٣ .

( ٣١ ) العزاوي . تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٦٥ - ٧٠ . اوزبران . المصدر السابق . ص ٢٧ - ٢٨ .

( ٣٢ ) اوزبران ، المصدر السابق . ص ٢٧٠ .

( ٣٣ ) سرهنك . حقائق الاخبار عن دول البحار . ص ٥٤٧ .

( ٣٤ ) لونكريك . المصدر السابق . ص ٥٨ .

واتصال بعض الشيوخ المحليين بالبرتغاليين لتأمين مصالح اذانية خاصة او التخلص من ظروف مادية وضغوط سياسية شديدة (٣٥). يضاف الى ذلك ضعف امكانيات القوى العربية المحلية في الخليج العربي وبخاصة على الساحل العربي منه حيث لم تكن القوى السياسية متوحدة ولا الظروف الاقتصادية والامكانيات البشرية حينذاك تشكل ثقلا او قوة مهمة يمكن الاستناد عليها لمجابهة التحالف البرتغالي - الصفوي .

ان هذه الظروف مجتمعة (٣٦) تفسر أسباب تأخر النشاط الفعلي للعثمانيين في الخليج العربي حتى النصف الثاني من القرن السادس عشر حين اكتشف العثمانيون بعد تجربة سنوات من العمل السياسي والعسكري في منطقة البحر الاحمر اهمية الدور الذي يمكن للبصرة أن تؤديه في مجال مواجهة التحالف البرتغالي الصفوي . فالبصرة التي كانت منذ القديم منابر المراكز التجارية في الشرق ووجدت في كل بلاد ما بين النهرين عمقا استراتيجيا لها يمكن ان تعتمد نقطة انطلاق جديدة للعثمانيين في كفاحهم ضد البرتغاليين والصفويين وهو دور لم يكن بوسع اي ثغر من ثغور الخليج ان يؤديه بفاعلية واستمرار . ان بعض المصادر اشارت الى هذه الحقيقة فذكرت انه في اثر حملة ايا باشا عام ١٥٤٦ م وصلت الى حاكم هرمز البرتغالي معلومات موثوقة حول عزم اياس باشا على جعل البصرة مزدهرة جدا (٣٧) . وهذا يعني ان العثمانيين قد عقدوا العزم على طرد البرتغاليين من الخليج العربي وتحطيم التحالف القائم بين الصفويين والبرتغاليين خاصة وان جهود العثمانيين في جبهة البحر الاحمر قد توجت باسترداد عدن سنة ١٥٤٨ م . واصبح الخليج العربي القاعدة الرئيسة لنشاط البرتغاليين ونفوذهم .

ضمن المجهود العثماني المرتقب ضد البرتغاليين قام القائد البحري العثماني بييري ريس سنة ١٥٥٢ بمهاجمة منطقة الخليج العربي وتمكن في حملته من السيطرة على مسقط وجزيرة هرمز ودراخت ولكنه اثر الانسحاب بعد سماعة انباء

---

( ٣٥ ) انظر ، اوزبران ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

( ٣٦ ) انظر سابق حول ظروف العثمانيين في اوربا .

( ٣٧ ) انظر الرسالة المرسلة الى حاكم هرمز المؤرخة في ٢٣ / حزيران / ١٥٤٧ الملحق بكتاب ، اوزبران

المصدر السابق ، ص ٦١ - ٧٥ . وحول المعلومات المشار اليها اعلاه انظر ص ٦٣ منه . وجدير

بالذكر ان القطيف لعبت دورا مهما في الصراع ضد البرتغاليين . ويذكر اوزبران . المصدر السابق ،

ص ٣٨ . انها كانت القاعدة الثانية . « الواقعة على ساحل الخليج » بعد البصرة .

مقلقة عن قدوم اسطول برتغالي كبير<sup>(٣٨)</sup>. ويذكر اوزبران اعتمادا على وثائق برتغالية ان اسباب انسحاب بيرى ريس تكمن في اهمال الاهداف الحقيقية من حملته القاضية بتعقب البرتغاليين ومحاولته السيطرة على جزيرة قشم التي اغراه غنى اهلها فكانت النتيجة فشل حملته<sup>(٣٩)</sup>. وبسبب الفشل المذكور كان بيرى ريس موضع الاتهام من لدن العثمانيين<sup>(٤٠)</sup> فتم اقصاؤه وارسل في وقت لاحق من السنة المذكورة ( ١٥٥٢ ) قائد جديد على رأس اسطول كبير ليتم مابداً به القائد السابق . والقائد الجديد هو مرادريس الذي وصل الى الخليج على راس ( ٧٠ ) سفينة<sup>(٤١)</sup>.

وكانت الخطة العثمانية على ما يبدو تهدف الى اختراق الطوق البرتغالي في مدخل الخليج العربي والوصول الى البصرة بغية تعزيز اسطولها وهو عبارة عن سبع عشرة سفينة تركها بيرى ريس فيها . وفعلًا وصل مرادريس الى مدخل الخليج العربي وتمكن عبوره غير ان الاسطول البرتغالي الحق به اضرازا غير قليلة ولكنه وصل البصرة في النهاية على راس الاسطول الذي تبقى لديه وتم ضمه الى الاسطول السابق فتكونت في البصرة قاعدة بحرية عثمانية قامت بجهود غير يسيرة لفتح طريق الخليج العربي الى الهند . ففي سنة ١٥٥٤ وصل البصرة بطريق البر القائد البحري العثماني سيدي علي ريس<sup>(٤٢)</sup> ليتولى قيادة الاسطول العثماني في البصرة وقد عمل بجد ونشاط على تعزيز الاسطول وتقويته ثم خرج الى الخليج في ٢ / تموز / ١٥٥٤ . واشتبك في هرمز بالاسطول البرتغالي ودارت بين الاسطولين معركة عنيفة حقق فيها سيدي علي ريس اول الانتصارات العثمانية الرئيسة في منطقة الخليج العربي . اذ وصف نتائج المعركة مؤرخ التاريخ البحري العثماني اسماعيل سرهنك فقال : « ان سيدي علي ريس انتصر على البرتغاليين نصراً مبيناً »<sup>(٤٣)</sup> . اما سيدي علي ريس نفسه فإنه وصف المعركة المذكورة بأنها « لقاء ناجح »<sup>(٤٤)</sup> .

( ٣٨ ) سرهنك . حقائق الاخبار عن دول البحار . ص ٥٤٩ .

( ٣٩ ) اوزبران . المصدر السابق . ص ٤٥ .

( ٤٠ ) المزوي . تاريخ العراق بين احتلالين . ج ٤ . ص ص ٧٠ - ٧٢ .

( ٤١ ) سرهنك المصدر السابق . الصفحة السابقة .

( ٤٢ ) انظر تفصيلات مهمة عن رحلته في . المزوي . تاريخ العراق بين احتلالين . ج ٤ . ص ص ٧٣ - ٨٠ .

( ٤٣ ) سرهنك . المصدر السابق . ص ٥٤٩ .

( ٤٤ ) اوزبران . المصدر السابق . ص ٤٩ . اعتماداً على كتاب سيدي علي ريس . « مرآة الممالك » ص ١٩ .

ولكن البرتغاليين الذين اضطروا الى الانسحاب الى خليج ( ليما ) عمدوا بعد اعداد اسطولهم من جديد الى مواجهة الاسطول العثماني ثانية وتمكنوا من توجيه ضربة قوية له (١٥). ويذكر ان سيدي علي ريس حاول الابحار بالقطع المتبقية من اسطوله الى اليمن ولكن الامواج العاتية والرياح الغربية حملته وسفنه الى سواحل الهند . وهناك قرر بيع السفن لمصلحة السلطان ثم العودة الى الاستانة (١٦) .

وعلى الرغم من ان العثمانيين لم يتمكنوا من الحصول على نصر حاسم في جهودهم في الخليج العربي . فانهم بقوا مصدر تهديد دائم للبرتغاليين . ويروي ( لونكريك ) ان اسطولا عثمانياً وصل الى البحرين التي كان يحكمها شيخ تابع لحاكم هرمز البرتغالي وذلك في سنة ١٥٥٩ . فهرعت لمقاومته قوتان احدهما صفوية والثانية برتغالية استقدمت على عجل من هرمز فاضطر العثمانيون الى الانسحاب ( ٤٧ ) . ويتحدث اوزبران عن هذه الحملة فيقول عنها بأنها لم تكن بايعاز من الباب العالي بل هي عمل ارتجالي قام به مصطفى باشا بيلربي الاحساء . وعلى اية حالة فقد شاركت في الحملة سفينتان كبيرتان . وسبعون سفينة صغيرة من النوع الخفيف الحركة وانواع اخرى مختلفة واسهم في الحملة العثمانية ( ١٢٠٠ ) جندي معززين بكميات كبيرة من التجهيزات . ويبدو ان السلطات العثمانية في البصرة كانت على علم بالموضوع فقد ارسلت الى الاحساء قبل الشروع بالعملية ( ٢٠٠ ) فارس و ( ٤٠٠ ) طوبجي ( مدفعي ) للمساهمة في الهجوم المذكور ( ٤٨ ) .

ان الجهود العثمانية لضرب الوجود البرتغالي في الخليج العربي لم تتوقف . ففي سنة ١٥٧٥ تجددت المحاولات العثمانية للسيطرة على البحرين ( ٤٩ ) وفي سنة ١٥٨١ قام اسطول عثماني بقيادة علي بك بالهجوم على مسقط وتمكن من السيطرة عليها لمدة قصيرة غير أن البرتغاليين عادوا الى احتلالها ثانية (٥٠) .

### تقويم الجهود العثمانية في الخليج العربي :

حققت الجهود العثمانية المتعشرة نتائج مشجعة وفوائد ملحوظة على الصعيدين الاقتصادي والسياسي . فقد استطاعت الدولة العثمانية تأمين وصول البضائع الشرقية

---

( ٤٥ ) ونسب الى سيدي علي ريس قوله ان هذه المعركة كانت من اسوأ المعارك . انظر اوزبران . المصدر السابق ص ٥٠ . مرآة الممالك ص ١٩ .

( ٤٦ ) اوزبران المصدر السابق ص ٤٩ - ٥٠ . المزاري تاريخ العراق بين الاحتلالين . ج ٤ ص ٧٩ - ٨٠ .

( ٤٧ ) لونكريك . المصدر السابق ص ٥٩ . وقارن باوزبران . المصدر السابق . ص ٥٢ الذي يقول ان حاكم البحرين كان يحول ولأه من العثمانيين الى البرتغاليين او الصفويين وبالعكس تبعاً للطرف .

للعراق وسورية بواسطة طرق الخليج وصارت بلاد الشام تستقبل القوافل والمراكب القادمة من العراق ومصر وهي تنقل ماحملته سبل التجارة من الهند وفارس والجزيرة العربية كاللؤلؤ والقهوة والتوابل<sup>(٥١)</sup> وكانت الظروف السياسية المرافقة لهذه التطورات مهمة ايضا فقد كتب اوزبران يقول .

( منذ الاحتلال العثماني للبصرة في سنة ١٥٤٦ أصبح الخليج العربي مسرحا للتصارع بين البرتغاليين والعثمانيين ولم يستطع البرتغاليون ان يوطدوا انفسهم على سواحل البصرة والقطيف في الوقت الذي فشل فيه العثمانيون ان يسيطروا على مضيق هرمز وظلت البحرين كجزيرة حدود تفصل بين القوى المتنازعة<sup>(٥٢)</sup> .

صحيح ان هذا الصراع لم يسفر عن نتيجة حاسمة في المدى القريب الا انه أدى بالتأكيد الى تراخي قبضة البرتغاليين في الخليج العربي وتصدع الجبهة البرتغالية الصفوية . فقد أصبحت الحملات العثمانية على الحدود المشتركة ضد الدولة الصفوية وفي الخليج العربي ظاهرة اكثر وضوحا في سياسة الدولة العثمانية ازاء التحالفات المناوئة لها . وقضت هذه السياسة بشن هجوم كبير على الدولة الصفوية سنة ١٥٥٤ اسفر عن نتائج سريعة عززت من مواقع العثمانيين ومراكز نفوذهم في اقطار المشرق العربي . لقد ارسل الشاه طهما سب وفدا الى السلطان العثماني سليمان القانوني وطلب منه عقد الصلح فاجابه السلطان الى ذلك وعقدت بين الدولتين ( معاهدة امامية ) سنة ١٥٥٥ م التي اعادت السلام بينهما وسمحت لرعايا الدولة الصفوية بالسفر والتجارة مع البلدان التابعة للدولة العثمانية<sup>(٥٣)</sup> .

ان دعوة السلام بين الدولتين العثمانية والصفوية جعلت البرتغاليين يعيدون النظر في مواقفهم المتشددة لضرب المصالح العربية المحلية والعثمانية . وهكذا شهد النصف الثاني من القرن السادس عشر مبادرات سلمية متبادلة وفي ذلك يقول اوزبران : -

---

( ٤٨ ) اوزبران . المصدر السابق ص ٥٣ - ٥٤ .

( ٤٩ ) المصدر نفسه ص ٥٧ .

( ٥٠ ) لونكريك المصدر السابق ص ٥٩ . وقارن باوزبران . المصدر السابق ص ٥٨ - ٥٩ .

( ٥١ ) الصباغ . المجتمع العربي السوري . ص ٩١ . هملتون جب وهارولد باوون . المصدر السابق ج ٢ ص ٣٠٩ .

( ٥٢ ) اوزبران . المصدر السابق . ص ٥٥ .

( ٥٣ ) سرهنك . حقائق الاخبار عن دول البحار . ص ٥٥١ .

( وانطلاقاً من الفوائد الكثيرة في تشجيع التجارة  
من بلدان الدولة العثمانية واليها بعث بيلربي  
البصرة في سنة ١٥٦٢ م رسولا الى هرمز للتفاوض  
مع البرتغاليين من اجل اعادة العلاقات التجارية  
عبر الخليج العربي وارسل نائب الملك في الهند ايضا  
( وكان انذاك كوندور. ريدوندو ) شخصا يدعى  
( تاكسيرا ) الى السلطان وقد تقابل هذا الرسول مع السلطان  
في استانبول . واستنادا إلى رواية  
( كوتو ) ان السلطان سليمان قال له بانه لم يكن قد  
طلب السلام من أية جهة فاذا كان ملك البرتغال  
يحتاج الى السلام فانه ينبغي عليه ان يبعث رجلا كبيرا من حاشيته  
او بلاطه الى استانبول لمناقشة الموضوع ) (٥١)

ويستطرد اوزيران فيقول ان رسالة السلطان التي ارسلت الى ملك البرتغال  
تكشف عن الواقع الحقيقي للسياسة العثمانية فقد طلبت الرسالة من الملك تأمين  
الطرق البرية والبحرية وحمايتها للاهالي والتجار التابعين للامبراطورية العثمانية  
الذين يتاجرون مع البلدان الخاضعة للنفوذ البرتغالي . فاذا ما استجاب الملك لهذا  
الطلب فانه ستنشأ علاقات الصداقة بين الدولتين . (٥٢) ومهما يكن الامر فان النفوذ  
العثماني في الخليج العربي اصبح حقيقة واقعة منذ الحملة العثمانية على البصرة سنة  
١٥٤٦ م . وقد تجاوز هذا النفوذ حدود الحملات العسكرية على مواقع البرتغاليين الى  
جهود ملحوظة لوضع التنظيمات المالية والاقتصادية العثمانية في المنطقة موضع  
التطبيق . ففي سنتي ١٥٥١ م و ١٥٧٤ م ارسلت الدولة العثمانية تعليمات مهمة  
تضمنت ما يأتي : - (٥٣)

١ - الغاء الضرائب السابقة كافة سواء تلك التي كان ياخذها شيوخ القبائل أم تلك  
التي صار الولاة العثمانيون يعتمدون الى فرضها على السكان على أساس التعامل  
السابق .

---

( ٥٤ ) اوزيران . المصدر السابق ص ص ٥٥ - ٥٦ .

( ٥٥ ) المصدر نفسه . ص ٥٦ .

( ٥٦ ) الغزاوي تاريخ الضرائب العراقية من صدر الاسلام الى اخر العهد العثماني . بغداد ١٩٥٩ . ص

ص ٦٠ - ٦٢ .

٢ - تخفيض نسبة تلك الضرائب ضمن اهداف تتوخى التخفيف عن كاهل السكان من جهة وتشجيع التجار على استعادة نشاطهم وتأمين ارباح معقولة من تجارتهم خاصة وانهم يضطرون للتعامل مع البرتغاليين الذين يحتكرون التجارة في المنطقة .

٣ - شملت اجراءات التخفيض على الضرائب اغلب المواد التي كانت تجارة البصرة والشرق الاسلامي تقوم عليها . فقد انقصت الضريبة المفروضة على الجوخ والصناعات الصوفية والدار صيني والقرنفل والفلفل من  $\frac{1}{6}$  الى  $\frac{1}{10}$  اي انها خفضت الى ٦,٥ % بعد ان كانت ٢٠ % من قيمة البضاعة . واصبحت الضريبة على الاقمشة التي تحملها القوافل الشامية ٦ % من قيمة البضاعة بعد ان كانت تزيد على ذلك كثيرا . اما القوافل والسفن التي كانت تقصد بلاد فارس فقد تراوحت الضريبة المفروضة عليها بين ٥ % و ١٠ % من قيمة البضاعة وينطبق ذلك ايضا على حمل البعير الذي يأتي به الاعراب .

ونشير بعض المصادر الى اهمية اليرادات التي كان والي البصرة يستحصلها من الضرائب المذكورة واعتبارها الثروة التي تكمن وراء مظاهر ابهة الوالي وحاشيته . (٥٧) ومن ناحية اخرى عمل الولاة العثمانيون الذين عينوا في البصرة منذ منتصف القرن السادس عشر على كل ما من شأنه تعزيز سلطة الدولة العثمانية في البصرة والمناطق المجاورة لها . ورابطت في المدينة قوات عثمانية نظامية بصورة دائمة حصنت موقعها بشكل جيد في مركز المدينة والقلاع النهرية الساحلية . وتتألف الحامية المذكورة ( سنة ١٥٤٧ ) من ( ٢٢٠٠ ) راجل و ( ١٠٠٠ ) فارس . (٥٨) وكان بينهم عدد غير قليل من الانكشارية المصريين (٥٩) وجنود آخرين يتولون اعمالا مختلفة . اما اسطول المدينة فكان يتألف من ( ٢٥ - ٣٠ ) سفينة من نوع ( الكالي ) القوية المجهزة بالمدفعية الجيدة (٦٠)

---

( ٥٧ ) لونكريك . المصدر السابق . ص ٤٩ .

( ٥٨ ) اوزبران . المصدر السابق ص ٥٣ . وقارن بلونكريك . المصدر السابق . ص ٤٩ .

( ٥٩ ) هذه الاشارة منسوبة الى سيدي علي ريس . انظر . لونكريك المصدر نفسه . الصفحة نفسها .

( ٦٠ ) The Voyages of M. John Eldred; An English Caruer, Voyages and Travels mainly during the 16th and 17th Centuries, VVol. 1, P. 300, Vol. 111, P. 326.

وقارن باوزبران . المصدر السابق . ص ٣٧ .

ان الاستقرار النسبي الذي نعمت به البصرة خلال النصف الثاني من القرن له دلالاته على

تطور تجارتها تطوراً ملحوظاً بعد استئناف طرق المواصلات التقليدية نشاطها من جديد نتيجة للجهود العثمانية في الخليج العربي وتراخي قبضة البرتغاليين عند مدخل الخليج العربي خلال العقبة المذكورة. ولا شك في ان المعلومات التي توردها الرحالة والتجار الذين زاروا المنطقة حينذاك والتي تحدثوا فيها عن امكانات البصرة التجارية وازدهارها التجاري النسبي واستمرار سلوك الطرق التجارية الموصلة اليها تقف دليلاً على نجاح العثمانيين في كسر الطوق الذي فرضه البرتغاليون على تجارة المشرق العربي عامة والخليج العربي خاصة. لقد أشار الى ذلك ( قيصر فردريك ) الذي زار المنطقة سنة ١٥٦٢ م وكذلك ( جون الدرد ) و ( رالف فيش ) اللذين زارا المنطقة سنة ١٥٨٣ م. (١١) اما ( ارثر ادوارد ) ممثل الشركة المكوفية في بلاد فارس الذي وصل الخليج العربي خلال هذه الفترة فانه تحدث عن وفرة السلع في البصرة وخاصة التمور. وجدير بالملاحظة ان ( ادوارد ) وجه الدعوة بحرارة الى انكلترا لكي تتجه بتجارتها نحو هذه البلاد. (١٢) وفي رحلة ( جان فان لنشجن ) الذي تجول في الخليج العربي خلال الفترة ( ١٥٨٣ - ١٥٨٨ ) اشارات مهمة الى فعاليات عرب المنطقة في مجالات التجارة والصيد و ( القرصنة ) . ويقول ايضا ان هؤلاء كانوا يترصدون سفن التجار البصريين الداهبين الى هرمز بهدف فرض الاتاوات عليها. (١٣) ويذكر « ( جون الدرد ) ان السفن المحملة باللؤلؤ كانت تشق طريقها من هرمز الى البصرة كما تصلها البضائع الهندية المختلفة كالتوابل والبهرات والاقمشة. (١٤) ووصف ( رالف فيش ) و ( قيصر فردريك )

---

Voyages and Travels mainly during the 16th and 17th centuries, (١١)  
Vol. 11, PP. 203, 283 - 284, Vol. III, P. 326.

The Voyages of Arther Edwards Agent for the Moscovy Company, (١٢)  
Vol. II, P. 111.

Voyages By Jan Hyghen Van Linshoten, Diary of accurrences (١٣)  
the Portuguese settlements in India 1583 - 1588, Vol. 11., P. 35.

وجدير بالملاحظة ان تعبير ( القرصنة ) الذي تردده المصادر الاوربية يعكس تصوراً منحازاً ضد النشاط العربي الملاحي وهو نشاط له مسوغاته الواقعية والوطنية في اغلب الاحوال.

The Voyages of John Eldred, Vol. 1, P. 300.

( ١٤ )

البصرة بانها مدينة ذات تجارة عظيمة للتوابل والعقاقير التي تأتي من هرمز وإشارا الى وجود مخزن كبير جدا للحبوب والرز والتمر» وقالوا ان هذه المحاصيل تنمو بكثرة في بلاد ما بين النهرين. (١٥) وأخيرا فأن الرحالة (باريت) قدم تقريرا مهما عن العملات والاوزان والمكاييل المحلية المستعملة في البصرة مع نظائرها المستعملة في حلب وهرمز والبندقية. (١٦)

والواقع ان ادراك السلطات العثمانية لأهمية الطرق التجارية التي تربط الشرق بالغرب عبر الخليج العربي والشرق الأدنى والدور الذي يمكن ان تؤديه البصرة لتأمين التجارة العثمانية وسلامة خطوط مواصلاتها قد دفعها الى تعيين اقدر رجالها ليكونوا ولاة للامور فيها. وكان من ابرز هؤلاء الولاة خلال الحقبة المعنية بالبحث (النصف الثاني من القرن السادس عشر) كل من درويش علي باشا المشهور بضبطه البصرة سنة ١٥٦٧ م ويوسف باشا جيغالزاده المعروف عند الاوربيين بلقب (سيكالا) والمشهور باصلاحاته وخاصة في مجال الري وكذلك لضبطه الامن ويذكر (لونكريك) انه لم يكن هنا امر يشير قلق (جيغالزاده) او (سيكالا) غير عبث اعراب الحويزة فاضطر في النهاية الى الاستيلاء على مدينة (دبول) وعدد القلاع المجاورة. (١٧) وعاشت البصرة منذ حوالي نهاية القرن السادس عشر (١٥٩٦ م) اياما زاهية حين ابتداء (افرا سياب) (١٨) حكم الاسرة الشهيرة التي اقترنت باسمه حيث امتد عهدها الى حوالي منتصف القرن السابع عشر.

---

The Voyages of Mr. Ralph Fitch 1583, Voyages and Travels (١٥ mainly during the 16th and 17th Centuries Vol. 111, PP. 283 - 284; The Voyages of Mr. Cesar Frederic in to the East india beyond the indies 1563, op. Cit., P. 203.

Mr. Will Barret, The Money and Measures of Babylon of Babylon, (١٦ Balsara, and the indies, With the Customes, Richard Hakluyt Voyages, Vol. 111, P. 329.

- (١٧) لونكريك، المصدر السابق، ص ٥٠ - ٥١. وانظر أيضاً نظمي زادة، كلشن خلفا، ص ٢٠٩.
- (١٨) نسب الى فهرست مخطوطات (ديانة) المطبوع سنة (١٨٩٥)، ان (افرا سياب) كان اولاً اغا السكبان (وهم صنف من اصناف عساكر الانكشارية) في البصرة ثم غدا (باشا) فيها في استماله القوة والشدّة. انظر ذلك في، يعقوب سرقيس، مباحث عراقية، (بغداد ١٩٥٥) القسم الثاني، ص ٣٨٥. هامش رقم (٢١).

## الفصل السادس



تفوق القوى كما تعكسه نتائج المجابهة الصفوية  
للعثمانيين في العراق ١٦٢٢ - ١٦٢٨ م



## انحلال الادارة العثمانية وفوضى الاوضاع في بغداد

لم يدم الاستقرار النسبي الذي شهده العراق بعد الاحتلال العثماني سنة ١٥٣٤ غير حقبة قصيرة من الزمن . اذ شهدت البلاد بعد ذلك الكثير من الاضطرابات بسبب الضعف الذي آلت إليه الادارة الجديدة واستثناء الفساد فيها . وقد اظهرت القبائل العربية التي لم تخضع لحكومة مركزية اجنبية رفضها لسلطة الاسياد الجدد وراحت تواجه حملات الولاة العثمانيين « لتأديبها » او اجبارها على الاذعان بثورة دائمة . ففي سنة ( ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م ) ثارت قبيلة « قشعم » في اطراف البصرة . وبعد ثلاث سنوات تجددت ثورتها على نطاق واسع في الاطراف والانحاء الممتدة بين الجزائر ( الحمار ) والبصرة . فجردت الدولة العثمانية ضدها حملة كبيرة من اجل كسر شوكتها وتأكيد سلطة الحكومة التي ضمنتها من قبل حملة اياس باشا سنة ١٥٤٦ (١) . وقد ارسلت الدولة العثمانية عساكر كبيرة بقيادة « ميرمران » سيواس « البلطجي » محمد باشا لیساعد علي باشا والي بغداد . وبالفعل تحركت الجيوش برا ونهرا وعسكرت لفترة قصيرة في مدينة واسط حيث انضم للحملة على بك متصرف لواء واسط ثم اتجهت الحملة الى الجزائر ودارت بين الجيوش العثمانية وافراد العشائر من « آل عليان » معارك شديدة انتهت بهزيمة « قشعم » وتشتيت مجموعها (٢) .

ولم تحسم الحملة المذكورة ثورة القبائل في وسط وجنوب العراق . فقد تجددت الثورة بعد عام واحد ايضا ( ٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م ) وفشلت حملة عثمانية اخرى في النيل من القبائل المعتصمة بقلاعها الحصينة وسط الاهوار . وفي سنة ( ٩٧٥ هـ / ١٥٦٨ م ) انتشرت الثورة بشكل لافت للنظر وامتدت من اطراف بغداد إلى اطراف البصرة ولبیان اسباب الثورة ذكر المؤرخ التركي مرتضى افندي مانصه :

« وقد علم ابن عليان ان بعض هؤلاء الذين يقيمون في اطراف بغداد وبعض الجهات التابعة للبصرة اخذوا يرفعون اصواتهم بالتشكى والتظلم من سوء معاملات حكامهم ويتذمرون من تكاليفهم الشاقة التي هي فوق طاقاتهم وامكانياتهم ثم تمردوا عليهم واعلنوا العصيان . وبعدها

---

(١) انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب ..

(٢) نظمي زادة، كلشن خلفا ، ص ٢٠٣ .

تجمعوا راحوا يتحرشون ببعض سكان المدن  
ويلحقون بهم الاضرار .. « (٢)

واضطرت السلطات العثمانية الى ان ترسل حملة جديدة حشد فيها قوات كثيرة وساهم فيها ولاية شهرزور والبصرة والاغوات الاكراد إضافة الى والي بغداد ولم يكن بوسع السلطات العثمانية التي نجحت مرة اخرى في تشتيت القبائل وهزيمتها وسحق تمرداتها ان تضمن ولاء القبائل في هذه الانحاء فعمدت الى اقامة حاميات عسكرية رابطت بصفة مستمرة في مناطق الاهوار ( الجزائر ) والاسكندرية (١)

واضطربت الاحوال في بغداد نفسها وعانى الاهالي من ذلك كثيراً وكان التحزب بين مراكز القوى في المدينة بهدف الوصول الى المراكز العليا ديدن الطامعين بكرسي الولاية الذين وجدوا فيه مأرباً لتحقيق المزيد من الثروة والنفوذ . وتشير احداث سنة ( ٩٥٧ هـ / ١٥٥١ م ) على سبيل المثال ، الى ثورة سكان بغداد على بهرام باشا « الذي غلبه هواه وكان مرتشياً طماعاً » (٥) . وهكذا لم تنعم بغداد بالاستقرار وظلت مسرحاً للصراع بين الطامعين الذين دأبوا على مراسلة الباب العالي باسم الاهالي متعهدين بقطع دابر الفساد وتحقيق الامن للبلاد . املا في الحصول على فرسان سلطاني يخولهم السلطة التي يتمتع بها الباثوات فيتيح لهم المجال لسلب اسلافهم وابتزاز الاولاد . وكانت السنوات ( ١٠١٧ - ١٠٢٧ هـ / ١٦٠٨ - ١٦١٨ م ) من اشد الحقب اضطراباً في تاريخ الحكم العثماني لبغداد . ففي مطلع هذه الحقبة عين والي مصطفى باشا الصاروقجي الذي تمرد ضده المدعو « محمد الطويل » وهو من رؤساء الانكشارية في حامية بغداد . وقد دشن هذا عهداً من التدخل السيئ لقوات الانكشارية في شؤون الولاية وبخاصة ما يتعلق بتعيين والي بغداد . وكان قد تمكن من القوات المؤيدة للوالي واستعصى على الباشا امره مما حمل الاخير على طلب المعونة من الاستانة . وفعلاً ارسلت الدولة العثمانية حملة كبيرة قوامها اربعون الف مقاتل للقضاء على تمرد محمد الطويل وتولى قيادتها الصدر الاعظم نصوح باشا والي ديار بكر .

ويبدو ان الحملة العثمانية كانت ضرورية لوضع حد لتمرد محمد الطويل الذي

( ٢ ) المصدر نفسه ، ص ٢٠٧ .

( ٤ ) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

( ٥ ) اضطرت الدولة العثمانية اثر ذلك الى اقصاء بهرام باشا واعادة علي باشا الى الولاية - انظر ، نظمي زاوية ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

ترددت الاخبار عن اتصالاته بالدولة الصفوية وطلبه منها تأييده كحاكم على بغداد . وهكذا كان نصوح باشا وجيشه يحثان الخطى من اجل الوصول الى بغداد . ولكن محمداً الطويل عاجل القوات العثمانية الزاحفة وشن هجوماً قويا عليها قبل ان يتيح لها فرصة للراحة من المسيرة الطويلة التي قطعتها . وكانت النتيجة تشتت جيش نصوح باشا وفراره . وقد تعقب محمد الطويل قوات الباشا حتى بغداد الامر الذي دعا الباشا الى مصالحته واسناد ولاية بغداد له ولكن محمداً الطويل اغتيل بعد وقت قصير فتقلد اخوه الاصغر مصطفى ولاية بغداد . وحدثت وراثه مصطفى للحكم ردود فعل عديدة عبرت عن رفض بعض مراكز القوى لهذا التعيين . كما ان الدولة العثمانية لم تكن راضية عنه . واشتد الصراع بين مصطفى ومؤيديه من جهة والمعارضين له من جهة أخرى . وقام مصطفى بمراسلة الصفويين طالبا منهم التأييد والدعم على غرار ما فعله شقيقه من قبل ولكن الفرصة لم تكن مؤاتية لعمل صفوي سريع لاسيما بعد ان هرعت الدولة العثمانية لتسوية الموقف في بغداد عن طريق تعيين باشا جديد سبق له العمل في العراق وهو محمود باشا جيفا لزيادة . وكانت تربطه صلات وثيقة بالقوى السياسية ذات النفوذ والتأييد في البلاد . وقد اجتمعت لجيغالزادة قوى مؤيدة كثيرة مثل « آل قشعم » وسائر العشائر العربية والكردية . وكان وصوله الى بغداد إيذانا باندلاع الثورة على مصطفى باشا شقيق محمد الطويل وتمت محاصرته في قلعة المدينة وكاد الثوار ان يفتكوا به ولكن محمود باشا جيفالزادة تدارك الامر وتمكن من فك الحصار عن مصطفى باشا وعشرين الف من اتباعه . ويبدو انه اراد ان يضمن تأييد هؤلاء فيما بعد فأصدر اوامره بتعيين مصطفى باشا متصرفا في الحلة .

تلك كانت السمة الرئيسة للحياة السياسية في بغداد . فالهدوء والاستقرار كانا من الحالات الشاذة . على حين ان الفوضى والاضطراب وتتابع الحكام والولاة مثلث وضعاً دائماً لانجد بين زحمة الاحداث ما يشير الى نهايته . ففي سنة ( ١٠١٩ هـ ١٦١٠ م ) عين على باشا واليا على بغداد ثم اعقبه دولاور باشا وحافظ احمد باشا وباشوات اخرون لا يتسنى المجال لذكرهم حتى اذا كانت سنة ( ١٠٢٨ هـ ١٦١٩ م ) وقعت بغداد في قبضة اغوات الانكشارية المتصارعين على الحكم وانتهت بتغلب مفاجيء لاحد رؤسائهم المدعو بكر صوباشي<sup>(١)</sup>

(١) لمزيد من التفاصيل حول تطور الاوضاع في بغداد وكما وردت في العرض المقدم في هذا الفصل انظر : نظمي زادة . كلشن خلفا . ص ٢١١ - ٢١٢ . لونكريك . ص ٥٣ . انظر تفصيلات واسعة في القهواتي . العراق ما بين الاحتلالين العثمانيين الاول والثاني . ص ١٦٧ - ١٧٥ .

## تمرد بكر صوباشي والاحتلال الصفوي لبغداد سنة ١٦٢٢

بلغت فوضى الاوضاع في بغداد إشدّها في نهاية العقد الثاني من القرن السابع عشر . ففي سنة ( ١٠٢٨ هـ / ١٦١٩ م ) اثناء فترة حكم الوالي يوسف باشا تمكن احد رؤساء الانكشارية من الهيمنة على مقاليد الامور في مدينة بغداد بمعتمدا على فرق من المرتزقة والاتباع وجنود وحدثه من مراتب الانكشارية . وقد ترقى بكر صوباشي بعد تغلبه فتقلد مرتبة اغا الانكشارية وهي اعلى رتبة لضباط الانكشارية في بغداد . وكانت القوة الرئيسة لبكر مؤلفة من اثني عشر الف رجل اما ابرز مساعديه فهو نائبه عمر اغا وولده « البلوك باشي » اي رئيس كتيبة الخيالة ويدعى محمد بكر (٧) .

ويتحدث مرتضى افندي عن سلوك بكر صوباشي بعيد وصوله للحكم في بغداد . فيقول :

« واذا ورد في الاية الكريمة ( ان الانسان ليطغى )  
فان الموما اليه طغى واخذه الغرور وتعاضم  
وتجبر ونسى قوله تعالى ( سنستدرجهم من حيث  
لا يشعرون ) وصار مذموما بكل لسان واشتط في  
تصرفاته وعين في مناصب الدولة اكثر اقاربه واتباعه... » (٨)

وفي سنة ( ١٠٣١ هـ / ١٦٢١ م ) استغل معارضو بكر اغا ومنافسوه فرصة خروجه على راس حملة الى نواحي الحلة فاجتمعوا وقرروا بعد اخذ اذن الوالي يوسف باشا عزل بكر اغا واعوانه ولكن نائبه عمر اغا وابنه محمد قادوا الزمر التابعة لهم وهاجموا مراكز القوى المنافسة لبكر اغا التي تزعمها احد رؤساء الانكشارية المدعو محمد قنبر اغا فدارت في المدينة التي أغلقت ابوابها معارك شديدة اظهر خلالها الطرفان اجساداً دفينّة وكان انتصار اتباع بكر اغا وسيطرتهم على شوارع المدينة سبباً لنقل الوالي واشياعه من وضع المتمكن القادر على العمل الى وضع المدافع المعتصم بقلعة المدينة . وعندما وصلت الانباء الى بكر اغا عاد على جناح السرعة الى بغداد وتدفقت قواته اليها واشتدت الضائقة بالمحاصرين واخيرا اضطر زعيمهم قنبر اغا الى

( ٧ ) حسين القهواتي . المصدر نفسه . ص ١٨٠ .

( ٨ ) نظمي زادة . المصدر السابق . ص ٢١٢ .

الاستسلام بينما قضى الوالي نجه برصاصة طائشة (٩) ووصف مرتضى افندي حالة بغداد ايان اقتتال المتصارعين على السلطة من اعوان الانكشارية واتباعهم فقال ..

« اثاروها حربا .. سرى لهيبها الى كل  
مكان حتى كثر القتل واشتدت الضائقة  
وصار سافلها عاليها وذكر الناس بالخير  
ايام هولاء و تيمور وضربت الفوضى  
اطنابها في البلد واختلط الحابل بالنابل  
واجتاحت الناس مجاعة مخيفة يعجز  
القلم عن وصفها .. » (١٠)

بعد ان صفا بكر اغا خصومه وقتلهم شر قتلة بعث الى الاستانة يطلب توليته على بغداد كما ارسل الى والي ديار بكر حافظ احمد باشا ( والي بغداد سابقا ) ليسعى له لدى مقام السلطان . ولكن الدولة رفضت طلبه وعينت شخصا اخر يدعى سليمان باشا وحملته رسالة الى حافظ باشا كي يتولى تسهيل مهمة الباشا الجديد . ومن ناحية اخرى ارسلت الاستانة رسولا الى بغداد ليلفج بكر اغا بتدابير الدولة الأخيرة المتضمنة كذلك تسلم حكومة بغداد لحين وصول الوالي الجديد (١١) على ان بكرا رفض اطاعة اوامر الاستانة و دشن عصيانه ضد الباب العالي بقتل المتسلم ويدعى علي اغا ثم استنفر اتباعه ووضعهم على اهبة الاستعداد لمواجهة قوات حافظ احمد باشا (١٢) وفي رواية اخرى ان بكرا اغا اغلق باب المدينة بوجه المتسلم صائحا اننا لسنا بحاجة الى متسلم .. ارجع الى سيدك ... » (١٣)

وكان حافظ احمد باشا الذي وصل على رأس حملة عثمانية لتأديب بكر اغا وتنفيذ اوامر السلطان المتضمنة اسناد ولاية بغداد إلى سليمان باشا قد حاول اقناع بكر اغا بعدم جدوى القتال والعصيان كما انه لم يدخر جهدا من اجل تحذيره ولكن بكرا اغا تمادى في العصيان وصار يشن الهجمات والغارات على القوات

---

( ٩ ) انظر تفصيل ذلك في القهواتي . المصدر السابق . ص ١٨٠ - ١٨٤

( ١٠ ) نظمي زادة . المصدر السابق . ص ٢١٣ .

( ١١ ) القهواتي . المصدر السابق . ص ١٨٥ .

( ١٢ ) لونكريك . المصدر السابق . ص ٧٤ ، ٧٥ .

( ١٣ ) القهواتي . المصدر السابق . الصفحة السابقة .

العثمانية حتى اضطرت الى الابتعاد قليلا عن بغداد. (١٠) وازاء هذا الوضع الذي صار يهدد وينذر بالحصار والمجاعة. عمد بكر اغا الى المناورة بغية اكراه الدولة العثمانية على اجابة مطالبه بولاية بغداد. فقد ارسل الاغا المتمرد الرسل الى الشاه عباس الكبير (١٥٨٧ - ١٦٢٩) يبلغه عن استعدادة لتسليمه بغداد إذا أيد ولايته فيها. كما ارسل من ناحية اخرى الى حافظ باشا يبلغه بأنه سيسلم المدينة الى الشاه عباس ما لم يحصل على فرمان الباشوية. لقد اسقط بيد الباشا في حين سر الشاه عباس للأمر سرورا كبيرا وامر قائده صفي قلي بالاسراع وعدم اضاءة هذه الفرصة. (١١) اما الباشا التركي فانه لم يقدر تقديرا كافيا نتائج تصرف بكر اغا ولكن اعيان المدينة الذين اقلقتهم انباء تحرك الجيش الصفوي نحو بغداد إجمعوا على مبايعة بكر اغا بالباشوية. واضطر حافظ باشا بعد تردد بطويل الى اصدار فرمان المطلوب فساعد ذلك على تغيير الموقف لصالح العثمانيين وحال دون استمرار بكر اغا في صك النقود باسم الشاه. (١٢) والملاحظ انه في الوقت الذي لم يجد الشاه عباس الكبير الظروف المناسبة للزحف على بغداد في مناسبتين سابقتين قيل ان مراكز القوى طلبت اليه التدخل لأسنادها ضد خصومها. فان الزحف الصفوي سنة ١٦٢٣ يجيء وهو قائم على دلالات اوضح حول رغبة الشاه في اعتماد بغداد قاعدة للتوسع في الشرق العربي على حساب الدولة العثمانية التي تضاعل نفوذها ابان هذه الحقبة - في العراق والخليج العربي. ويقف اصرار الشاه على احتلال بغداد على الرغم من معرفته بتغير ولاء بكر اغا « باشا » بغداد الجديد وعلمه بوجود حملة عثمانية كبيرة دليلا على خطط الشاه وسياسته التي يبدو انها كانت تطمح الى اقتران عملية الاستيلاء على بغداد بهزيمة عسكرية للعثمانيين ولكن حافظاً احمد باشا اسقط هذه الخطة بقرار الانسحاب الى الموصل.

ومهما يكن من امر فان سياسة الشاه عباس حققت جانبا من اهدافها بعدما تمكنت من احتلال بغداد إثر حصار شديد اصاب فيه السكان من الضنك الشيء الكثير. (١٣) وتشير المصادر الى ان الشاه ما كان باستطاعته احتلال المدينة لو لا تآمر عدد من اعوان « بكر باشا » الذين أنيط بهم الدفاع عن قلعة المدينة يقول المؤرخ والخطيب الموصلية ياسين العمري.

(١٤) المصدر نفسه. ص ص ١٨٦ - ١٨٨.

(١٥) المصدر نفسه. ص ص ١٩٢ - ١٩٣.

(١٦) قارن بالعزاوي. تاريخ العراق بين احتلالين. ج ٤ ص ١٧٤.

(١٧) حول ظروف بغداد أثناء الحصار انظر. ياسين بن خير الله العمري. زبدة الآثار الجلية في العواصم الارضية. تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف. (النجف ١٩٧٤) ص ص ٦١ - ٦٢.

« وكان باكير ( بكر باشا ) قد ترك بالقلعة ولده محمد بك فلما رأى الغلبة أرسل للشاه يطلب الامان لنفسه ويسلمه القلعة فأمنه وفتح محمد باب القلعة ليلا ولما أصبح الصباح دقت طبول الشاه بالقلعة .. » (١٨)

والمؤرخ مرتضى نظمي زادة لا يتردد في القاء الملووم بكامله على « بكر اغا » فهو يقول :

« وكان باكير ( بكر باشا ) قد ترك بالقلعة ولده محمد بك فلما رأى الغلبة أرسل للشاه يطلب الامان لنفسه ويسلمه القلعة فأمنه وفتح محمد باب القلعة ليلا ولما أصبح الصباح دقت طبول الشاه بالقلعة .. » (١٨)

وقد صاحب دخول جيوش الشاه بغداد جالة من الفوضى الشاملة بسبب النزعة الرامية الى معاقبة اعوان « بكر باشا » والذين حرضوه على المقاومة او الانقلاب على الشاه . وكان والد المؤرخ مرتضى افندي وهو الشاعر المعروف نظمي زادة من بين الذين فروا من مدينة بغداد يعد احتلالها . ويذكر مؤرخنا مرتضى افندي ان والده اختفى لبضعة ايام بعد الاحتلال ثم غادرها بزي درويش الى الحلة التي وصلها بعد حين وصل ضيفا على وجهائها وقد جادت قريحته بقصيدة مؤثرة شرح فيها حال بغداد المحزنة بعد احتلال الشاه عباس لها . (٢٠) وقد كان ضروريا ان يظهر العراقيون الممتحنون بالقوى السياسية المتصارعة التعاون والتعاقد فيما بينهم فحمى بعضهم بعضا وهربوا الاشخاص الذين كانوا هدفا للغزاة ونجحت مساع محمودة بذلها السيد دراج سادن الروضة الحيدرية في كربلاء في حقن دماء الكثيرين . (٢١)

### الابعاد السياسية للاحتلال الصفوي وجهود العثمانيين لاستعادة بغداد

جاء الاحتلال الصفوي الثاني لبغداد سنة ١٦٢٣ بمثابة ضربة قوية للعثمانيين . ففي الوقت الذي كانت الدولة العثمانية تسعى لتأكيد نفوذها السياسي في انحاء المشرق العربي حيث اندلعت الثورات وعمت الاضطرابات ، (٢٢) كانت الساحة

( ١٨ ) العمري ، زبدة الآثار الجلية ، ص ص ٦٢ - ٦٣ .

( ١٩ ) نظمي زادة ، كلشن خلفا ، ص ٢٢١ .

( ٢٠ ) نظمي زادة ، كلشن خلفا ، ص ٢٢١ .

( ٢١ ) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ص ٧٨ - ٧٩ .

( ٢٢ ) فريد ، تاريخ الدولة العلية ، ص ص ١١٩ - ١٢٠ .

المقابلة - ونعني بها الدولة الصفوية - تشهد جهودا محسوسة لاعادة بناء كيانها الامبراطوري عن طريق استعادة السيطرة على الاقاليم التي توسعت فيها ابان المد الصفوي في مطلع القرن السادس عشر. ففي منطقة الخليج العربي كان لتدهور مركز البرتغاليين وتطلع الانكليز لان يصبحوا اسياد التجارة فيه الاثر المهم في اعادة ترتيب الاوضاع في المنطقة لصالح الصفويين. لقد شهد العقدان الاول والثاني من القرن السابع عشر سلسلة من الاتصالات بين الدولة الصفوية وانكلترا بقصد تصفية الوجود البرتغالي في الخليج العربي وكان من تحصيل الحاصل ضغوط صفوية على مواقع البرتغاليين في الساحل الشرقي من الخليج العربي من جهة ونشاط شركة الهند الشرقية البريطانية وحلول اسطولها محل الاسطول البرتغالي من جهة اخرى (٢٣). وهكذا بينما تكللت هذه الجهود بالنجاح وتم اخراج البرتغاليين من بندر عباس وهرمز كانت ابعاد ذلك كافية لتدعيم الفكرة الامبراطورية الصفوية لدى الشاه عباس الكبير.

وفي هذا السياق كان احتلال بغداد سنة ١٦٢٣، عاملا حاسما في قلب ميزان القوى لصالح الصفويين على اساس البقاء الدائم وقد اتضح من خلال الوقائع التاريخية ان ابعاد هذا الاحتلال تجاوزت ردود الفعل الناجمة عن تمرد يكر اغا او تلبية طلبه حول المساعدة في تثبيتته حاكما لبغداد. فقد تم بعد الاحتلال المذكور ارسال الجيوش للسيطرة على كركوك والموصل والحلة (٢٤). كما بذلت الجهود لتعزيز الاحتلال وحماية المدن من غارات القبائل البدوية (٢٥). في حين تترى الحملات على البصرة - (٢٦) التي حافظ حاكمها « افراسياب » على ولائه للسلطان ورفض الخضوع لسلطة الشاه - بغية احتلالها لما في ذلك من تاثير حاسم لمصلحة الوجود الصفوي في العراق والخليج العربي. على ان سيطرة الدولة الصفوية على العراق لم تكن حاسمة. فالقوى العربية المحلية لم تعط الولاء التام لاحد. وتشير المصادر الى ان الشيخ مطلقاً اباريشة امير الجزيرة الفراتية انتهز الاحتلال الصفوي فهاجم عانة وطرده جاميتها العثمانية كما كان يناوي الصفويين في الوقت ذاته. اما الشيخ ناصر

---

( ٢٣ ) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ - ١٣٠ . على ان مركز الانكليز في الخليج العربي تعرض خلال هذه العقبة لمنافسة الهولنديين . حول ذلك انظر ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ - ١٣٦ .

( ٢٤ ) نظمي زادة ، كلشن خلفا ، ص ٢٢١ .

( ٢٥ ) كما يستدل على ذلك من وضع حاميات عسكرية في السماوة والحكة والحلة وكربلاء والنجف . انظر ، لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

( ٢٦ ) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٧٨ - ٨٠ .

المهنا أميرآل فضل في البادية الجنوبية فانه هاجم مدينة كربلاء وحاول طرد الصفويين منها. (٢٧) ولم يقتصر الامر على موقف القوى المحلية . بل تعدى ذلك الى نجاح القوات العثمانية في البقاء ممسكة بالعديد من المدن فصارت تشن الغارات على الصفويين باستمرار كما افلحت في انتزاع مدن مهمة لفترة قصيرة كما حصل لمدينة الحلة سنة ١٦٣١. (٢٨)

ان تصاعد المقاومة المحلية وتدهور مركز الصفويين كما هو واضح من العرض المذكور لم يكن حالة معزولة عن الواقع السياسي للدولة الصفوية وتداعي خطط التوسع الصفوي في المشرق العربي الذي بدا اكثر جلاء بعد وفاة الشاه عباس الكبير سنة ١٦٢٩. وازاء ذلك فقد تعززت الامال لدى العثمانيين من اجل استعادة بغداد . لانها تعني في الواقع استعادة العثمانيين لمركزهم في العراق ورأس الخليج العربي وهكذا كانت الحملة العثمانية الفاشلة على بغداد سنة ١٦٣٠ التي اثرت تأثيرا سيئا في الاوضاع السياسية في الاستانة وكان من نتائجها تمرد الانكشارية على اثر عزل قائد الحملة الصدر الاعظم خسرو باشا ( تشرين الاول ١٦٣١ ) ثم اعدام خلفه الصدر الاعظم احمد حافظ باشا وعدد من كبار رجالات الدولة ( شباط ١٦٣٢ ) بامر السلطان مراد الرابع وذلك لتهدة المتمردين. (٢٩)

وبناء على ما ذكرنا حول اهمية بغداد فقد تحولت الجهود العثمانية الى استعادتها الى حرب عامة ضد الدولة الصفوية . فاتسعت ساحة الصراع خلال السنوات اللاحقة ونجح العثمانيون في نقل الحرب الى اراضي الدولة الصفوية او كما يتردد في المصادر المعاصرة الى عقر دارها. (٣٠) وفي سنة ١٦٣٨ قرر السلطان مراد الرابع ان يحسم موضوع استعادة بغداد بنفسه فار على رأس حملة كبيرة قاصدا اظهار العزم والتصميم على استردادها . وقد اطنب الشعراء مشيدين بهمة السلطان العالية وجهوده المباركة. (٣١)

وبعد رحلة شاقة وصلت طلائع القوات العثمانية الى اسوار بغداد ثم تواترت الجيوش لتحيط بالمدينة من جميع جهاتها . وبينما كانت الجيوش العثمانية تنظم

---

( ٢٧ ) لونكريك . المصدر السابق . ص ص ٧٩ - ٨٠ . ٩١

( ٢٨ ) نظمي زادة . كلشن خلفا . ص ٢٢٨ .

( ٢٩ ) محمد فريد . تاريخ الدولة العلية . ص ص ١٢٦ - ١٢٧ .

( ٣٠ ) انظر عرضا مفصلا لذلك في . القهواتي . العراق ما بين الاحتلالين العثمانيين . ص ص ٢١٣ - ٢٥٦ .

( ٣١ ) نظمي زادة . كلشن خلفا . ص ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

مواقعها لحصار المدينة كانت المدافع الضخمة المحمولة على ( الاكلاك ) تصل تباعا عن طريق نهر دجلة (٣١)

وأحدثت حملة السلطان مراد الرابع ردود الفعل المتوقعة لدى الحامية الصفوية فاستنفرت عناصر الدفاع الضرورية وارسلت تطلب المزيد من ابران . غير ان احكام العثمانيين سيطرتهم على اسوار المدينة ادى الى قطع الاتصال بالحامية ومصادر تموينها في الخارج . واستمر حصار العثمانيين للمدينة اربعين يوما قاموا خلالها بتوجيه مدفعيتهم صوب الاسوار والقلعة فالقت عليها وابلا من القنابل والقذائف بدون انقطاع . وتقول بعض المصادر ان عدد القذائف التي القيت عليها في احد الايام وصل الى خمس واربعين الف قذيفة . وازاء ذلك كانت الحامية ترد على النار بالمثل حتى اثارت مقاومتها غضب السلطان . وزعم انه ( اي السلطان ) لم يتردد . وهو في سورة غضبه في منازلة احد فرسان الحامية الصفوية عندما خرج امام العسكر العثماني طالبا النزال . لقد انبرى له مراد الرابع بنفسه وقلق له جمجمته (٣٢)

ومرت الايام وجند السلطان يهرقون الدماء رخيصة في سبيل اختراق الاسوار . واخيرا عيل صبر السلطان فارسل الى قائده الصدر الاعظم محمد طيار باشا وكال له التقرير والتعنيف الامر الذي دفع الصدر الاعظم الى القيام بعملية انتحارية دفع حياته ثمنا لها (٣٣) وهكذا كانت تلك الايام بما حملته من جهود وتضحيات متقابلة تعبر عن تصورات واحدة حول معاني ودلالات السيطرة على بغداد . ففقدان الصفويين لبغداد يعني فقدان العراق وتعويض المشاريع الامبراطورية الجديدة القديمة . واستعادة العثمانيين لبغداد يعني تأكيد هيمنتهم على العراق والخليج العربي بخاصة والمشرق العربي بعامة وهو يضمن بالتبعية استمرار التجارة بين الشرق والغرب عبر الطرق التقليدية لمصلحة العثمانيين وكان سقوط الصدر الاعظم طيار باشا صريعا في المعركة مبعثا لاسى السلطان والمه وتذكر بعض المصادر انه رثى وزيره بالقول « ان مائة مدينة غير بغداد لا يمكن ان تعوض عن فقده » (٣٤)

(٣٢) حول سلاح المدفعية الذي جهزت به الجيوش العثمانية التي فتحت بغداد سنة ١٦٣٨ انظر ، المزوي . تاريخ العراق بين احتلالين . ج ٤ ص ٢١٠ وانظر الاخبار الطريفة التي يوردها الوردى . لمحات

اجتماعية . ج ١ ص ٨٥ - ٨٧ .

(٣٣) المصري . صلات بين العرب والفرس والترك . ص ٤٠٦ .

(٣٤) نظمى زادة . كلشن خلفا . ص ٢٣١ .

(٣٥) القهواتي . المصدر السابق . ص ٦١ . وقارن ب . علي شاكى على . تاريخ العراق في العهد العثماني .

١٦٣٨ - ١٧٥٠ . دراسة في احواله السياسية ( بغداد ١٩٨٥ ) . ص ٦٦ - ٦٧ .

وبسبب ذلك أصبح السلطان في وضع عصيب حتى ان احد المؤرخين وصف حالته فقال « ان السلطان لم يقر له قرار لافى ليل ولا نهار كما نسى الطعام والشراب والمنام .. » (٣٦) وهكذا شدد العثمانيون من القصف المدفعي وتمكنوا من احداث الثغرة المطلوبة في السور وصارت القوات العثمانية تتدفق عبرها نحو المدينة . لقد حسم هذا التطور الموقف لصالح العثمانيين فارسل حاكم المدينة الصفوي بكتاش خان يطلب الامان مقابل الاستسلام فاجابه السلطان اليه ثم اعقب ذلك استسلام الحامية التي ابيدت بعد ايام بسبب حوادث الانفجارات التي وقعت في معسكرات ومخازن الجيش العثماني وهكذا قضى الامر وتكلفت جهود العثمانيين بالنجاح . (٣٧)

### معاهدة زهاب واستقرار العراق في ظل التبعية العثمانية

عاد السلطان مراد الرابع الى الاستانة بعد ان قضى شهرا وبضعة ايام لترتيب اوضاع بغداد يعد طرد الصفويين منها . واستقبل السلطان بحفاوة في حاضرة بلاده استانبول . وبالرغم من ان السلطان لم يتمتع طويلا بنصره اذ ادركته المنون بعد عام واحد . الا ان اهم النتائج التي ترتب على الحملة العثمانية وهزيمة الصفويين في بغداد سنة ١٦٣٨ وما اعقب ذلك من هزائم على تخوم الدولتين هو اسراع الصفويين لطلب الصلح . وقد ساعد الوضع الجديد العثمانيين على املاء شروطهم على الصفويين فتضمنت انسحاب الصفويين من دربتك والاعتراف بتبعية قارص للدولة العثمانية وفي وقت لاحق جرت مفاوضات بين الطرفين انتهت بعقد معاهدة زهاب « في ١٤ محرم سنة ١٠٤٩ هـ / ١٧ مايس ١٦٣٩ م .

وثمة فرق مهم بين « معاهدة زهاب » والمعاهدات السابقة لها التي عقدت بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية فهي ليست معاهدة صلح حسب بل لتحديد الحدود بين الدولتين ايضا . وقد اوفق الصفويون فيها على تبعية جصان وبدره ومندلي ودرنة ودرتلك وسرميل والقوى الواقعة غربي قلعة زنجير حتى قلعة ظالم في ضواحي شهرزور والجبال المحيطة بها الى الممر المؤدي الى شهرزور وبضمنها قلعة قزلجة وتوابعها للعثمانيين . كما تعهد الصفويون بعدم التعرض او التدخل في القلاع

(٣٦) انظر ، المصري ، المصدر السابق ، ص ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

(٣٧) للتفاصيل انظر ، العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ص ص ٢٣١ - ٢٣٣ ، نظمي زادة ،

المصدر السابق ، ص ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٣٨) نظمي زادة ، المصدر السابق ، ص ٢٣٥ . وقارن بفريد ، المصدر السابق ، ص ص ١٢٧ - ١٢٨ .

والجبال والاراضي والنواحي ' واقعة ضمن حدود وان - شهرزور - البصرة (٣٩) .

وهكذا تكون المعاهدة قد رسمت صورة اكثر وضوحا لحدود الامبراطورية العثمانية الشرقية بحيث يبدو جليا في أية خارطة يمكن رسمها بناء على الوصف الموجز الوارد في المعاهدة ان الدولة الصفوية اعترفت بتبعية العراق للدولة العثمانية واقرت هيمنة الاخيرة على الطريق البري الذي يصل الاناضول والشام بالخليج العربي . وقد اكدت حالة الهدنة التي اعقبت المعاهدة وامتدت لحقبة طويلة نسبيا بلغت الثمانين عاما الوضع الذي اقرته المعاهدة المذكورة الامر الذي له دلالاته على تفوق العثمانيين . وزججان كفتهم في ميزان القوى فاصبح هذا التفوق مسألة جديدة بالاعتبار على امتداد القرون الثلاثة اللاحقة .

---

٣٩ ( للتفاصيل انظر ، المزوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

## الخاتمة :

اظهرت هذه الدراسة الاثر العميق لتطور الاحداث الناجمة عن الغزو المغولي للمشرق العربي واسقاط الخلافة العباسية في بغداد مركز القوة السياسية الرئيسية في الوطن العربي وعلى الرغم من انبعاث الخلافة من جديد في القاهرة فانها بحكم القيود السياسية المملوكية لم يكن بوسعها ان تؤدي الدور الذي كانت تؤديه هذه المؤسسة في الماضي . دون ان يعني هذا التقويم اغفال الدلالات الايجابية للقوة المملوكية على مدى اكثر من قرنين من تاريخ بعث الخلافة في مصر .

وفي مقابل ذلك فإن القوى السياسية التي افرزتها تطورات الاحداث خلال القرون التي اعقبت انهيار الدولة العباسية عملت ما في وسعها من اجل السيطرة على بغداد عاصمة العراق والخلافة العتيدة غير انها لم تحاول عمليا بعث بغداد مركزا لقوة سياسية توازي مركزها التاريخي وكان غرضها استثمار ذلك التقوية كيائها السياسي وراء حدود المشرق العربي وعلى الرغم من ان يمثل هذه السيطرة كانت تحقق لتلك الكيانات السياسية بعضا من مظاهر القوة فانها لم تكن قوة دائمية طالما ظلت بغداد اقليما ثانويا تجاه المركز وهي من ثم عرضة للانتزاع من لدن القوى السياسية المنافسة . وفي وقت لاحق حين استقطب الصراع بين الدولتين العثمانية والصفوية ظلت محاولات انتزاع العراق هدفا استراتيجيا في السياسة الاقليمية للدولتين كليهما . على ان استقرار العراق تحت السيطرة العثمانية قد اعطى الاخيرة ارجحية في ميزان القوى الاقليمي الامر الذي يعد مسوغاً مقبولا لاعادة النظر في تقويم كل من الاثر الجيوبولوتيكي والتاريخي المعنوي للعراق في دراسة اكثر شمولية وعمقا بهدف الكشف عن شخصية العراق عبر التاريخ .



القوى المحلية والحوادث المهمة التي اسهمت فيها ..



## آل فضل / اطراف الفرات والجزيرة الفراتية

\* حديثه بن عقبة بن فضل / اماره العرب وحماية الصحراء / عهد العادل ابي  
بن ربيعة الطائي  
بكر اخي السلطان صلاح الدين

\* مانع بن حديثه بن عقبة / اماره العرب وحماية الصحراء / توفي سنة ٦٣٠ هـ  
\* مهنا بن مانع بن حديثه / اماره العرب . شهد قتال هولاءكو / عهد الملك  
المظفر

\* عيسى بن مهنا بن مانع / قبول دخالة ابن الخليفة المستعصم / عهد الملك  
الظاهر بيبرس العباسي وارساله الى مصر صحبه  
علي بن حديثه . تولى اماره العرب وحماية  
الصحراء .

\* مهنا بن عيسى بن مهنا / التذبذب بين المماليك والمغول . / عهد الاشرف  
خليل بن قلاوون قبض عليه ثم افرج عنه سنة  
٦٩٤ هـ

\* فضل بن عيسى بن مهنا / ولي اماره العرب بدلا من اخيه / عهد الناصر سنة  
٧١٤ هـ

\* مهنا بن عيسى بن مهنا / طرد من اماره العرب لأتصاله / عهد الناصر  
بالمغول سنة ٧١٤ هـ . اعيد للأماره بوساطة الافضل  
صاحب حماة وبقي فيها حتى وفاته سنة ٧٣٤ هـ

\* حيار بن مهنا بن عيسى / تذبذب الولاء بين المماليك والجلاتريين . / عهد  
السلطانين حسن عين اميرا للعرب من قبل  
الجلاتريين واويس الجلاتريين سنة ٧٤٩ هـ /  
١٣٤٨ م

\* نعيم محمد بن حيار / استولى على بغداد وحلب وخطب باسم / عهد  
السلطان الظاهر

بن مهنا  
السلطان الظاهر سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٤ م ذاع صيته في  
مقاومة التتر في عهد تيمور لك واسهم في حركة  
الاسترداد .

\* عذرا بن علي بن نعيم / التصدي لقرا قوينلو . هاجم الحلة  
محمد بن حيار / واستولى عليها وعين شقيقه مدلج نائبا فيها  
حوادث سنة ٨٣١ هـ / ١٤٢٧ م

\* حارث بن عذرا بن علي / ساند شاه محمد القرا قوينلي حاكم بغداد ومكنه  
من الموصل التي تمرد فيها أسبان شقيق شاه محمد

\* سيف بن علي بن نعيم / تذبذب الولاء بن المماليك والاق قوينلو  
محمد بن حيار / طارده المماليك حتى الرها . وعند اسوارها هزم  
جيش المماليك على يد قوات الاق قوينلو في  
الرها عهد السلطان قايتباي

\* درياع بن مهنا / السيطرة على طريق الحج

حوادث سنة ١٥٢٥ م

\* ملحم بن ابي ريشة الحيارى / السيطرة على طريق الحج . التعرض لموظفي  
الحكم العثماني .

اعترف السلطان العثماني بحكمه الوراثي ومركزه  
السياسي ( امير العرب ) .

حوادث سنة ١٥٣٠ م

\* احمد بن ابي ريشة ولاؤه لمحمود ياشا جيغا لزاده والي بغداد / عاش طويلا  
وتوفي

الحيارى / سنة ١٥٨٩ . تولى حماية الطرق في الصحراء . سنة ١٦٣١ م  
وتمتع بنفوذ مطلق في الصحراء . قيل انه اشترى ( ١٢ )  
قنطاراً من البارود .

\* مدلج بن ظاهر / سنده ابن معن ضد خصومه سنة ١٦٢٢ م .

الحيارى / انضوت تحت لوائه مجموعة من قوات صكبانية بغداد .  
التي هربت من الاحتلال الصفوي سنة ١٦٢٣ . طرد .  
الحامية الايرانية من عانة .

\* خالد المعجاج بن ابي / انتقاد الى بكتاش خان الحاكم

ريشة الحيارى / الصفوي في بغداد . ولكنه اشترك في حملة السلطان مراد  
الرابع لاستعادة بغداد سنة ١٦٣٨ .

اردى قتيلاً سنة ١٦٤٤ فانعم والي حلب على قاتله

قام بتجهيز قوات من الهجانة وقوافل الجمال لنقل المؤن

اردى قتيلاً سنة ١٦٤٤ فانعم والي حلب على قاتله

## بنو المشعشع في الاحواز

\* محمد بن فلاح / الاغارة على المناطق المجاورة وهي الجزائر وواسط والحويزة والبصرة . توفي سنة ٨٦٦ هـ / ١٤٦٢ م

\* علي بن محمد / الاغارة على المناطق المجاورة . هاجم الحلة سنة ٨٥٨ هـ . كما هاجم بعقوبة والمدائن . قتل في حياة ابيه سنة ٨٦١ هـ / ١٤٥٧ م

\* محسن بن محمد / استولى على الحلة وبقيت بيده الى سنة ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م . انتهز حادث وفاة حسن الطويل سلطان الاق قوينلو فهاجم الحلة وجعل له نائبا في الرماحية . وهاجم الخالص سنة ٨٨٣ هـ . تصدت له قوات الاق قوينلو في عهد السلطان يعقوب وهزمته .

\* علي وايوب ولدا محسن بن محمد / تظاهرا بقبول حكم الصفويين . خرجا لاستقبال الشاه اسماعيل الصفوي اثناء حملته على الاحواز . لم يكن منتظرا ان يوافق الصفويون على وضع المشعشين المستقل فعمد حاكم شوشتر الصفوي الى استدراجهما ثم قتلها سنة ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م

\* فلاح بن محسن بن محمد / نجا من القتل الذي تعرض له مع اخوته وتمكن من العودة الى الحويزة بعد رحيل الشاه حيث ثار مع عشيرته ضد الحكم الصفوي واضطر الشاه الى استرضائه فعينه حاكما على الحويزة واطرافها . توفي سنة ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م

\* بدران بن فلاح / سار على خطة سلفه في العلاقات الايجابية مع الصفويين توفي سنة ٩٤٨ هـ

\* سجاد بن بدران / في عهده حاول العثمانيون انتزاع الحويزة وفرض التبعية العثمانية عليها عبر حملة قادها مصطفى باشا والي البصرة . توفي سنة ٩٩٢ هـ

\* زنبور بن سجاد / ادى الصراع العائلي والقبلي داخل الامارة المشعشعية الى مقتله سنة ٩٩٨ هـ / وسيطرة مبارك بن عبدالمطلب على الامارة .

\* مبارك بن عبدالمطلب / حيدر بن محسن / هاجم البصرة على قلعة الزكية في محاولة هدفها اجبار حكام البصرة من آل افراسياب الانقياد . لسلطة المتشعنين . رفض الانقياد . لمطالب البرتغاليين بعقد معاهد تحالف ضد العثمانيين . تفادي حملة عثمانية كان من المقرر ان يشنها محمد باشا والي البصرة عن طريق ارسال مبلغ من المال الى والي - المذكور . توفي ١٠٢٥ هـ

\* ناصر بن مبارك / توفي مسموما سنة ١٠٢٦ هـ قيل ان ابن عمه الامير راشد دبر ذلك من اجل الارتقاء الى عرش الامارة .

\* منصور بن مطلب / قدم عروض التحالف الى علي افراسياب حاكم البصرة من اجل تشكيل جبهة لمقاومة تطلعات الشاه عباس الكبير . اسهم في الدفاع عن البصرة ضد الحملة الفارسية عليها سنة ١٦٢٥ التي انتهت بالفشل اضطر الصفويون في عهد الشاه صفي قلي الى اعادة النظر في سياستهم تجاه القوى المحلية فتحسنت العلاقة مع كل من المتشعنين وآل افراسياب .

### ال عليان في البصرة والمنتفق والجزائر ( الحمار )

\* راشد بن مغامس / قدم الولاء للسلطان سليمان القانوني سنة ١٥٣٤ م  
\* مانع بن راشد / عصى الدولة فكانت حملة اياس باشا والي بغداد سنة ١٥٤٦ التي ادت الى سيطرة العثمانيين على البصرة . وفي سنة ١٥٤٩ وجهت الدولة حملة ثانية بقيادة علي باشا والي بغداد يعاونه والي سيواس

\* راشد بن مانع / عصى الدولة سنة ١٥٦٦ فكانت حملة درويش علي باشا على البصرة يعاونه والي شهرزور ووالي الموصل

\* محمد بن راشد بن مانع / سيطر اتباعه على الرحمانية ( ضواحي البصرة ) سنة ١٥٩٦ م . وفي سنة ١٦٠٤ التقى معه الرحالة تكسيرا . وفي سنة ١٦٢٥ ساند ( ٧٠٠ ) مسلح من اتباعه حاكم البصرة على افراسياب في مقاومة الهجوم الايراني .

\* مانع بن مغامس / سيطر على البصرة سنة ١٦٩٤ وطرد والي احمد باشا عثمان زادة . وفي سنة ١٧٠٠ استعاد الحاج محمد باشا والي ديار بكر البصرة فهرب مانع الى الحويزة .

## بنو خالد في الاحساء

- ✻ قرن بن زامل ١٥٢١ امتنع عن دفع الجزية للبرتغاليين وقتل في المواجهة التي حدثت بسبب ذلك
- ✻ عبدالله بن مقرن ١٥٤٦ اعلن الولاء للعثمانيين . زحف على القطيف مع القوات العثمانية وحررها من السيطرة البرتغالية .
- ✻ سعدون بن عبدالله ١٥٦٠ كلفته السلطات العثمانية بمهمة المحافظة على الامن في منطقة الاحساء . عين بوظيفة سنجق بك الصحراء
- ✻ تعاقب الولاة على باشا وذريته ابو بكر ويحيى ومحمد من اواخر القرن السادس عشر حتى سنة ١٦٦٥ على حكومة الاحساء العثمانية .
- ✻ براك بن عزيز الحمد ( بعد سنة ١٦٦٤ الى سنة ١٦٨٢ ) ساند حاكم البصرة حسين باشا افراشياب ضد والي الاحساء محمد باشا . ثم تمرد علي حسين باشا فقام الاخير بضم الاحساء .
- ✻ محمد بن غريب الحمد ذكر ان امارته امتدت من سنة ١٦٨٢ الى سنة ١٦٩١ ذكر ان امارته امتدت من سنة ١٦٩١ الى سنة ١٧٢٢ اشترك خلالها بنو خالد مع العشائر الاخرى في السيطرة على البصرة ١٧٠٥ - ١٧٠٨ .
- ✻ سعدون بن محمد

## الامراء المتنفذون في عمان اواخر عهد النبهانيين

- \* الامير مهنا بن محمد الهديفي / حاكم صحار / صد محاولة الفرس لاحتلال صحار .
- \* الامير عمير بن حمير / تزعم حركة تمرد واسعة في سماء ضد سلطة الملك سليمان بن مظفر بن سليمان ليستقل فيها بعد مصرع سليمان . وتولى من بعده عدد من افراد ابرته اشتهر منهم مانع بن سنان العميري .
- \* الامير سلطان بن حمير / تحالف مع مهنا بن محمد الهديفي حاكم صحار وهاجما اتباع عمير بن حمير في منطقة السيب . وقد دفع هذا التحالف عميرا الى طلب مساعدة البرتغاليين فاسندوه مقابل سيطرتهم على ميناء صحار فكان لهم ذلك سنة ١٦١٦ . واضحى البرتغاليون يهيمنون على مسقط وصحار وصور وقريات .
- \* الامير مالك بن ابي العرب / دخل في صراع قبلي في منطقة الرستاق ضد قبيلة بني لمك . وقد استنجد لاجل ذلك بالامير عمير بن حمير وهكذا اصبح الحاكم المتنفذ في الرستاق .
- \* من الامراء الاخرين / سلطان بن ابي العرب في النخل . ومحمد بن صفي بن جبر في عبري . وسيف بن محمد الهنائي في بهلى .

## حكام البصرة من آل افراسياب

- \* افراسياب الديري / نال متسلمية البصرة سنة ١٥٩٦ مقابل مبلغ من المال . رفض التبعية للشاه عباس الكبير سنة ١٦٢٣ .
- \* علي باشا افراسياب / واجه حملة الصفويين سنة ١٦٢٤ كما احبط الحملة الثانية سنة ١٦٢٥ . ضم قلعة زكية سنة ١٦٤٥ فكان ذلك سبباً لغضب والي بغداد .
- \* حسين باشا افراسياب / التطلع نحو السيطرة على الاحساء سنة ١٦٥٣ . حملة مرتضى باشا واضطراب احوال البصرة فهرب افراسياب الي بههان .
- حملة عثمانية اخرى ضد افراسياب في سنة ١٦٦٥ بقيادة ، ابراهيم باشا فثاله في سنة ١٦٦٧ . بقيادة قره مصطفى باشا مع ملاحظة انغماس القوى القبلية المحلية ( بنو خالد والمنتفق والمشعشعون ) في الصراع الذي رافق جهود السلطات العثمانية لتقويض الامارة الافراسيابية .

## قادة البحر المشهورون والمعارك البحرية المهمة ..



## قادة البحر العثمانيون في البحار العربية الجنوبية .

<p>أول قائد للأسطول العثماني في البحر الاحمر بعد سيطرة العثمانيين على مصر سنة ١٥١٧ ، له تقرير مهم رفع الى استانبول سنة ١٥٢٥ .</p>		<p>✳ سليمان ريس</p>
<p>بعد سنة ١٥٣٨ فرض الهيمنة العثمانية البحرية في البحر الاحمر ، محاصرة ديوفى كجرات بالهند .</p>		<p>✳ سليمان باشا</p>
<p>حملة بحرية هاجم فيها مسقط وهرمز وقشم .</p>	١٥٥١	<p>✳ بييري ريس</p>
<p>محاولة فاشلة لنقل الاسطول العثماني من البصرة الى السويس .</p>	١٥٥٣	<p>✳ مراد ريس</p>
<p>الاشتباك مع البرتغاليين في اعنف معركة بحرية عند خورفكان .</p>	١٥٥٤	<p>✳ سيدي علي ريس</p>
<p>التفتيش عن اسطول سيدي علي ريس تمكن من اسر العديد من سفن البرتغاليين .</p>	١٥٥٥	<p>✳ صفر ريس</p>
<p>حملة عثمانية من الاحساء للسيطرة على البحرين .</p>	١٥٥٩	<p>✳ مصطفى باشا</p>
<p>قائد الاسطول العثماني في الاحساء والمحددة مهمته في حماية التجارة ومطاردة القرصنة .</p>	١٥٧٧	<p>✳ محمود قبودان</p>
<p>شن غارة على مسقط التي يحتلها البرتغاليون .</p>	١٥٨١	<p>✳ علي بك</p>

## قادة البحار البرتغاليون في البحار العربية الجنوبية

مهاجمة السواحل العربية في حملات متتابعة	١٥٠٥	✦ الفونسودي البوكيرك
مهاجمة البحرين .	١٥٢١	✦ انطونيو كوريا
مهاجمة البصرة .	١٥٢٩	✦ بلشواردي سوساتافاريز
حملة على البحرين .	١٥٢٩	✦ سيماردا كونها
حملة فاشلة في البحر الاحمر .	١٥٤٠	✦ استافودي غاما
مهاجمة القطيف .	١٥٤٦	✦ انكاردي نوروها
حماية هرمز والتجارة البرتغالية .	١٥٤٧	✦ دوم بيو
هجوم فاشل لأسترجاع القطيف .	١٥٥٠	✦ دوم فرانسيسكودي الميدا
استطلاع حالة الاسطول العثماني في البحر الاحمر .	١٥٥٠	✦ غونزا لوفاز كوينهو
احباط محاولة مراد ريس لإعادة	١٥٥٣	✦ ديوجودي نوروها
الاسطول العثماني الى السويس .		
مواجهة حملة سيدي علي ريس في	١٥٥٤	✦ فرانسودي ميتيزس
ممركتين بحريتين تحقق في المعركة		
الثانية تدمير الاسطول العثماني .		
حملة فاشلة على البصرة .	١٥٥٦	✦ الفارود إلفيرا
احباط الحملة العثمانية على البحرين .	١٥٥٩	✦ جوادي نوروها
المساعدة في احباط الحملة العثمانية على البحرين .	١٥٥٩	✦ جوادي كوادروز
فعاليات ضد العرب القاطنين على الساحل الايراني .	١٥٧٧	✦ لويس دي الميدا

## دليل الملوك والحكام المتعاصرين



## الخلفاء العباسيون المتأخرون

- المستعصم بالله ابو احمد عبدالله :
- آخر الخلفاء العباسيين في بغداد : ٦٤ - ٦٥٦ هـ / ١٢٤٢ - ١٢٥٨ م .
- المنتصر بالله ابو القاسم احمد :
- اول الخلفاء العباسيين في مصر ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م .
- الحاكم بامر الله ابو العباس احمد الاول ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م .
- المستكفي بالله ابو الربيع سليمان الاول ٧٠١ هـ / ١٣٠٢ م .
- الواثق بالله ابو اسحاق ابراهيم ٧٤٠ هـ / ١٣٤٠ م .
- الحاكم بأمر الله ابو العباس احمد الثاني ٧٤٠ هـ / ١٣٤٠ م .
- المعتضد بالله ابو الفتح ابو بكر الاول ٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م .
- المتوكل على الله ابو عبدالله محمد الاول ٧٦٣ هـ / ١٣٦٢ م .
- المعتصم بالله ابو يحيى زكريا ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م .
- المتوكل على الله الاول ( ثانية ) ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م .
- الواثق بالله عمر الثاني ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ م .
- المعتصم بالله ( ثانية ) ٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م .
- المتوكل على الله الاول ( ثالثة ) ٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م .
- المستعين بالله ابو الفضل العباس ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م .
- المعتضد بالله ابو الفتح داؤد الثاني ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م .
- المستكفي بالله ابو الربيع سليمان الثاني ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م .
- القائم بأمر الله ابو البقاء حمزة ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م .
- المستنجد بالله ابو المحاسن يوسف ٨٥٩ هـ / ١٤٥٥ م .
- المتوكل على الله ابو العز عبدالعزيز الثاني ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م .
- المتممك بالله ابو الصبر يعقوب ٩٠٣ هـ / تقريبا ٩١٥ هـ / ١٤٩٧ - ١٥٠٩ م .
- المتوكل على الله محمد الثالث ٩١٥ تقريبا ٩٢٢ هـ / ١٥٠٩ - ١٥١٦ م .
- المتممك بالله ٩٢٢ - ٩٢٣ هـ / ١٥١٦ - ١٥١٧ .

## امراء مكة ..

- ٩٠٣ - ٩٣١ هـ / ١٤٩٧ - ١٥٢٤ م . - الشريف بركات بن محمد بركات بن حسن بن عجلان
- ٩٣٢ - ٩٦٠ هـ / ١٥٢٤ - ١٥٥٣ م . - الشريف ابو نمي محمد
- ٩٦٠ - ٩٦١ هـ / ١٥٥٣ - ١٥٥٤ م . - الشريف احمد بن ابي نمي محمد
- ٩٦١ - ١٠١٠ هـ / ١٥٥٤ - ١٦٠١ م . - السيد الشريف حسن بن ابي نمي محمد
- ١٠١٠ - ١٠١٢ هـ / ١٦٠١ - ١٦٠٣ م . - ابو طالب بن حسن بن ابي نمي
- ١٠١٢ - ١٠٣٤ هـ / ١٦٠٣ - ١٦٢٤ م . - ادريس بن حسن بن ابي نمي
- ١٠١٢ - ١٠١٩ هـ / ١٦٠٣ - ١٦١٠ م . - مشاركة فهيد بن حسن بن ابي نمي
- ١٠١٢ - ١٠٣٧ هـ / ١٦٠٣ - ١٦٢٨ م . - محسن بن حسين بن حسن بن ابي نمي
- ١٠٣٤ - ١٠٣٧ هـ / ١٦٢٤ - ١٦٢٨ م . - محسن بن حسين بن حسن بن ابي نمي ( منفردا )
- ١٠٣٧ - ١٠٣٩ هـ / ١٦٢٨ - ١٦٢٩ م . - احمد بن عبدالمطلب بن حسن بن ابي نمي
- ١٠٣٩ - ١٠٤٠ هـ / ١٦٣٠ - ١٦٣١ م . - مسعود بن ادريس بن حسن بن ابي نمي
- ١٠٤٠ - ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ - ١٦٣٢ م . - عبدالله بن حسن بن ابي نمي
- ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ - ١٦٣٢ م . - محمد بن عبدالله بن حسن بن ابي نمي
- ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ - ١٦٣٢ م . - مشاركة يزيد بن محسن بن حسين بن حسن بن ابي نمي
- ١٤٠١ - ١٠٧٧ هـ / ١٦٣٢ - ١٦٦٦ م . - زيد بن حسين بن حسن بن ابي نمي ( منفردا )

## حكام عمان

- أ / الملوك النبهانيون المتأخرون
- ٥٤٩ - ٨٠٩ هـ / ١١٥٤ - ١٤٠٦ م
- الفلاح بن الحسن
- عرار بن الفلاح
- مظفر بن سليمان
- مخزوم بن الفلاح
- ب / الأئمة اليعاربة في حقبة التفوق العماني .
- ١٦٢٤ - ١٧١١ م
- ناصر بن مرشد
- سلطان بن سيف الاول
- بلعرب بن سلطان
- سيف بن سلطان الاول

## أئمة اليمن ..

- الهادي علي بن المؤيد
  - المتوكل المطهر بن محمد الخمري .
  - المهدي صلاح بن علي
  - المنصور الناصر بن محمد
  - المؤيد محمد بن الناصر
  - الهادي عزالدين بن الحسن
  - الناصر الحسن بن عزالدين
  - محمد بن علي الوشلي
  - المتوكل يحيى بن شرف
  - الدين بن المهدي بن يحيى
  - المطهر بن شرف الدين
  - الحسن بن علي داود .
  - المنصور القاسم بن محمد
  - المؤيد محمد بن القاسم
- ٧٩٦ - ٨٣٠ هـ / ١٣٩٦ - ١٤٢٧ م .
- ٨٤٥ - ٨٧٩ هـ / ١٤٣٧ - ١٤٧٥ م
- ٨٤٠ - ٨٨٩ هـ / ١٤٣٧ - ١٤٤٦ م
- ٨٤٠ - ٨٦٦ هـ / ١٤٣٧ - ١٤٦٢ م
- ٨٦٦ - ٩٠٨ هـ / ١٤٢٢ - ١٥٠٣ م
- ٨٧٩ - ٩٠٠ هـ / ١٤٧٥ - ١٤٩٥ م
- ٩٠٠ - ٩٢٩ هـ / ١٤٩٥ - ١٥٢٣ م
- ٨٨٠ - ٩١٠ هـ / ١٤٧٦ - ١٥٠٥ م
- ٩١٢ - ٩٦٥ هـ / ١٥٠٧ - ١٥٥٨ م
- ٩٦٥ - ٩٨٠ هـ / ١٥٥٨ - ١٥٧٣ م
- ٩٨٦ - ٩٩٣ هـ / ١٥٧٩ - ١٥٨٥ م
- ١٠٠٦ - ١٠٢٩ هـ / ١٥٩٨ - ١٦٢٠ م
- ١٠٢٩ - ١٠٥٤ هـ / ١٦٢٠ - ١٦٤٤ م

السلطين المماليك ( الاتراك )

٧٩٢ - ٦٤٧ هـ

١٣٩٠ - ١٢٥٠ م

شجرة الدر - المعز عزالدين ايبك التركمانى ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م

٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م

٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م

في مصر

- المنصور نورالدين علي

- المظفر سيف الدين قطز

المماليك البحرية

- الظاهر ركن الدين بيبرس الاول

البندقداري

٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م

٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م

٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م

٦٨٧ هـ / ١٢٨٩ م

٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م

٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م

- السعيد ناصر الدين بركة قان

- العادل بدرالدين سلامش

- المنصور سيف الدين قلاوون

- الاشرف صلاح الدين خليل

- الناصر ناصرالدين محمد

- العادل زين الدين كتبغا ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م
- المنصور حسام الدين لاجين ٦٩٦ هـ / ١٢٩٧ م
- الناصر ناصر الدين محمد ( مرة ثانية ) ٦٩٨ هـ / ١٢٩٩ م
- المظفر ركن الدين بيبرس الثاني ٧٠٨ هـ / ١٣٠٩ م
- الناصر ناصر الدين محمد ( مرة ثالثة ) ٧٠٩ هـ / ١٣١٠ م
- المنصور سيف الدين ابو بكر ٧٤١ هـ / ١٣٤١ م
- الاشرف علاء الدين كجك ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م
- الناصر شهاب الدين احمد ٧٤٢ هـ / ١٣٤٢ م
- الناصر عماد الدين اسماعيل ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م
- الكامل سيف الدين شعبان الاول ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م
- المظفر سيف الدين حاجي الاول ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م
- الناصر ناصر الدين حسن ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م
- الصالح صلاح الدين صالح ٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م
- الناصر ناصر الدين حسن ( مرة ثانية ) ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م
- المنصور صلاح الدين محمد ٧٦٢ هـ / ١٣٦١ م
- الاشرف ناصر الدين شعبان الثاني ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م
- المنصور علاء الدين علي ٧٧٨ هـ / ١٣٧٧ م
- الصالح صلاح الدين حاجي الثاني ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م
- برقوق ( من المماليك الجراكسة ) ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م
- المنصور ناصر الدين حاجي الثاني ٧٩١ - ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ - ١٣٩٠ م

#### السلطين المماليك البرجية ( الجراكسة )

- في مصر ٧٨٤ - ٩٢٢ هـ / ١٣٨٢ - ١٥١٧ م
- الظاهر سيف الدين برقوق ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م
- المنصور ناصر الدين حاجي الثاني ٧٩١ - ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ - ١٣٩٠ م
- من المماليك الاتراك
- الناصر ناصر الدين فرج بن برقوق ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م
- المنصور عز الدين عبدالعزيز بن برقوق ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م
- الناصر ناصر الدين فرج ( مرة ثانية ) ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م
- العادل المستمين بالله ابو الفضل ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م
- المعالي ( الخليفة المعالي )

- المؤيد سيف الدين شيخ ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م
- المظفر شهاب الدين احمد بن المؤيد شيخ ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م
- الظاهر سيف الدين ططر ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م
- الصالح ناصر الدين محمد بن ططر ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م
- الاشرف سيف الدين برسباي ٨٢٥ هـ / ١٤٢٢ م
- العزيز جمال الدين يوسف بن برسباي ٨٤١ هـ / ١٤٣٨ م
- الظاهر سيف الدين جقمق ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م
- المنصور فخر الدين عثمان بن جقمق ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م
- الاشرف سيف الدين اينال ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م
- المؤيد شهاب الدين احمد بن اينال ٨٦٥ هـ / ١٤٦١ م
- الظاهر سيف الدين خوش قدم ٨٦٥ هـ / ١٤٦١ م
- الظاهر سيف الدين بلباي ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م
- الظاهر تمرغا ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م
- الاشرف سيف الدين قايتباي ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م
- الظاهر ناصر الدين محمد بن قايتباي ٩٠١ هـ / ١٤٩٦ م
- الظاهر قانصوه ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م
- الاشرف جانبلاط ٩٠٥ هـ / ١٥٠٠ م
- العادل سيف الدين طومان باي ٩٠٦ هـ / ١٥٠١ م
- الاشرف قانصوه الغوري ٩٠٦ هـ / ١٥٠١ م
- الاشرف طومان باي ٩٢٢ - ٩٢٣ هـ / ١٥١٦ - ١٥١٧ م

- |                 |                          |
|-----------------|--------------------------|
| ( ايران )       | خانات المغول             |
| ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م | - هولاكو                 |
| ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م | - آباقا                  |
| ٦٨٠ هـ / ١٢٨٢ م | - احمد                   |
| ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م | - ارغون                  |
| ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م | - كيخاتو                 |
| ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م | - بايدو                  |
| ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م | - غازان محمود            |
| ٧٠٣ هـ / ١٣٠٤ م | - اولجايتو خدا بنده محمد |
| ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م | - ابو سعيد بهادر         |
| ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م | - آربا                   |
| ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م | - موسى                   |

## السلطين الجلائريون

٧٣٦ - ٨١٤ هـ

١٣٣٦ - ١٤١١ م

(المراق والانحاء المجاورة )

- الشيخ حسن بزرگ
- معز الدين اويس بهادرخان
- جلال الدين حسين
- غياث الدين احمد بهادر
- الشاه محمود .
- الحكام المظفريون في فارس
- وبعض الاقاليم
- مبارز الدين محمد بن مظفر
- جلال الدين الشاه شجاع
- مجاهد الدين علي زين العابدين
- الشاه يحيى ( في يزد )
- السلطان احمد ( في كرمان )
- الشاه منصور ( في اصفهان )
- ٧١٣ - ٧٩٥ هـ / ١٣١٣ - ١٣٩٣ م
- ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م
- ٧٦٩ هـ / ١٣٥٩ م
- ٧٨٦ - ٧٨٩ هـ / ١٣٨٤ - ١٣٨٧ م
- ٧٨٩ - ٧٩٥ هـ
- ١٣٨٧ - ١٣٩٣ م

## الحانات التيموريون في القليم ماوراء النهر

- تيمور بن ترغاي
- جدة نفوذ
- سيور غتمش بن انشمنده
- تيمورلنك
- محمود بن سيور غتمش
- خليل سلطان
- شاه رخ
- اولوغ بك
- عبد المطلب
- عبدالله
- ابو سعيد
- احمد
- محمود .
- اضطرابات
- ١ / ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م
- ٧٧١ - ٧٩٠ هـ ( خان بالاسم )
- ٧٩٠ - ٨٠٢ هـ ( خان بالاسم )
- ٨٠٧ - ٨١٢ هـ / ١٤٠٤ - ١٤٠٩ م
- ٨٠٧ هـ / ١٤٤٦ م
- ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م
- ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م
- ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م
- ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م
- ٨٧٣ هـ / ١٤٦٩ م
- ٨٩٩ هـ / ١٤٩٤ م
- ٩٠٠ - ٩٠٧ هـ / ١٤٩٤ - ١٥٠١ م

## ملوك سلاجقة الروم في الاناضول .

٤٧٠ - ٧٠٨ هـ

١٠٧٧ - ١٣٠٨ م

٦١٦ هـ / ١٢١٩ م	- علاء الدين كيقيباز الاول
٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م	- غياث الدين كيخسرو الثاني
٦٤٤ - ٦٤٧ هـ / ١٢٤٦ - ١٢٤٩ م	( المرة الأولى ) عز الدين كيكاوس الثاني
٦٤٦ - ٦٤٧ هـ / ١٢٤٧ - ١٢٤٩ م	- ركن الدين قليج ارسلان ( المرة الاولى )
٦٤٧ - ٦٥٥ هـ	مشتركون عز الدين كيكاوس الثاني ( مرة ثانية )
١٢٤٩ - ١٢٥٧ م	ركن الدين قليج ارسلان الرابع
	علاء الدين كيقيباز الثاني
٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م	- غياث الدين كيخسرو الثالث
٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م	- غياث الدين مسعود الثاني ( مرة اولى )
٦٩٨ - ٧٠١ هـ / ١٢٩٩ - ١٣٠١ م	- علاء الدين كيقيباز الثالث
٧٠٢ - ٧٠٨ هـ / ١٣٠٣ - ١٣٠٨ م	- غياث الدين مسعود الثاني ( ثانية )

## ورثة سلاجقة الروم ( طوائف الملوك ) في الاناضول المعاصرين للأمانة العثمانية .

٦٧٦ - ٧٠٠ هـ / ١٢٧٧ - ١٣٠٠ م	✳ ابناء بروانه في سينوب
	✳ ابناء صاحب اتا في قراحصار - اواخر القرن السابع - اواخر القرن
	الثالث عشر .
	✳ ابناء قراسى في باليكسر ( ميسيا القديمة )

تقريبا ٧٠٠ - ٧٣٧ هـ  
تقريبا ١٣٠٠ - ١٣٣٦ م

## ✳ ابناء صاروخان في مغنيسيا والمناطق المجاورة

تقريبا ٧٠٠ - ٨١٣ هـ  
تقريبا ١٣٠٠ - ١٤١٠ م

## ✳ ابناء ايدين في ازميزر والمناطق المجاورة

٧٠٠ - ٨٠٥ هـ  
١٣٠٠ - ١٤٠٣ م

✽ ابناء ازميز في ازميز والمناطق المجاورة

٨٠٦ - ٨٢٩ هـ

١٤٠٣ - ١٤٢٥ م

✽ ابناء منتشا في قاربا القديمة ( بلاط والمدن المجاورة )

تقريبا ٧٠٠ - ٨٢٩ هـ

تقريبا ١٣٠٠ - ١٤٢٥ م

✽ ابناء تكة في انطاليا والمدن المجاورة

٧٠٠ - ٨٣٠ هـ

١٣٠٠ - ١٤٢٦ م

✽ ابناء اشرف في بكشيري ( قطاع بيسيدا القديمة )

غير معروف - ٧٢٨ هـ تقريبا

غير معروف - ١٣٢٧ م تقريبا

✽ ابناء حميد في حميد ( بيسيدا القديمة الى قونية )

اواخر القرن السابع - ٧٩٣ هـ

اواخر القرن الثالث عشر - ١٣٩١ م

✽ ابناء كرميان في كوتاهية وانقرة

تقريبا ٧٠٠ - ٨٣٢ هـ

تقريبا ١٣٠٠ - ١٤٢٨ م

✽ ابناء قرامان في لارنده وقونية والمدن المجاورة

تقريبا ٦٥٤ - ٨٨٨ هـ

تقريبا ١٢٥٦ - ١٤٨٣ م

✽ ابناء جاندار في قسطنطيني

تقريبا ٦٩١ - ٨٦٦ هـ

تقريبا ١٢٩٢ - ١٤٦١ م

✽ ابناء نو القادر ( ذي القدر ) في مرعش والبستان

✽ ابناء رمضان في اطنه

٧٤٠ - ٩٣٨ هـ / ١٣٣٩ - ١٥٣١ م

تقريبا ٧٨٠ - ١٠١٧ هـ

تقريبا ١٣٧٨ - ١٦٠٨ م

## السلطين المشمانيون

٦٩٩ - ١٣٤١ هـ	
١٢٩٩ - ١٩٢٢ م	
٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م	عثمان الاول
٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م	اورخان
٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م	مراد الاول
٧٩٢ - ٨٠٥ هـ / ١٣٨٩ - ١٤٠٢ م	بايزيد يلدرم
٨٠٦ - ٨٢٥ هـ / ١٤٠٣ - ١٤٢٢ م	فاصلة السلطنة
٨١٦ هـ / ١٤١٣ م	محمد جلبي
٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م	مراد الثاني
٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م	محمد الثاني الفاتح
٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م	مراد الثاني ( المرة الثانية )
٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م	محمد الثاني الفاتح ( المرة الثانية )
٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م	بايزيد الثاني
٩١٨ هـ / ١٥١٢ م	سليم الاول
٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م	سليمان القانوني
٩٧٤ هـ / ١٥٦٦ م	سليم الثاني
٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م	مراد الثالث
١٠٠٣ هـ / ١٥٩٥ م	محمد الثالث
١٠١٢ هـ / ١٦٠٣ م	احمد الاول
١٠٢٦ هـ / ١٦١٧ م	مصطفى الاول
١٠٢٧ هـ / ١٦١٨ م	عثمان الثاني
١٠٣١ هـ / ١٦٢٢ م	مصطفى الاول ( مرة ثانية )
١٠٣٢ هـ / ١٦٢٣ م	مراد الرابع
١٠٤٩ هـ / ١٦٤٠ م	ابراهيم

## الحكام القراقوينلو في اذربيجان والعراق

٧٨٢ - ٨٧٤ هـ

١٣٨٠ - ١٣٦٩ م

- قرا محمد تورمش بن بيرام خواجه
- قرا يوسف
- استيلاء تيمورلنك
- قرا يوسف ( ثانية )
- قرا يوسف بالاشترار مع ولده
- بيربوداق
- اسكندر
- جهان شاه
- حسين علي
- حسن علي
- الفرع الحاكم في بغداد .
- شاه محمد
- اسبان
- فولاد .
- بيربوداق
- محمد ميرزا

٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م  
٨٩٢ هـ / ١٣٩٠ م  
٨٠٢ هـ / ١٤٠٠ م  
٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م  
٨١٠ - ٨١٧ هـ / ١٤٠٧ - ١٤١٤ م  
٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م  
٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م  
٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م  
٨٧٢ - ٨٧٤ هـ / ١٤٦٧ - ١٤٦٩ م  
٨١٤ هـ / ١٤١١ م  
٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م  
٨٤٨ هـ - ٩ / ١٤٤٤ م - ٩  
٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م  
٨٧١ - ٨٧٣ هـ / ١٤٦٦ - ١٤٦٨ م

## الحكام الاق قوينلو

في ديار بكر واذربيجان والعراق وايران

٨٠٦ - ٩١٤ هـ / ١٤٠٣ - ١٥٠٨ م

- بهاء الدين قره عثمان
- جلال الدين علي
- نور الدين حمزه
- ممز الدين جهانكير
- اوزون حسن
- خليل
- يعقوب

٨٠٦ - ٨٣٨ هـ / ١٤٠٣ - ١٤٣٤ م  
٨٣٨ - ٨٤٢ هـ / ١٤٣٤ - ١٤٣٨ م  
٨٣٨ - ٨٤٨ هـ / ١٤٣٤ - ١٤٤٣ م  
٨٤٨ - ٨٥٧ هـ / ١٤٤٤ - ١٤٥٣ م  
٨٧١ هـ / ١٤٦٦ م  
٨٨٢ هـ / ١٤٧٨ م  
٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م

- بايسنقرميرزا ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م
- رستم ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م
- احمد ( كوده ) ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م
- الوند ( اذربيجان ) ٩٠٣ - ٩١٠ هـ / ١٤٩٧ - ١٥٠٤ م
- محمدي ميرزا ( يزد ) ٩٠٣ - ٩٠٥ هـ / ١٤٩٧ - ١٤٩٩ م
- مراد ( شروان ) ٩٠٣ - ٩١٤ هـ / ١٤٩٧ - ١٥٠٨ م

## الحكام الشروانيون

في اذربيجان وارمنية وأران

٥٥٠ ؟ - ٩٥٨ هـ

١١٥٥ ؟ - ١٥٥١ م

الشيخ ابراهيم بن محمد بن كيقباز ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م  
( مؤسس الفرع الثالث لشاهات شروان )

خليل بن الشيخ ابراهيم ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م

فرخ يسار بن خليل الله بن ابراهيم ٨٦٧ هـ / ١٤٦٢ م

بيرام بك ابن فرخ يسار ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م

غازي بك بن فرخ يسار ٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م

محمود بن غازي بك ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م

ابراهيم الثاني بن فرخ يسار ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م

خليل الثاني ابن ابراهيم الثاني ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م

## الملوك الصفويون في ايران

٩٠٧ - ١١٤٨ هـ

١٥٠٢ - ١٧٣٦ م

- اسماعيل الاول ٩٠٧ هـ / ١٥٠٢ م

- طهماسب الاول ٩٣٠ هـ - / ١٥٢٤ م

- اسماعيل الثاني ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م

- محمد خد ابنده ٩٨٥ هـ / ١٥٧٨ م

- عباس الاول ٩٩٥ هـ / ١٥٨٨ م

- صفي الاول ١٠٣٧ هـ / ١٦٢٨ م

- عباس الثاني ١٠٥٢ هـ / ١٦٤٢ م

## الاباطرة البيزنطينيون

اسرة ال باليولوج ..

- ميخائيل الثامن ١٢٦١ - ١٢٨٢ م
- اندرونيقوس الثاني ١٢٨٢ - ١٣٢٨ م
- ( بالاشتراك مع ابنه ميخائيل ١٢٩٥ - ١٣٢٢ م
- التاسع ) .

- اندرونيقوس الثالث ١٣٢٨ - ١٣٤١ م
- يوحنا الخامس ١٣٤١ - ١٣٧٦ م
- يوحنا السادس كالتاكوزين ١٣٤١ - ١٣٥٥ م
- ( مقتصب ) .

- اندرونيقوس الرابع ( ابن ١٣٧٦ - ١٣٧٩ م
- يوحنا الخامس )

- يوحنا الخامس ( عودته ) ١٣٧٩ - ١٣٩١ م
- يوحنا السابع ( مقتصب ) ١٣٩١ م
- ( ابن اندرونيقوس الرابع )

- مانويل الثاني ١٣٩١ - ١٤٢٥ م
- يوحنا الثامن ١٤٢٥ - ١٤٤٨ م
- قسطنطين الحادي عشر ١٤٤٨ - ١٤٥٣ م

## اباطرة الامبراطورية الرومانية المقدسة

- مكسمليان الاول ١٤٩٣ - ١٥١٩ م
- شارل الخامس ١٥١٩ - ١٥٥٦ م
- فردناند الاول ١٥٥٦ - ١٥٦٤ م
- مكسمليان الثاني ١٥٦٤ - ١٥٧٦ م
- رود ولف الثاني ١٥٧٦ - ١٦١٢ م
- ماتياس ١٦١٢ - ١٦١٩ م
- فردناند الثاني ١٦١٩ - ١٦٣٦ م
- فردناند الثالث ١٦٣٧ - ١٦٥٧ م
- ليوبولد الاول ١٦٥٨ - ١٧٠٥ م

## ملوك فرنسا آل فالروا

- لويس الحادي عشر ١٤٦١ - ١٤٨٣ م
- شارل الثامن ١٤٨٣ - ١٤٩٨ م
- لويس الثاني عشر ١٤٩٨ - ١٥١٥ م
- فرانسوا الاول ١٥١٥ - ١٥٤٧ م
- هنري الثاني ١٥٤٧ - ١٥٦٠ م
- شارل التاسع ١٥٦٠ - ١٥٧٤ م
- هنري الثالث ١٥٧٤ - ١٥٨٩ م

### آل بوردبون

- هنري الرابع ١٥٨٩ - ١٦١٠ م
- لويس الثالث عشر ١٦١٠ - ١٦٤٣ م
- لويس الرابع عشر ١٦٤٣ - ١٧١٥ م

## ملوك انكلترا

- هنري السابع ١٤٨٥ - ١٥٠٩ م
- هنري الثامن ١٥٠٩ - ١٥٤٧ م
- ال ادوارد السادس ١٥٤٧ - ١٥٥٣ م
- تيودور ماري ١٥٥٣ - ١٥٥٨ م
- اليزابث الاولى ١٥٥٨ - ١٦٠٣ م

- ال جيمس الاول ١٦٠٣ - ١٦٢٥ م
- ستيوارت شارل الاول ١٦٢٥ - ١٦٤٩ م

## قياصرة روسيا

### أ / دوقية موسكو

- ايفان الثالث الكبير ١٤٦٢ - ١٥٠٥ م
- بازيل الثالث ١٥٠٥ - ١٥٣٣ م
- ايفان الرابع الرهيب ١٥٣٣ - ١٥٨٤ م
- ب / القياصرة
- ايفان الرابع الرهيب ١٥٤٧ - ١٥٨٤ م
- تيودور الاول ١٥٨٥ - ١٥٩٨ م
- بورييس كودونوف ١٥٩٨ - ١٦٠٥ م
- فترة الاضطرابات ١٦٠٦ - ١٦١٣ م

### ج / ال رومانوف

- ميخائيل ١٦١٣ - ١٦٤٥ م
- الكسيس ١٦٤٥ - ١٦٧٦ م
- تيودور الثاني ١٦٧٦ - ١٦٨٢ م
- ايفان الخامس ١٦٨٢ - ١٦٨٩ م
- وبطرس الاول
- بطرس الاول الكبير ١٦٨٩ - ١٧٢٥ م

## ملوك اسبانيا

### - زواج فردناند ملك اركون

- بايزابلا ملكة قشتاله ١٤٦٩ م
- وحدة التاجين ١٤٧٩ م
- وفاة فردناند ١٥١٦ م
- شارل الاول ١٥١٦ - ١٥٥٦ م
- فيليب الثاني ١٥٥٦ - ١٥٩٨ م
- فيليب الثالث ١٥٩٨ - ١٦٢١ م
- فيليب الرابع ١٦٢١ - ١٦٦٥ م
- شارل الثاني ١٦٦٥ - ١٧٠٠ م

اهرز نواب ملك البرتغال في الهند  
مع الاشارة الى مدد حكمهم المهمة .

- فرانسيسكودي الميدا ١٥٠٥ - ١٥٠٩
- الفونسو البوكيرك ١٥٠٩ - ١٥١٥
- لوبوسواريز ١٥١٥ - ١٥١٨
- ديوجولوبيس دي سكيورا ١٥١٨ - ١٥٢٣
- دورات دي مينيزس ١٥٢٣
- نونوداكونها ١٥٢٩
- لويس فالكاو - قتل سنة ١٥٤٦
- دوم الفونودي نوريونها ١٥٥٠ - ١٥٥٤
- كوند دويدو ندو ١٥٦٢

اهرز حكام هرمز البرتغاليين  
مع الاشارة الى بعض مدد حكمهم .

- ديوجودي ميلو ١٥٢٦
- كرسنافودي مندوسا ١٥٢٩
- مانويل دي ليما ١٥٤٦ , ١٥٤٧
- الفارودي نوريونها ١٥٥٠ - ١٥٥٣
- فيرناو فارتو ١٥٥٩

## المصادر والمراجع

### اولا . المخطوطات والرسائل غير المنشورة

- جاسم سهاوي حسين . الغزو التيموري للعراق والشام . واثاره السياسية ( ١٣٨٥ - ١٤٠٥ ) رسالة ماجستير في التاريخ . جامعة بغداد ١٩٧٦ .
- حسين محمد القهواتي . العراق ما بين الاحتلالين العثماني الاول والثاني ( ١٥٣٤ - ١٦٣٨ ) دراسة في الاحوال السياسية والاقتصادية . رسالة ماجستير في التاريخ . جامعة بغداد ١٩٧٥ .
- ضامن بن شدم بن علي الحسيني المدني . تحفة الازهار وزلال الانهار في نسب الائمة الاطهار . مخطوط محفوظ في المتحف العراقي .
- محمد هليل الجابري . امارة المشعثين . رسالة ماجستير في التاريخ جامعة بغداد ١٩٧٣ .
- محمد كاظم . نامه عالم آري نادري . مخطوط بالفارسية مصور في موسكو ( ١٩٦٥ ) محفوظ في المكتبة المركزية بجامعة بغداد .

### ثانيا . المصادر العربية والمترجمة المطبوعة

- ابن الاثير . عزالدين . الكامل في التاريخ . ( بيروت ١٩٦٥ ) ج ١
- ابن اياس . محمد الحنفى المصري . بدائع الزهور في وقائع الدهور . ( القاهرة ١٩٦٣ ) الجزءان ( ٣ ) و ( ٤ ) .
- ابن بطوطة . ابو عبدالله محمد بن ابراهيم . تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار . ( بيروت ١٩٦٤ )
- ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة . تحقيق فهم محمد شلتوت . ( القاهرة ١٩٧٠ ) ج ١٣
- ابن خلدون . عبدالرحمن . كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر . ( د . ت ) المجلد الثالث
- ابن طولون . مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ( القاهرة ١٩٦٤ ) الجزء الثاني
- ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب في اخبار من ذهب . ( القاهرة ١٣٥١ هـ )
- ابن كثير . عماد الدين ابي الفدا . البداية والنهاية . ( د . ت )
- ابن الوردي . زين الدين عمر . تاريخ ابن الوردي . ( النجف ١٩٦٩ )
- احمد جودت باشا . تاريخ جودت . ترجمة عبدالقادر الداعن التركية ( بيروت ١٣٠٨ هـ )

- اسماعيل سرهنك . حقائق الاخبار عن دول البحار . ( القاهرة د . ت ) الجزء الاول .
- البديسي . شرف خان . الشرفنامه . ترجمة محمد علي عوني عن الفارسية ( القاهرة ١٩٦٢ )
- البغدادي . صفي الدين عبدالمؤمن عبدالحق . مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع . تحقيق محمد علي البجاوي ( ١٩٥٤ )
- بينكر . اف . مادة . صفي الدين دائرة المعارف الاسلامية . طبعة ( القاهرة . مجلد ١٤ )
- بدري محمد فهد . العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري ( بغداد ١٩٦٧ )
- تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير ( بغداد ١٩٧٣ )
- بديع جمعة واحمد الخولي . تاريخ الصفيين وحضارتهم . ط ١ ( القاهرة ١٩٧٦ )
- بروكلمان . كارل . تاريخ الشعوب الاسلامية . ترجمة منير بعلبكي ونبه امين فارس . ط ٦ ( بيروت ١٩٧٤ )
- تقى الدين عارف الدوري . عصر امرة الامراء في العراق . ( بغداد ١٩٧٥ )
- جب وباوون . المجتمع الاسلامي والغرب . ترجمة احمد عبدالرحيم مصطفى ( القاهرة ١٩٧١ ) جزءان .
- حافظ احمد حمدي . الشرق الاسلامي قبل الغزو المغولي . ( القاهرة ١٩٥٠ )
- حسن ابراهيم حسن . النظم الاسلامية ( القاهرة — )
- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ط ٧ ( القاهرة ١٩٦٤ )
- حسين امين . تاريخ العراق في العصر السلجوقي . ( بغداد ١٩٦٥ )
- الحموي . ياقوت . معجم البلدان . ( بيروت ١٩٥٦ )
- الخاوي . شمس الدين محمد . الضوء اللامع لآعيان القرن التاسع . ( القاهرة ١٣٥٥ هـ ) ج ٣
- الشوكاني . محمدعلي . البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع . ط ١ ( القاهرة ١٣٤٨ هـ ) ج ١
- العمري . ياسين بن خيرالله . غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام . ( بغداد ١٩٦٨ )
- الغياثي . عبدالله بن فتح الله . التاريخ الغياثي . دراسة وتحقيق طارق نافع الحمداني ( بغداد ١٩٧٥ )

- القرماني . احمد بن يوسف الدمشقي . اخبار الدول واثار الاول ( بغداد ١٢٨٢ هـ ) .
- مأمون بك . مذكرات مأمون بك بن بيكة بك . ترجمة وتعليق محمد جميل الروزياني وشكور مصطفى ( بغداد ١٩٨٠ )
- المحبي . محمد أمين بن فضل الله . خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر ( القاهرة ١٢٨٤ هـ ) ج ١
- محمد فريد بك . تاريخ الدولة العلية . دار الجيل . ( بيروت ١٩٧٧ )
- المقرزي . تقي الدين احمد بن علي . كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ( القاهرة ١٩٣٦ هـ ) ج ٣ ( القاهرة ١٩٧٠ )
- المولوي . احمد بن لطف الله صحائف الاخبار . مطبعة عامر ( - ١٢٨٥ هـ ) مجلد ٣ .
- نظمي زادة . مرتضى افندي . كلشن خلفا . ترجمة موسى كاظم نورس عن التركية ( النجف الاشرف ١٩٧٠ )
- الهمداني . رشيد فضل الله . جامع التواريخ . ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون عن الفارسية ( القاهرة ١٩٦٠ )
- اليونيني . قطب الدين البعلبكي الحنبلي . ذيل مرآة الزمان . ط . ( حيدر اباد ١٩٥٤ ) -

#### ثالثا : المراجع العربية والمترجمة

- ابراهيم علي طرخان . مصرفي عصر دولة المماليك الجراكسة ( القاهرة ١٩٦٠ )
- احمد عبدالرحيم مصطفى . في اصول التاريخ العثماني . ( بيروت ١٩٨٢ )
- اسماعيل حقي اوزون جارشلي . امراء مكة في العهد العثماني . ترجمة عن التركية خليل علي مراد . مطبعة جامعة البصرة ( البصرة ١٩٨٥ ) .
- امين النفوري . اجناد القبائل العربية في بلاد الشام في العهد المملوكي . مجلة دراسات تاريخية . دمشق . ع ٥ ( تموز ١٩٨١ ) .
- حسين مجيب المصري . صلات بين العرب والفرس والترك . ( القاهرة ١٩٧١ )
- حياة ناصر الحجبي . العلاقات بين سلطنة المماليك . والممالك الاسبانية ( الكويت ١٩٨٠ )
- خليل ضومط . الدولة المملوكية . التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري ( بيروت ١٩٨٠ )

- ساطع الحصري . البلاد العربية والدولة العثمانية . ( بيروت ١٩٦٠ )
- سترك . مادة إردبيل . دائرة المعارف الإسلامية . طبعة القاهرة المجلد الاول
- سعيد عبد الفتاح عاشور . العصر المماليكي في مصر والشام ( القاهرة ١٩٧٦ ) .
- صالح أوزبران . الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ - ١٥٨١ . ترجمة عبد الجبار ناجي عن الانكليزية و ( بغداد ١٩٧٩ ) .
- طارق الحمداني . التاريخ الفياثي . ( بغداد ١٩٧٥ ) انظر اسم الفياثي في قائمة المصادر المطبوعة .
- عباس العزاوي . تاريخ العراق بين احتلالين الاجزاء ١ - ٥ . ( بغداد ١٩٣٥ . ١٩٣٦ . ١٩٤٩ . ١٩٥٣ )
- . تاريخ النقود العراقية لما بعد العهد العباسية ( بغداد ١٩٥٨ ) .
- . تاريخ الضرائب العراقية من صدر الاسلام الى اخر العهد العثماني ( بغداد ١٩٥٩ ) .
- عبدالعزيز نوار . داود ياشا والي بغداد . ( القاهرة ١٩٦٧ ) .
- عبد القادر اليوسف . علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين ١١ - ١٥ . ( بيروت ١٩٦٩ ) .
- عبد المنعم ماجد . العصر العباسي الاول والقرن الذهبي في تاريخ العباسيين : التاريخ السياسي ( القاهرة ١٩٧٣ )
- علي شاكِر علي . تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ - ١٧٥٠ درابه في احواله السياسية ( بغداد ١٩٨٥ ) .
- العراق . والغزو القره قوينلو مجلة المؤرخ العربي . العدد ٢٨ لسنة ١٩٨٦ .
- علي نعمه الحلو . الاحواز : عربستان في ادوارها التاريخية ج ١ قم ١ ( بغداد . ١٩٦٩ ) .
- علي الوردِي . لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج ١ ( بغداد . ١٩٦٩ ) .
- فاروق عمر . الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية . ط ١ ( بغداد . ١٩٧٤ ) .
- فاضل الخالدي . الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري ( بغداد ١٩٦٩ ) .
- فايد حماد عاشور . العلاقات بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الاولى ( القاهرة ١٩٧٧ ) .

- فؤاد عبدالمعطي الصياد . المغول في التاريخ ( القاهرة ١٩٦٠ ) .
- لسترنج . كي . بلدان الخلافة الشرقية . ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد . ( بغداد ١٩٥٤ ) .
- لوتسكي . فلاديمير . تاريخ الاقطار العربية الحديث . ترجمة عفيفة البستاني ( موسكو ١٩٧١ ) .
- لونكريك . ستيفن همسلي . اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث . ترجمة جعفر خياط ( ط ٥ ) ( بغداد د . ت ) .
- ليلي الصباغ . المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني . ( دمشق ١٩٧٣ ) .
- لين بول . ستانلي . الدول الاسلامية . ترجمة محمد صبحي فرزات ( دمشق ١٩٧٣ ) جزءان .
- محسن الامين . اعيان الشيعة . ( دمشق ١٩٤٨ ) ج ٤٣ .
- محمد اسعد طلس . تاريخ الامة العربية : عصر الانحدار . ( بيروت ١٩٦٣ ) .
- محمد جمال الدين سرور . تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق منذ عهد نفوذ الاتراك الى منتصف القرن الخامس الهجري ( القاهرة ١٩٦٥ ) .
- محمد جمبل الروزياني وشكور مصطفى ( المترجمان ) مذكرات مأمون بك بن بيكه بك ( بغداد ١٩٨٠ ) انظر اسم مأمون بك في قائمة المصادر .
- محمد رزق سليم . عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي ( القاهرة ١٩٦٢ ) .
- محمد فؤاد كوبلي . قيام الدولة العثمانية . ترجمة احمد السعيد سليمان ( القاهرة ١٩٦٥ ) .
- منورسكي . في . مادة اوزن حسن . دائرة المعارف الاسلامية طبعة القاهرة . المجلد ( ٣ ) .
- نعيم زكي فهمي . طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب اواخر العصور الوسطى ( القاهرة ١٩٧٣ ) .
- نوري عبدالحميد العاني . العراق في العهد الجلائري : دراسة في اوضاعه الادارية والاقتصادية ( بغداد ١٩٨٦ ) .
- نوفان رجا الحمود . العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين . دار الافاق الجديدة . ( بيروت ١٩٨١ ) .
- هيوار . ك . مادة حيدر ( الشيخ ) . دائرة المعارف الاسلامية ( طبعة القاهرة ) المجلد ٨ .

- يعقوب سركيس . مباحث عراقية . القسم الثاني . ( بغداد ١٩٥٥ ) .

#### رابعاً : ابحاث للمؤلف

- رؤية للخلفية السياسية لتاريخ العرب الحديث . مجلة الجامعة / جامعة الموصل العدد ٤ / ١٩٨٠ .
- احوال بغداد في عهد الخواجة مرجان . مجلة بين النهرين . العدد ( ٥ ) لسنة ١٩٧٧
- الاق قوينلو نموذج العلاقات السياسية في الشرق الادنى اواخر القرن الخامس عشر مجلة دراسات عربية بيروت العدد ١ - ٢ السنة ١٩٨٢ .
- العراق والتوسع الصفوي . مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية . جامعة الكويت العدد ( ٢٠ ) ١٩٧٩ .
- الدور التاريخي للبصرة على الخليج العربي . مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية . جامعة الكويت العدد ( ١٣ ) السنة ١٩٧٨ .
- الحريم السلطاني ودوره في الحياة العامة . مجلة العلوم الاجتماعية جامعة الكويت . العدد ( ٢ ) السنة ١٩٧٩ .
- حول الاقطاع المملوكي في فلسطين . مجلة دراسات عربية . بيروت العدد ( ٦ ) السنة ١٩٨١ .

#### خامساً : المصادر الفارسية

- احمد غفاري قزويني . تاريخ جهان آرا . ( طهران ١٣٤٣ ) .
- احمد غفاري قزويني . تاريخ نكارستان . ( طهران د ب ت )
- رضا غني خان . مجمع الفصحا . ( طهران ١٣٣٦ ) . ج ١
- شيرين بياني . تاريخ ال جلاير . ( طهران ١٣٤٥ ) .
- غياث الدين بن همام الدين خواندمير . تاريخ حبيب السير في اخبار افراد ويشر . ( ١٣٣٣ ) ج ٤ .
- مرزا حسن فائني . تاريخ فارسنامه . طبعة حجرية . ج ١ .
- مير محمد بن سيد برهان الدين مير خواند . رضا قلبي خان . تاريخ روضة الصفا ناصري ( قم ١٣٣٩ ) ج ٣ .

- Barret, M. W, "The Money and Measures of Babylon, Balsara and the Indies With Customes". Richard Haluyt Voyages. Vol. 111.
- Beazley, R. (Ed.), "Voyages and Travels mainly during the 16th and 17th Centuries", Westmenster 1903, 3 Vols.
- Chapman, (Ed.), "the Voyages of Arther Edward Agent For the Moscovy Company", Richard Hakluyt Voyages. Vol 2.
- Coon, Carlton S., "Caravan; the Story of Middle East". New York.
- Creasy, E. S., "History of the Ottoman Turks", Beirut, 1961.
- Grant, C. R., "the Syrian Desert: Caravans and Travels". London, 1937.
- Gray, Charles, "Life and Acts of King Usso Cassano, From a Narrative of Italian Travels in Persia in the 15th and 16th Centuries", London 1873.
- Heyd, Uriel, Ottoman Documents on Palestine 1552 - 1615 A study of the Firman according to the Muhimme Defteri". Oxford 1960.
- Holt, P. M. "Egypt and the Fertile Crecent in the Ottoman Period 1516- 1922, political Study," London 1966.
- Minorsky, V., the Subject "AK Koyunlu", in the Encyclopaedia of Islam vol I, London 1960.
- Marco Polo, "the Travels of Marco polo", London, 1955.
- Savory, R. M. , the Subject, "Hayder", in the Encyclopaedia of islam vol. III, London 1971.
- Sykes, p. , "AHistory of persia", London 1958.
- Van linschoter, Jan Huyghen. "Diary of accurrences in the portuguese Settlements in India 1583- 1588", 2 vols.
- Wriyht, Arnold, "Early English adventurers in the East". London 1914.

## الفهرست

### المقدمة

ص ٥ - ٩

الفصل الاول - عصر الاضطراب السياسي : المشرق العربي بعد  
الغزو المغولي ١٢٥٨ - ١٤٧٠ م  
ص ١١ - ٢٨

الفصل الثاني : حقبة توازن القوى : الاق قوينلو والمماليك والعثمانيين ص ٢٩ - ٤٦  
١٤٧٠ - ١٥٠٠ م

الفصل الثالث : مرحلة التوسع الصفوي اضطراب ميزان القوى  
في مطلع القرن السادس عشر ١٥٠٠ - ١٥١٠ م  
ص ٤٧ - ٦٢

الفصل الرابع : حقبة التحدي العثماني : ردود الفعل العثمانية في  
مواجهة الصفويين ١٥١٤ - ١٥٣٤ م  
ص ٦٣ - ٨٠

الفصل الخامس : حقبة تنافس القوى البحرية : موقع العراق والخليج العربي في  
المواجهة العثمانية للتحالف الصفوي البرتغالي  
١٥٤٦ - ١٥٧١ م  
ص ٨١ - ٩٨

الفصل السادس : تفوق القوى كما تعكسه نتائج المجابهة الصفوية  
للعثمانيين في العراق ١٦٢٣ - ١٦٣٨ م  
ص ٩٩ - ١١٢

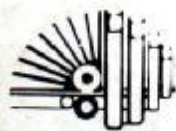
### الخاتمة

القوى المحلية والحوادث المهمة التي اسهمت فيها .  
قادة البحر المشهورون والمعارك البحرية المهمة .  
دليل الملوك والحكام المتعاصرين .  
المصادر والمراجع .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٨٥١ لسنة ١٩٩٠



طبع بمطابع التعليم العالي  
في الموصل



مطابع التعليم العالي